الجـامعـــــــــة الإســـلاميـــة بغـــــزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كـليــــة الآداب والعلوم الإنسـانيـــــة
دكتـــــــــوراة لغـــــة عربيـــــة

The Islamic University of Gaza
Deanship of Research and Graduate Studies
Faculty of Arts and humanities
PhD of Arabic Language

القضايا الصوتية والصرفية في القصص القرآني
(دراسة وصفية تحليلية)

Morpho phonological issuses in the Qura’nic stories: Adescnpteve Analytical study

الباحثـــــة
رندا محمد حمودة

إشـــراف
الأستاذ الدكتور: محمد رمضان البع

قُدمَ هَذا البحثُ إستِكمالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الدكتوراة
فِي (اللغة العربية وآدابها–علوم لغوية) بِكُليةِ (الآداب) فِي الْجَامِعَةِ الإِسلامِيةِ بِغَزة

سبتمبر 2021م– محرم 1443هـ

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

القضايا الصوتية والصرفية في القصص القرآني
(دراسة وصفية تحليلية)

Morpho phonological issuses in the Qura'nic stories: Adescnpteve Analytical study

أقر بأنّ ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنّما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأنّ هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism، and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis، unless otherwise referenced، is the researcher's own work، and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	رندا محمد حمودة	اسم الطالبة:
Signature:		التوقيع:
:Date	2021/ /	التاريخ:

نتيجة الحكم

ملخص الدراسة

تختص هذه الدراسة في "القضايا الصوتية والصرفية في القصص القرآني" دراسة وصفية تحليلية، كاشفة عن جمالية التراكيب، والنظم الصوتي والصرفي لهذه القصص، وتوظيفها في القرآن الكريم لتصل إلى أغراضها من النص والإرشاد والوعظ، وتمثلت أهمية الدراسة بدايةً، من شرف تناول أعظم كتاب عرفته البشرية ألا وهو القرآن الكريم، المعجِز بتراكيبه وألفاظه ومعانيه، وتسعى إلى بيان وجوه الإعجاز اللغوي في هذه القصص، وبيان تميز التركيب الصوتي والصرفي القرآني قياسًا بغيره من التراكيب اللغوية، متخذة في ذلك المنهج الوصفي التحليلي دليلًا لها.

وسارت خطة الدراسة للوصول إلى أهدافها في مقدمة ثم تمهيد يتبعهما ثلاثة فصول، جاءت المقدمة لتشمل سبب اختيار الموضوع، وأهمية الدراسة، وأهداف الدراسة،...إلخ، وتضمن التمهيد مبحثين، الأول تناول اللغة العربية والقرآن الكريم، ودرس الثاني علم الأصوات وعلم الصرف وعلاقتهما بعلم الدلالة والقرآن الكريم، وجاء الفصل الأول بعنوان القصص القرآني، حيث تناول التركيب القرآني وخصائصه، والتعريف بالقصص القرآني لغةً واصطلاحًا، والفرق بين القصص القرآني والقصص الأدبي، وحديث عن أنواع القصص القرآني وعدد السور والآيات المتصلة بالقصص القرآني، وأهمية القصص القرآني، وغير ذلك من الأمور، كما تناول الفصل الثاني مجموعة من المباحث قضايا صوتية مختلفة وهي قضية الوضوح السمعي، المماثلة الصوتية والإدغام، والمخالفة الصوتية، بينما بحث الفصل الثالث في القضايا الصرفية، حيث درست فيه قضية تصريف الأفعال، والأفعال المزيدة، وتصريف الأسماء، والمشتقات، ثم الجموع بأنواعها الثلاثة، وقد انتهت الدراسة إلى خاتمة توصلت فيها الباحثة إلى مجموعة من النتائج، أبرزها أنّ القصة أسلوب مهم جدًا من أساليب التعلم التي استخدمها القرآن الكريم، ويؤكد تنوعها على أهمية الاستفادة منها في مجالات الحياة شتى، ويمثل القصص القرآني منظومةً زاخرةً لما يكتنز من دلالات صوتية وصرفية تسهم في تطور علم اللسانيات، حيث يبرز الإعجاز القرآني في استخدام الأمثال القصصية الرائعة لما تحققه من نجاح وتميز في تحقيق الغايات العالية والمقاصد النبيلة.

Abstract

This study is concerned with "acoustic and morphological issues in Quranic stories", a descriptive and analytical study, which reveals the aesthetics of structures, morphological and phonetic systems for these stories, and their use in the Holy Quran to reach their purposes of text, guidance and preaching.

The importance of the study is initially represented through the study of Holy Quran, the miraculous text with its structures, words, and meanings, seeking to clarify the aspects of linguistic miracles in these stories, and to clarify the distinction of the Quranic phonetic and morphological structure compared to other linguistic structures. The Quranic systems and the hidden miracles and connotations lie in its folds, taking the descriptive-analytical approach as a guide for it.

The study's proposal proceeds to reach its objectives in an introduction and then a preface, followed by three chapters. The introduction clarifies the reason behind the topic's choice, the importance of the study, the objectives of the study, etc. The preface includes two sections, the first dealing with the Arabic language and the Holy Quran, and the second studies phonology and morphology and their relationship to semantics and the Holy Quran.

The first chapter, titled "*Alqisas Alqurania* [Quranic Stories]", deals with the Quranic structure and its characteristics, the definition of Quranic stories linguistically and idiomatically, the difference between Quranic stories and literary stories, a dialogue about the types of Quranic stories, the number of chapters and verses related to Quranic stories, the importance of Quranic stories, and other matters.

Moreover, the second chapter deals with various phonetic issues, namely the issue of audio clarity, sound analogy, slurring, and vocal contravention, while the third chapter discusses morphological issues, in which the issue of conjugation of verbs, auxiliary verbs, conjugation of nouns, derivatives, and then plurals of its three types. The study's conclusion in which the researcher reached a set of results, most notably that the story is a very important learning method used by the Holy Quran, and its diversity confirms the importance of benefiting from it in various fields of life.

The Quranic stories represent a system replete with what it contains of phonetic and morphological connotations that contribute to the development of linguistics, where the Quranic miracle is highlighted in the use of wonderful narrative proverbs due to the success and excellence, they achieve in achieving lofty goals and noble purposes.

بســــم الله الرحمــن الرحيــم

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ
أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

(المجادلة: 11)

الإهـــــداء

إلى الجميلين الأكثر حنانًا في هذه الحياة، رفقاء القلب والروح، من بهما كنت، وعلى يديهما تشكلت، وبينهما عرفت معنى الفرحة البكر، والنجاح الأول، والسعادة الأجمل، وبهما تقدمت أكثر وأكثر، ولولاهما لما كان للحياة طعم..

إلى والدي الحبيبين..

إلى من كان معي جنبًا إلى جنب طوال الطريق، كان الداعم الأكبر، والسند الذي يحتويني يشجعني على المضي قدمًا رغم كل الصعوبات التي كانت تواجهنا.

كان الزوج والصديق والحبيب وبلسم الروح وشريك كل اللحظات الحزينة منها قبل السعيدة فكان السبب الرئيس في نجاحاتي وفرحي وأني اليوم هنا..

إلى زوجي الحبيب..

إلى فلذات الكبد وشقائق الروح وأبناء القلب، الراحلين منهم جسدًا ولم تفارقني ذكراهم ولا خبت محبتهم... **مصطفى وخالد..**

والأبناء الأحبة بين الضلوع يشقون الحياة إلى جنبي فيشعرونني بالنجاح الأكبر والنعمة الأسمى التي أكرمني الله بها... **محمد ورزان وأسيل..**

إلى عائلتي وعائلة زوجي، وجميع الأهل والأحبة والأصدقاء..

إليكم جميعًا... أهدي دراستي هذه..

والله ولي التوفيق..

شكــــر وتقديــــر

اللهم تقبل منّا أعمالنا شـــاكرين لوجهك العظيم، راضـــين بما كتبته لنا من جميل العطاء ووافر النعم، والحمد لله رب العالمين.

"**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**" [1]وفي هذا المقام فإنني أقف اليوم من بعد أن منّ الله عليّ بتوفيقه وسداده لأتوجه لكل الذين يستحقون الشكر والثناء، من ساهموا في اكتمال هذا العطاء.

أتقدم بداية بجزيل الشكر والعرفان والتقدير والامتنان **للمعلم الأستاذ الدكتور/ محمد رمضان البع**، أستاذ اللغة والنحو والصرف في الجامعة الإسلامية بغزة؛ لقبوله الإشراف على دراستي، وعلى كل ما قدمه لي من دعم وعون وتوجيهات سديدة خلال فترة كتابتي لدراستي هذه، بارك الله فيه، ونفع به طلاب العلم، كما أتقدم بالشكر والتقدير **للمناقشين الكرام، الأستاذ الدكتور/ محمود محمد العامودي مناقشًا داخليًا، والأستاذ الدكتور/ أسامة خالد حماد مناقشًا داخليًا، والأستاذ الدكتور/ إبراهيم أحمد الشيخ عيد مناقشًا خارجيًا**؛ على تشريفهم لي بقبول مناقشة دراستي للدكتوراة، جزاهم الله خير الجزاء.

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر لكل **أساتذتي في قسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية** بغزة كلٍ باسم ولقبه، على كل ما قدموه من علم وما بذلوه من جهد خلال سنوات دراستي المتعددة في هذه الجامعة العريقة، جزاهم الله عني وعن طلبة العلم كل الخير.

كما أتقدم بالشكر **للجامعة الإسلامية** التي احتضنت برنامج الدكتوراة لتخصص اللغة العربية وآدابها، **وعمادة الدراسات العليا** في الجامعة التي أشرفت عليه، لهم جميعًا كل الشكر والتقدير.

وكل الشكر لكل من ساهم ولو بشيء بسيط في رحلة كتابة هذه الدراسة إلى أن رأت النور.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين.

---

1 الأدب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري أبو عبد الله; المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، مطبعة السلفية- القاهرة، 1375هـ، الحديث: 218، ص 65.

فهرس المحتويات:

إقـــــرار .... أ

نتيجة الحكم .... ب

ملخص الرسالة بالعربية.. ت

ملخص الرسالة بالإنجليزية. .... ث

الآية القرآنية. ....ج

الإهداء ....ح

شكرٌ وتقديرٌ ....خ

فهرس المحتويات.. د

المقدمة **1**

التمهيد **6**

اللغة العربية والقرآن الكريم..7

المستويات اللغوية.. 10

علم الأصوت وعلم الصرف وعلاقتهما بعلم الدلالة والقرآن الكريم. 21

الفصل الأول: القصص القرآني.. **34**

المبحث الأول: التركيب القرآني 35

المطلب الأول: التركيب القرآني وخصائصه. 35

المطلب الثاني: التعريف بالقصص القرآني لغة واصطلاحًا. 41

المطلب الثالث: الفرق بين القصص القرآني والقصص الأدبي. 44

المبحث الثاني: القصص القرآني أنواعه و عدد السور والآيات المتصلة به 48

المطلب الأول: أنواع القصص القرآني.. 48

المطلب الثاني: عدد السور والآيات المتصلة بالقصص القرآني. 51

المبحث الثالث: القصة القرآنية أهميتها، أسلوبها، والحكمة من تكرارها، وخصائصها 55

المطلب الأول: أهمية القصص القرآني. 55

المطلب الثاني: الأسلوب القرآني. 60

المطلب الثالث: حكمة التكرار من القصة القرآنية. 64

المطلب الرابع: خصائص القصة القرآنية. 67

الفصل الثاني: القضايا الصوتية.. 69

تعريف الصوت 70

قضية الوضوح السمعي.. 80

المطلب الأول: قضية الوضوح السمعي في الصوامت... 91

المطلب الثاني: قضية الوضوح السمعي في الصوائت (الحركات)..................................... 109

المبحث الثاني: ظاهرة المماثلة الصوتية والإدغام. 118

المبحث الثالث: ظاهرة المخالفة الصوتية 164

الفصل الثالث: القضايا الصرفية... 184

المبحث الأول: تصريف الأفعال. 189

المبحث الثاني: الأفعال المزيدة. 206

المبحث الثالث: أبنية الأسماء. 233

المبحث الرابع: المشتقات. 244

المطلب الأول: اسم الفاعل. 244

المطلب الثاني: اسم المفعول... 251

المطلب الثالث: صيغة المبالغة. 275

المطلب الرابع: اسما الزمان والمكان... 263

المبحث الخامس: الجموع.. 269

المطلب الأول: جمع المذكر السالم.. 270

المطلب الثاني: جمع المؤنث السالم. 273

المطلب الثالث: جمع التكسير. 278

الخاتمة.. 285

ثبت المصادر والمراجع.. 287

المقـــدمة

مقدمــة

الحمد لله الذي سخر طريق العلم نلتمس فيه النور والخير، وأمدّنا بنور العقل نهتدي به إليه، ويبسط الرزق حيث بوصلة رضاه، والصلاة والسلام على أشرف خلقه نبيه محمد بن عبدالله الصادق الأمين -عليه الصلاة والسلام- وعلى صحبه وآله أجمعين.

أما بعد،

فإنّه ممّا لا شك فيه أَنَّ السمة البارزة في اللّغة العربية هو ذلك التميّز عن باقي اللغات في إعجازها اللغوي والتركيبي، الذي يكسو ألفاظها ويحمي مفرداتها المعجزة، وبهذا المعنى قام تحدي القرآن للعرب على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضُهم لبعض ظهيرا قال تعالى:" **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا** عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ" (البقرة:23)، لم يتمثل التحدي بأن يأتوا بألفاظ جديدة يعجزون عن توليفها أو عن إنشائها، -فقد نزل بلغتهم وبلسانهم- بل تحدّاهم بأن يأتوا بآية مثله أو أفضل منه، بأن يأتوا بنظم مثل نظمه أو رصف مثل رصفه.

وإنَّ اللغة العربية بتراكيبها اللغوية، تُعد مصدرًا من مصادر التراث الثقافي الإسلامي، ولها من العظم والسمو ما يليق بها، وما يجعل لها مكانةً عاليةً ليس في قلوب المتكلمين بها فحسب، بل في قلوب غير المتكلمين بها، وعند كل من يمتلك حسًا لغويًا رقيقًا، كيف لا وهي لغة المُعْجز المتعبد بتلاوته؟

إنَّ شرف العلم من شرف المعلوم، لذا آثرت أن يكون بحثي في رحاب القرآن الكريم، عندما اجتمع نفر من قريش إلى الوليد بن المغيرة ليُجمعوا على رأي واحد يقولونه للناس (عن قول الرسول- صلى الله عليه وسلم- للقرآن) في الموسم، فقال بعضهم: شاعر، وقال بعضهم: كاهن، وقال بعضهم: ساحر، وقال بعضهم: مجنون. فكان يرى هذه الأقوال ويُفَنِّدها، ثم قال: "والله إنَّ قوله لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه"[1] ولا يمكن كشف هذا الإعجاز وجوانب هذه الحلاوة إلا في سبر أغواره، والبحث في تراكيبه. وقد وقع الاختيار على القصص القرآني

(1) السيرة النبوية، ابن كثير، ج1/ص498. نقل الحافظ ابن حجر في إتحاف المهرة عمن وصف اسناد هذا الحديث بأنه على شرط البخاري، ج7/ص582، وسكت على هذا الكلام ولم يتعقبه. وهذا حديث مرسل كما أخرجه الطبري عن عكرمة، ج29/ص156.

لاحتوائه على الكثير من التراكيب اللغوية المختلفة، والإشارات الدالة على الإعجاز القرآني. فجاء عنوان بحثنا "القضايا الصوتية والصرفية في القصص القرآني" دراسة وصفية تحليلية.

سبب اختيار الموضوع:

1) أنّه تناول أعظم كتاب عرفته البشرية، ألا وهو القرآن الكريم، وهو معجزٌ بتراكيبه وألفاظه ومعانيه.
2) لم أقف على بحث سابق تناول (القضايا الصوتية والصرفية في القصص القرآني دراسة وصفية تحليلية).
3) سعي الدراسة إلى بيان وجوه الإعجاز اللغوي في هذه القصص.
4) سعيها إلى بيان تميز التركيب الصوتي والصرفي القرآني قياسًا بغيره من التراكيب اللغوية.

الدراسات السابقة:

وقد تمثلت الدراسات السابقة التي تلتقي مع موضوع الدراسة، وأفادت منها في بعض زواياها، في الدراسات الآتية:

1) الدلالات السياقية للقصص القرآني، السيد بوزيد رحمون، رسالة ماجستير، جامعة فرحات عباس- الجزائر، 2010-2011م.
2) التراكيب النحوية في اللغة العربية في سورة يوسف (رسالة دكتوراة)، لطيف عبد الله قاسم حميد؛ مشرف: محمد عثمان ميرغنى، جامعة أفريقيا العالمية- السودان، 2001 م.
3) قصة آدم في سورتي البقرة والأعراف (مقاربة لغوية موازنة) إعداد الطلبة: مام عبد النور و غضبان الهامل، إشراف: أ.صالحي إبراهيم، رسالة ماجستير، 2017م.
4) الأبنية الصرفية في السور المدنية (دراسة لغوية دلالية) إعداد: عائشة محمد سليمان قشوع، إشراف ا.د. أحمد حسن حامد، رسالة ماجستير، 2004.
5) مع قصص السابقين في القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، (د.ط)، دمشق، 1988م.
6) التراكيب النحوية في القصص القرآني، نضال فؤاد حسين العيلة، إشراف الأستاذ الدكتور: محمد رمضان البع، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية- غزة، 2015م.

أهداف الدراسة:

1) دراسة التراكيب الصوتية والصرفية في القصص القرآني.
2) الكشف عن جماليات تراكيب النظم القرآني من خلال القصص القرآني وما يخفيه من إعجاز ودلالات يكمنان في طياته.
3) معرفة الخصائص الصوتية والصرفية في القصص القرآني.
4) رفد المكتبة العربية ببحث في علم الأصوات، وعلم الصرف بموضوعات القصص القرآني.

منهجية الدراسة:

اتخذت الدراسة من المنهج الوصفي التحليلي منهجًا للبحث، حيث رأت الباحثة أنّه يناسب طبيعة الدراسة، ويساهم في الإجابة عن مسائل التراكيب اللغوية في مستويات اللغة الصوتية والصرفية والإجابة عن إشكالاتها.

خطة الدراسة:

سارت خطة الدراسة للوصول إلى أهدافها في:

- مقدمة.
- تمهيد.
- الفصل الأول: القصص القرآني، وفيه:

المبحث الأول: ويشمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التركيب القرآني وخصائصه.

المطلب الثاني: التعريف بالقصص القرآني لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثالث: الفرق بين القصص: القرآني والأدبي.

المبحث الثاني: ويشمل مطلبين:

المطلب الأول: أنواع القصص القرآني.

المطلب الثاني: عدد السور والآيات المتصلة بالقصص القرآني.

المبحث الثالث: ويشمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: أهمية القصص القرآني.

المطلب الثاني: الأسلوب القرآني.

المطلب الثالث: حكمة التكرار من القصة القرآنية.

المطلب الرابع: خصائص القصة القرآنية.

- الفصل الثاني: القضايا الصوتية، وفيه:

المبحث الأول: قضية الوضوح السمعي، ويشمل على مطلبين:

المطلب الأول: الوضوح السمعي في الصوامت.\

المطلب الثاني: الوضوح السمعي في الصوائت.

المبحث الثاني قضية المماثلة الصوتية والإدغام.

المبحث الثالث: المخالفة الصوتية.

- الفصل الثالث: القضايا الصرفية، وفيه:

المبحث الأول: تصريف الأفعال.

المبحث الثاني: الأفعال المزيدة.

المبحث الثالث: تصريف الأسماء.

المبحث الرابع: المشتقات ويشمل أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسم الفاعل.

المطلب الثاني: اسم المفعول.

المطلب الثالث: صيغة المبالغة.

المطلب الرابع: اسمي الزمان والمكان.

المبحث الخامس: الجموع، ويشمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جمع المذكر السالم.

المطلب الثاني: جمع المؤنث السالم.

المطلب الثالث: جمع التكسير.

وأخيرًا جاءت الخاتمة لتبرز الباحثة فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وكان من أهمها، أنّ القصة أسلوب مهم جدًا من أساليب التعلم التي استخدمها القرآن الكريم، وتنوعها يؤكد أهمية الاستفادة منها في مجالات الحياة شتى، وأنّ القصص يمثل منظومة زاخرة لما يكتنز من دلالات صوتية وصرفية تسهم في تطور علم اللسانيات، حيث يبرز الإعجاز القرآني في استخدام الأمثال القصصية الرائعة لما تحققه من نجاح وتميز في تحقيق الغايات العالية والمقاصد النبيلة.

هذا وأسأل الله التوفيق والسداد.

التمهيـــــــد

ويشتمل على:

- ❖ أولًا: اللغة العربية والقرآن الكريم.
- ❖ ثانيًا: المستويات اللغوية
- ❖ ثالثًا: علم الأصوات وعلم الصرف وعلاقتهما بعلم الدلالة والقرآن الكريم.

نحاول في هذا التمهيد التعرف على أهمية اللغة العربية، وعلاقتها بالقرآن الكريم، ومعرفة مستوياتها، وخاصة المستوى الصوتي والمستوى الصرفي، وعلاقتهما بعلم الدلالة المرتبط بمعاني القرآن الكريم.

أولًا- اللغة العربية والقرآن الكريم

عرَّف ابن جِنِّي اللغة بقوله: "هي أصوات يعبِّر بها كل قوم عن أغراضهم"(1).

يقول الدكتور محمود فهمي حجازي معلقًا على تعريف ابن جني: "وهذا تعريف دقيق يذكر كثيرًا من الجوانب المميزة للغة، فقد أكد ابن جني أولًا الطبيعةَ الصوتية للغة، كما ذكر وظيفتها الاجتماعية في التعبير ونقل الفكر، وذكر أيضًا أنّها تستخدم في مجتمع، فلكل قوم لغتهم، ويقول الباحثون المحدثون بتعريفات مختلفة للغة: وتؤكد كل هذه التعريفات الحديثة الطبيعةَ الصوتية للغة والوظيفة الاجتماعية لها، وتنوُّع البنية اللغوية من مجتمع إنساني لآخر"(2).

وعرَّفها الدكتور محمد صالح الشنطي بقوله: "اللغة نظام صوتي يمتلك سياقًا اجتماعيًّا وثقافيًّا، له دَلالاته ورموزه، وهو قابل للنمو والتطور"(3).

والذي أكسب اللغة العربية هذه العظمة وهذا الخلود والبقاء، هو كتاب الله، إِنَّهُ القرآن الكريم. ولهذا نفهم كلام العرب، الذي تحدثوا به قبل عشرات القرون، في حين أن الفرنسيين والإنكليز وغيرهم، لا يستطيعون أن يفهموا ما كُتب بلغتهم قبل أربعمائة عام، إلا بجهد جهيد، وبالاستعانة بالمعاجم؛ لحل غموض اللغة التي يسمونها (الكلاسيكية)، أو القديمة بعد أن تغيرت قواعدها، على عكس اللغة العربية.

وقد يعيننا ابتداءً، ما ذكره القرطبي (4) في تفسيره، على فَهْمِ حقيقة هذه العلاقة المتلازمة؛ إذ يروي "عن ابن أبي ملكية؛ قال: قدم أعرابي في، زمان عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-؛ فقال: من يقرئني مما أنزل على محمد- صلى الله عليه وسلم-؟ قال: فأقرأه رجل براءة؛ فقال: ﴿

(1) الخصائص؛ لابن جني، ج1/ص33.

(2) علم اللغة العربية، ص 9.

(3) المهارات اللغوية، ص24.

(4) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد بن محمد أبو شهبة، ص131 بتصرف.

أنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ ورَسُولُهُ ﴾ (التوبة: 3) بالجر. فقال الأعرابي: أو قد بَرِئَ الله من رسوله؟ فإن يكن الله بريء من رسوله؛ فأنا أبرأ منه؟ فبلغ (عمر) مقالة الأعرابي؛ فدعاه. فقال: يا أعرابي؛ أتبرأ من رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنّي قدمت المدينة، ولا علم لي بالقرآن؛ فسألت من يقرئني، فأقرأني هذا سورة براءة، فقال: إنّ الله بريء من المشركين ورسولِه. فقلت: أو قد بَرِئَ الله من رسولِه؟ إن يكن الله بَرِئَ من رسوله؛ فأنا أبرأ منه؟ فقال (عمر): ليس هكذا يا أعرابي.

قال: فكيف هي يا أمير المؤمنين؟

قال: ﴿أنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ ورَسُولُهُ﴾ (التوبة: 3).

فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ مما بَرِئَ الله ورسوله منه. فأمر (عمر بن الخطاب)– رضي الله عنه– ألا يقرئ الناس إلا عالم باللغة، وأمر (أبا الأسود)؛ فوضع النحو"[1].

وردت في القرآن الكريم، آيات كثيرة ومتعددة، في كثير من المواضع، تفيد تلازم القرآن الكريم باللغة العربية، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف:2).

فالمتدبر في هذه الآية؛ يتضح له أنّ فهم القرآن مشروطٌ بلغته، يقول ابن كثير[2] وذلك لأنّ لغة العرب، أفصح اللغات، وأبينها، وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني، التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزل أشرف الكتب، بأشرف اللغات، على أشرف الرسل، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، ونزل في أشرف شهور السنة، وهو شهر رمضان؛ فكمل من كل الوجوه، ولهذا كانت اللّغة عنصرًا، يستلزم نزوله بها، بتقدير الله وحكمته العظيمة الكاملة. ولقد مرَّ، أكثر من أربعة عشر قرنًا، على نزول هذه الآية، وما من دليل على أنّ لغة على الأرض، أكثر مقدرة على تأدية معاني الكلمات إلى نفس السامع، ومقدرة على بلوغ أقصى طاقة التعبير عن المقصود كاللغة العربية.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن المبين لما تضمنه السنة وآي الفرقان، ج1/ص24.

(2) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص122.

وقوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الزمر: 28) والعوج هو الاختلاف، ولو أنّ لغة على الأرض أشدّ من العربية قدرة على التعبير، بغير اختلاف محتمل؛ لما صح الاحتجاج هنا، بوصفه قرآنًا عربيًا غير ذي عوج.

وفي هذا بيان سر جعله عربيًا؛ فعربية القرآن بذلك حجة على النّاس، لا لهم، وكونه كان بهذه اللغة؛ فهو غاية تدركها عقول من فهموها، وأدركوا بعضًا من أسرارها ومعانيها، فجعل القرآن منه بها ليفهمه الناس ويدركوا مقصود الله– سبحانه وتعالى– منها.

ومن الدلائل القوية الدالة على ترابط اللغة العربية بالقرآن الكريم؛ خلو العربية والقرآن معًا من الكلمات الأصلية، التي تزيد على خمسة أحرف.

وإنّ مما يحسب للعربية "اعتدال كلماتها؛ فإنّنا نجد أكثر ألفاظها قد وضع على ثلاثة أحرف، وأقل من الثلاثي ما وضع على أربعة أحرف، وأقل من الرباعي ما وضع على خمسة أحرف، وليس في اللغة العربية كلمة ذات ستة أحرف أصلية، وقد جاءت ألفاظ قليلة جدًا على حرف واحد أو حرفين" [1]والغاية من هذا ألّا يطول النطق، أو يعسر على اللسان.

مما سبق تبين أنّ اللغة العربية هي لغة الخلود؛ لأنّها اللسان الذي نزل بها القرآن الكريم، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء: 193–195).

وقد وعد الله بحفظ هذا الكتاب، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: 9). والحفظ هنا؛ "حفظ من الزيادة أو النقصان"[(2)]. ذلك أَنَّ حفظ اللغة متعلق بحفظ الله– سبحانه وتعالى– للقرآن الكريم وبهذا يكون اليقين بأَنَّ هذه اللغة هي الأصلح، والأقوى، والأبقى، والأقدر على إيصال المعنى الدقيق، إلى عقل ونفس السامع، من جميع لغات العالم، وهو بذلك يُعدُّ أحد متعلقات الاعتقاد، ومؤشر من مؤشرات سلامته بالنسبة للإنسان المسلم؛ لذا صار لازمًا على كل

---

(1) عناصر اللغة العربية وخصائصها، خالد العريني، (د.ط)، وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية، (د.ت)، ص4.

(2) الجامع لأحكام القرآن المبين لما تضمنه السنة وآي الفرقان، ج 14/ص5.

مسلم أن يفتخر بهذه اللغة، ويعتز بها ويخدمها خدمة للدين القويم، وأن يعرف هذه اللغة، ويتعلمها؛ لمكانتها الدينية والعلمية.

بما أنّ اللغة العربية وتراثنا الفني والثقافي يعتمد على القرآن الكريم بأسلوبه ولغته وإعجازه وبلاغته، والعناية باللغة موصول بالعناية بفهم أسلوب القرآن الكريم وفهم معانيه ولغته، فالله – سبحان وتعالى– كرم هذه اللغة فكانت اللسان الذي نطق به القرآن، فصيانتها هي صيانة له والعكس صحيح.

لذا فقد انبرى علماء العربية كل في مجال اختصاصه يحاول التبحر في علوم القرآن الكريم. وقد زخر اللسان العربي بثروة لفظية واسعة استقاها من هذا الكتاب المعجز بأسلوبه، لذلك نجد أنّ الدراسات اللغوية بمستوياتها والدراسات التي تقوم على تفسير القرآن وشرح معانيه يلتقيان في مضمار واحد ويسعيان لهدف واحد.

ثانيًا– المستويات اللغوية:

1–المستوى الصوتي:

هو "المستوى الذي يُعنى بدراسة الأصوات اللغوية؛ من حيث مخارجها وصفاتُها، وكيفية النطق بها"، فهو مستوى يهتم بالكلمات؛ من حيث البناء الصوتي لها"(1).

وقد "اهتم علماء العربية بالأصوات في مرحلة متقدمة، وكان الخليل بن أحمد هو رائد الأبحاث الصوتية، فقد رتَّب الحروف، وبيَّن مواطن إخراجها، وتحدَّث عن صفاتها وخصائصها"(2).

إنّ أصوات اللغة العربية تشتمل على ثمانية وعشرين صوتًا، إضافة إلى ثلاث حركات تتوزع توزيعًا عادلًا على قطاعات جهاز النطق المختلفة؛ فاللغة العربية تتنوَّع أصواتها، ويعتبر

(1) الوجيز في مستويات اللغة، خلف عودة القيسي، ص15.
(2) منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة، الطيب عمر، ص124.

مدرج أصوات اللغة العربية من أطول المدارج الصوتية بين اللغات، وحروفها سهلة النطق، عدا بعض الأصوات الحلقية التي قد تَصعُبُ على غير ناطقها[1].

و"إنّ أهم ما يُميز أصوات اللغة العربية، هو ثباتها واستقرارها على حالها، فهي لم تتغير ولم تتبدل مع مرور السنين والعصور، وإِنَّ العربية لم تفقد أيًّا من أصواتها، والتنوع النسبي في النطق ببعض تلك الأصوات"[2].

تؤثر أصوات الحروف المكونة لألفاظ القرآن الكريم على معانيها، ويلمس القارئ هذا الأثر إذا كان فاهمًا لصفات الأصوات وكيف استخدم القرآن الكريم الألفاظ حسب صفات حروفها في مواقف الشدة أو الرقة، أو اللين، أو العتاب، أو تصوير مشاهد يوم القيامة ... وحال الكافرين أو حال أهل الجنة وغيرها من المشاهد القرآنية.

إِنَّ كل صوت في اللفظة يعبر عن جزء من المعنى الذي تعبر عنه اللفظة بأصواتها جميعًا، وقد ذكر السيوطي: "بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع أن يضع وإلّا كان تخصيص الاسم بالمسمى المعين ترجيحًا من غير ترجيح"[3]. وهذا ما نجده في ألفاظ القرآن الكريم التي وضعت لها معنى خاص، ثم يشبع كل لفظة بجرسها الصوتي في نغم وإيقاع يبرز ذلك المعنى المطلوب. فحروف اللغة العربية مقسمة حسب صفاتها إلى حروف شديدة وأخرى رخوة، ومطبقة، وذلقية...، فكل حرف له صفات خاصة لها علاقة بالمعنى الذي تؤديه والذي يضفي الجرس والإيقاع الموسيقي لألفاظ القرآن الكريم.

فالقرآن يستعمل الألفاظ ذات الجرس الموسيقي الناعم الرخي والسلس الموحي، في المواضع التي يشيع فيها جو من الحياة الهانئة الجميلة.

ففي قوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾(الفجر: 13). سواء أكان المراد بالسوط في لغة الآية الألة المعروفة التي يضرب بها أو كان على رأي بعض المفسرين هو مصدر الفعل ساط القدر يسوطها سوطًا؛ أي: حرك ما فيها وخلطه[4] سواء كان هذا أو ذاك؛ فإن جرس هذه

(1) المرجع السابق، ص124.

(2) المرجع السابق، ص124.

(3) المزهر، للسيوطي، ج1/ص47.

(4) الكشاف، للزمخشري، ص1200.

اللفظة مع ما تقدمه من معنى يلائم الحدث، فضلًا عن ظاهرها الذي تلقيه وهي تشكل صورة فريدة. فالحرفان (الصاد والظاء) وهما من الأصوات المطبقة المستعلية ذات الجرس الفخم الشديد(1)، وهناك أمثلة كثيرة لا حصر لها.

يُعدُّ هذا من دلائل استعمال الجرس المناسب للألفاظ في الوضع المناسب، والمشهد المناسب الذي يصور تلك الحالة المطلوبة.

2-المستوى الصرفي:

الصرف لغة: "صرف: رد الشيء عن وجهه، صرَفه صرفًا، وصارف نفسه عن الشيء صرفها عنه"(2). ويعرف علم الصرف: "بأنه العلم الذي تعرف به كيفية صياغة الأبنية العربية وأحوال هذه الكلمة التي ليست إعرابًا ولا بناءً"(3).

ومعرفة تأليف الكلمة المفردة بتبيان وزنها وعدد حروفها، وحركاتها وترتيبها، وما يعترض لذلك من تغيير أو حذفٍ، وما في حروف الكلمة من أصالة وزيادة"(4).

ولعل الركيزة الأساسية لعلم الصرف هو ما يسمى بالجذر، فلكل كلمة جذرها الذي يُعدُّ أساس الكلمة الأصيل، والجذر هو "الأحرف المشتركة بين عدد من الكلمات يعتقد أنّها تتصل بعضها ببعض اتصالًا اشتقاقيًّا"(5)، فلكل كلمة في اللغة العربية جذر اشْتُقَّت منه تلك الكلمة، فمثال ذلك قولنا: تلاوة وجذرها تلو، وقراءة وجذرها قرأ.

الميزان الصرفي:

إنَّ لكل كلمة في لغتنا العربية وزنها الصرفي، وهو المقياس الذي يعتمد عليه في تصريف الأفعال، فهو "مقياس وضعه علماء العرب لمعرفة أحوال بنية الكلمة، وهو من أحسن ما عُرِفَ

---

(1) محمود السعران، ص 198.

(2) لسان العرب، ابن منظور، مج4، باب الصاد، مادة (صرف)، ص2434.

(3) شرح شافية ابن الحاجب، الإمام رضي الدين الاستراباذي، تحقيق: محمد نور الحسن. وآخرين، مطبعة حجازي، (د.ط)، بيروت 1975م.، ص1-2، وينظر: في التطبيق النحوي والصرفي، ص383.

(4) مختصر الصرف، عبد الهادي الفضلي، ص7.

(5) الاشتقاق، فؤاد حنا طرزي، ص24.

من مقاييس في ضبط اللغات ويسمى الوزن [1]"، فالوزن الصرفي الأساس للكلمة هو الوزن (ف ع ل)، "ولَمَّا كان أغلب الكلمات المجردة – أسماءً وأفعالًا – في اللغة العربية ثلاثيَّة؛ بنى علماء اللغة أصول الميزان على أحرف ثلاثة هي: (الفاء، العين، اللام) يعني (فعل)، وهي الحروف التي تكون مطلق الفعل"[2].

وكل زيادة على الكلمة تزداد بشكل مباشر على الوزن الصرفي، وكل نقص فيها ينقص من الوزن كذلك، فمثلًا:

- ركب...فَعَل.
- راكب.... فاعل.
- مركبة.... مَفعلَة.

الاشتقاق:

تمتاز لغتنا العربية بأنّها لغة اشتقاقية، ونعني بالاشتقاق: "أخذ لفظ من آخر أصل منه، يشترك معه في الأحرف والأصول وترتيبها، ومن البديهي أن يؤدي هذا الاشتراك اللفظي إلى اشتراك معنوي بين اللفظين يقرِّر نوعه صيغة اللفظ المشترك"[3].

فلكل زيادة في المبنى تَعقبه زيادة في المعنى، والمشتقات في اللغة العربية هي صيغ ومبانٍ تدل على معان ودلات معينة، وهي سبعة: اسم الفاعل، اسم المفعول، الصفة المشبهة، واسم التفضيل، واسم المكان، واسم الآلة، وصيغة المبالغة.

مجالات الصرف العربي:

يقتصر مجال الصرف على الأسماء المتمكنة والمعربة والأفعال المتصرفة غير الجامدة[4].

---

(1) التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، ص10.

(2) دراسات في علم الصرف، عبدالله درويش، ص21.

(3) الاشتقاق، فؤاد حنا طرزي، ص28.

(4) مختصر الصرف، ص8.

من المعروف أنّ القالب الصرفي هو الهيئة التي توضع عليها المادة اللغوية، وتتجدد هذه الهيئة من خلال عدد حروف الكلمة، وترتيب هذه الحروف، وضبطها وأصالتها، وزيادتها أو إثباتها أو حذف بعضها. يقول الدكتور تَمام حَسَّان تحت عنوان مباني التقسيم: "هي الاسم والصفة والفعل والضمير والظرف والأداة، وإن ما يرجع من هذه المباني إلى أصول اشتقاقية فإنه يتفرع إلى مباني فرعية يضمها المبنى الأكبر، وكل مبنى من هذه المباني الفرعية هو قالب تصاغ الكلمات على قياسه يسمى الصيغة الصرفية" (1).

فالأصل الذي اشتقت منه الكلمة أنها مجموعة من الأحرف التي منها تتكون صورها المتعددة التي تطلق على كل من الأسماء والأفعال والحروف.

وقد اهتم العلماء بالوقوف على طبيعة العلاقة بين اللفظ بهيئته الصرفية وصيغته والمعنى الذي تدل عليه هذه الصيغة، والأمثلة كثيرة، والقرآن كله معجز بصرفه وأسلوبه، مثلًا في قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ (القمر: 42). لم يقل قادر لأنّ (مقتدر) أبلغ من (قادر)، وتدل على التفخيم والتعظيم أكثر. فزيادة المبنى أدى إلى زيادة في المعنى، وإلى أنّ هذه الزيادة مفيدة بما يعدل فيه عن صيغة إلى أخرى أكثر منها والعدول البلاغي هنا هو المبالغة التي يقتضيها المقام(2).

3-المستوى النحوي:

النحو في اللغة "القصد والاتجاه والمقدار"، وقد سُمِّيَ علم النحو بهذا الاسم؛ لأنّ المتكلم ينحو به منهاج كلام العرب إفرادًا وتركيبًا"(3).

ويهتم هذا المستوى بالعلاقة بين الكلمة والكلمة في الجملة من الناحية النحوية، إن كانت فاعلًا أو مفعولًا، أو تمييزًا أو حالًا..

(1) إعجاز القرآن، الباقلاني، ص57.

(2) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص177.

(3) منزلة اللغة العربية بين اللغات السامية، ص176.

ومن خصائص هذا العلم: "تمييز الاسم من الفعل من الحرف، وتمييز المعرب من المبني، وتمييز المرفوع من المنصوب، من المخفوض- مصطلح كوفي يقابله الجر مصطلح بصري- من المجزوم، مع تحديد العوامل المؤثرة في ذلك"[1].

الإعراب:

يعرف الإعراب على أنّه "تشكيل نهاية الكلمات في سياق الحديث على الوجه الصحيح... وتوصف حركات الإعراب في حالة الرفع وعلامته الضمة والواو، أو الألف أو الثبوت النون، والنصب وعلامته الفتح... والإعراب قيمة إضافية عن طريقه تستطيع معرفة الفاعل من المفعول به في الجملة، حتى ولو تقدَّم المفعول به على الفاعل"[2].

مما لا شك فيه أنّ الدراسات اللغوية قد نالت اهتمامًا كبيرًا عند الباحثين العرب القدماء والمحدثين، ومن هذه الدراسات، الدراسات النحوية، ونجد أنّ كتب التفسير هي من أهم المصادر التي يعول عليها النحو القرآني، فإنّ معاني النحو والعلل التي توضع في إعراب ألفاظ القرآن الكريم وبيان موقع كل كلمة من الناحية الإعرابية في الجملة يتحدد من الفهم للمعنى الذي جاء به القرآن الكريم لهذه اللفظة، لذلك تُرد الآراء النحوية إذا تعارضت مع المعنى الذي يقتضيه السياق القرآني، أو توضع به العلل. إن جاء التركيب مخالفًا للقاعدة النحوية بتعويض حذف غير مذكور أو وضع الأسباب مجيء كلمة أو تركيب مغاير للقاعدة النحوية المعروفة.

ويُعدُّ اعتماد المفسرين على الإعراب، في فهم دلالات النصوص القرآنية؛ من موجبات العلاقة المتلازمة بين اللغة العربية والقرآن الكريم. وبالمقابل؛ صار فهم العربية السليمة من القرآن، ومن أمثلة ذلك كثير في سور وآيات القرآن الكريم، منها:

التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ (طه: 67)، فإنَّ أصل الكلام أن يتصل الفعل بفاعله ويؤخر المفعول به، ولكن في هذه الآية أخر الفاعل وهو موسى- عليه السلام-، وفي هذا يقول الناظم: "الفاعل كالجزء من الفعل فلذلك كان حقه أن يتصل بالفعل، وحق المفعول الانفصال، وكثيرًا ما يتوسع في الكلام فيتقدم المفعول على الفاعل. وتقديم المفعول

(1) منزلة اللغة العربية بين اللغات السامية، ص176.

(2) المرجع السابق، ص177.

على الفاعل على ثلاثة أقسام: جائز وواجب وممتنع، وذلك إذا خِيفَ التباس الفاعل بالمفعول لعدم ظهور الإعراب، وعدم وجود القرينة فيلتبس بين الفاعل والمفعول به وجب تقديم الفاعل، أما إذا وجدت قرينة أو أمن اللبس بينهما وعرف الفاعل من المفعول جاز تقديم المفعول فسبب تقديم المفعول به على الفاعل هنا هو العناية والاهتمام، فالمراد بيان حال موسى- عليه السلام- فإنّ ما يقع فيه من فعل أكثر مما يقع في غيره، فإنّ الخيفة التي وقعت في نفس موسى- عليه السلام- هو الأمر المهم أكثر من ذكر الفاعل، وأراد أن يبعد الخيفة من نفس موسى- عليه السلام- [1].

مما لا غنى عنه، أنّ الإعراب ذو خاصية متلازمة في اللغة العربية، غير مبتدعة فيها، وبها نزل القرآن، بكل خصائص العربية، ما علمنا منها وما لم نعلم؛ الأمر الذي يؤكد تلازم العربية للقرآن الكريم، ومن ثمَّ فإنَّ للعربية مكانةً بين اللغات السامية من حيث بقائها على الأصوات والسكنات، وحفاظها على جميع حروفها، في الوقت نفسه؛ ضياع ذلك أو معظمه في اللغات السامية الأخرى، هذا من جهة. ومن جهة ثانية؛ نزول القرآن الكريم، كتاب النبي- صلى الله عليه وسلم- الخاتم، التشريع الباقي إلى يوم الدين، بهذه اللغة دون غيرها؛ مما يؤكد مكانتها وقدسيتها.

---

(1) أسرار التكرار، محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، ص150.

4-المستوى الدلالي:

الدلالة لغةً: ودَلَّه على الشيء يَدُلُّه دَلاًّ ودَلالةً فانْدَلَّ: سدَّده إِليه، والدَّلِيل: ما يُسْتَدَلُّ به، والدَّلِيل: الدَّالُّ، وقد دَلَّه على الطريق يَدُلُّه دَلالة ودِلالة ودُلولة والفتح أَعلى، والدَّلِيل والدِّلِّيلي: الذي يَدُلُّك(1).

الدلالة اصطلاحًا:

حدَّها الأصفهاني بقوله: اعلم أنَّ دلالة اللفظ عبارة عن كونه بحيث إذا سُمِع أو تُخُيِّل لاحظت النفس معناه(2). ولعل الكلمة في اللغة العربية لها ثلاثة مقومات بما يسمى "مثلث المعنى"، وهي: "الكلمة والمعنى والمدلول عليه"(3).

والمعاني في اللغة العربية لها أنواع عدة، هي:

- معنى الجملة.
- معنى المتكلم.
- معنى المخاطب.
- المعنى الحرفي والمجازي.

وغرض علم الدلالة الكشف عن العلاقة بين الألفاظ والمعاني، والكشف عن المدلولات الظاهرة والكامنة في الألفاظ، والكشف عن العلاقات الدلالية بين الألفاظ العربية: كالترادف والاشتراك اللفظي والتضاد.

مهمة هذا المستوى في اللغة دراسة المعنى ومعرفة معاني المفردات فضلًا عن معرفة معاني الجمل والعبارات مع معرفة القواعد التي تخضع لها معاني الألفاظ، وعلاقتها بالظروف البيئية والاجتماعية والثقافية التي تؤثر على المعنى من حيث توسيعه وتضييقه.

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مج2، ج16، (مادة د ل ل)، ص1414.

(2) بيان المختصر (شرح مختصر ابن الحاجب)، الأصبهاني، ج1/ص120.

(3) علم الدلالة، محمد الخولي، ص13.

فقد تكون الدلالة اللفظية مطابقة إلى تمام مسمى اللفظ- وقد يخرج المعنى إلى دلالة التضمين فيخرج اللفظ إلى معنى مجازي غير المعنى الحقيقي وهو ما يسمى بالمجاز اللغوي-.

وقد عرف القرآن الكريم بإعجازه في انتقاء اللفظ فلا امتهان فيه ولا ابتذال، ومنها التصوير الفني، إذ كثيرًا ما ينقل القرآن الكريم نص القول إلى حوار بعثًا للحياة في الأسلوب؛ ومنها: الانسجام الموسيقي الذي فيه تؤلف العبارة من كلمات ذات حركات وسكنات تشعر القارئ لها بما يكمن وراءها من نظام واتساق[1].

لذا نجد كل كلمة استعملت في القرآن الكريم وضعت وضعًا فنيًا مقصودًا في مكانها المناسب والأمثلة كثيرة في القرآن الكريم لا حصر لها، منها كلمة (الحمد) في السورة الأولى من القرآن الكريم وهي سورة الفاتحة، فالحمد هو الثناء على الجميل من نعمة أو غيرها[2]، والثناء على صفة من صفاته الذاتية أو على عطائه وتفضله على الآخرين.

فأول ما أُمر به المسلم المؤمن بالله هو أن يحمد الله على السراء والضراء؛ لأنّ الإنسان لا يعلم صالح ذلك الأمر له عن وقع به ما دام هذا الأمر من عند الله سبحانه وتعالى.

والحمد غير المدح، فالحمد يكون لأفعاله ولخلقه ولصفاته وأنعامه، والحمد إجلالًا وتعظيمًا ومحبة وهو ما ليس في المدح[3].

والحمد غير الشكر، فقد جاء في السورة الحمد لله ولم يقل الشكر لله؛ لأنّ الحمد أعم من الشكر، يقول الرازي[4]: "الحمد يعم إذا وصل ذلك الإنعام إليك وإلى غيرك، وأما الشكر فهو مختص بالإنعام الواصل إليك أو إلى غيرك، والحمد يكون على صفات ذاتية والمرء لا يشكر الآخر على صفاته الذاتية وإنّما يحمده".

---

(1) البرهان في علوم القرآن، ج1/ص487.
(2) البحر المحيط، لأبي حيان، ج1/ص18.
(3) لمسات بيانية، فاضل السامرائي، ص10.
(4) المرجع السابق، ص10.

فقد تأثرت اللغة العربية بمستوياتها وفي مختلف علومها وميادينها ودراستها بلغة القرآن الكريم وبأسلوبه المعجز العظيم.

إنَّ أية دراسة لغوية لا بُدَّ من أن تتجه لدراسة المعنى، لأنّه الغاية والركيزة الأساسية التي تسعى إليها في كلّ مستوياتها، لذا كان المعنى وما زال موضع اهتمام علماء العربية مهما تنوعت مشاربهم وتعددت تخصصاتهم، فكلّ دراسة في أي فرع من فروع اللغة إنّما تهدف إلى فهم المعنى وإدراكه، وقد أصبح للمعنى مستوى من مستويات التحليل اللغوي أطلق عليه المستوى الدلالي الذي تصب فيه روافد الدراسات اللغوية من صوت وصرف ونحو، لذا يُعدُّ المستوى الدلالي من أجلّ علوم اللغة وأدّقها.

ثالثًا- علم الأصوات وعلم الصرف وعلاقتهما بعلم الدلالة والقرآن الكريم:

وردت لفظة دلالة في القرآن الكريم بصيغة "دلّ"[1] تشترك في إبراز مفهوم الصيغة، وهي تعني الإشارة إلى الشيء أو الّذات سواء أكان ذلك تجريدًا أم حسًا ويترتب على ذلك وجود طرفين: طرف دالّ وطرف مدلول؛ هذه الآيات التي ورد ذكر لفظ "دلّ" بصيغه المختلفة تشترك في تعيين الأصل اللغوي لهذا اللفظ، وهو لا يختلف كثيرًا عن المصطلح العلمي الحديث ودلالته، فإذا كان معنى اللفظ (دلّ)، وما صيغ منه في القرآن الكريم يعني الإعلام والإرشاد والإشارة والرمز، فإن المصطلح العلمي للدلالة الحديثة لا يخرج عن هذه المعاني إلا بقدر ما يضيف من تحليل عميق للفعل الدلالي كالبحث عن البنية العميقة للتركيب اللغوي بملاحظة بنيته السطحية، أو افتراض وجود قواعد دلالية على مستوى الذهن تكفل التواصل بين أهل اللغة الواحدة، وهو يفسر توليد المتكلم لجمل جديدة لم يكن قد تعلمها من قبل. كما تنص على ذلك القواعد التوليدية التي أشار إليها تشومسكي ضمن نظريته التوليدية، فما يمتاز به متكلّم الّلغة قدرته على إنتاج وفهم جمل لم يسبق له أن أنتجها أو سمعها من قبل"[2].

(1) الدلالة المعجمية والسياقية في كتب معاني القرآن، علاء عبد الأمير شهيد، ص40-57. الأعراف: 22، طه: 40، الفرقان: 45، القصص: 2، سبأ: 7 و14، الصف: 10.

(2) اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر الفاسي الفهري، ص370، وينظر: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، عبد الجليل منقور، ص22-23.

ويُعدُّ القرآن الكريم سببًا في ازدهار الدراسات الدلالية التي نشأت حوله. وهي أولى فروع البحث اللساني العربي ظهورًا عندما جاء الإسلام إلى العرب يتحداهم في بيانه وإعجازه، حاملًا في طياته ثورة أدبية، اجتماعية وأخلاقية، ومعرفية ولغوية، فتحداهم في أعز ما يملكون ويتفاخرون، فقامت الدراسات حول هذا الكتاب المعجز، تبحث في دلالات ألفاظه، فتنوعت وتعددت، وكان منها البحث في غريب ألفاظه، وقد تأسست هذه الدراسات على منهج وصفي استقرائي يتتبع اللغة في ألفاظها ومواضعها قصد تحديد المعاني والتي يتوقف على فهمها فهم الكتاب(1)، وتمتد البحوث الدلالية العربية من القرون الثالث والرابع والخامس الهجرية إلى سائر القرون التالية لها، وهذا التاريخ المبكر المرتبط بالنص القرآني يُعدُّ نضجًا أحرزته اللغة العربية وثقافتها(2).

وكان البحث في دلالة الأصوات من أهم ما لفت نظر اللغويين العرب وأثار اهتمامهم، وتعد الأعمال اللغوية المبكرة عند العرب من مباحث علم الدلالة، مثل: تسجيل معاني الغريب في القرآن، والحديث عن مجاز القرآن، والتأليف في الوجوه والنظائر في القرآن، وإنتاج المعاجم الموضوعية ومعاجم الألفاظ، وحتى ضبط المصحف بالشكل يُعدُّ في حقيقته عملًا دلاليًا؛ لأنّ تغيير الضبط يؤدي إلى تغيير وظيفة الكلمة، وبالتالي إلى تغيير المعنى(3).

الأمة العربية لا يقلّ اهتمامها بالقضايا الدلالية عن غيرها من الأُمم(4)، إنّ المتمعن في التراث اللغوي العربي يلاحظ أَنَّ البحث الدلالي لم يقتصر على اللّغويين فحسب، بل تعدى ذلك إلى الُفقهاء، والفلاسفة والمناطقة وغيرهم من دارسي الإعجاز والبلاغة والّنقد والشرح الأدبي والفّني، وأغْنواْ مؤلفاتهم بالبحوث الدلالية التي لا يجهلها دارس العربية، فالعرب مثْلهم في هذا مثل الأُمم الأُخرى، جاءت مباحث الدلالة عندهم موزعة في مختلف علومها و تُراثها، حيث كان المعنى هو الوجهة والأساس الذي إليه يقْصدون وبه يُعنَون، وتنوعت اهتمامات العرب بعد ذلك فغطت جوانب كثيرة من الدراسة الدلالية.

---

(1) أي كتاب سيبويه الذي يُعدُّ قرآن النحو العربي، والمفصل للزمخشري.

(2) علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، أحمد نعيم الكراعين، ص84.

(3) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، فايز الداية، ص6.

(4) علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص20.

علم الأصوات وعلاقته بالقرآن:

كان ولا يزال القرآن الكريم يُمثل منطلقًا وهدفًا أساسيًا لمباحث علمَي الدلالة والصَّوت، يستلهمانه ويستمدّان منه مادّة بحثهما، بُغيةَ الوقوف على أسرار معانيه، وذلك منذ باكورة نشأتِهما، وحتى اكتمالهما عِلمين شاخصين، لكلٍّ قواعده وأصوله.

ومن نافلة القول الحديث عن أهمية كلٍّ منهما، ومدى ارتباط أحدهما بالآخر. فإذا كانت مادّة الدلالة اللِّسانية هي الصّوت اللغوي؛ فإنّ الصّوت اللغوي ينطلق أساسًا من دلالته على المعاني التي انتُدب لبيانها والتعبير عنها وتصويرها، اعتمادًا على العلاقة الوثيقة بين اللفظ والمعنى والصلة الحميمة بين النطق والمعنى والصلة الحميمة بين اللفظ والمدلول؛ فالدلالة اللغوية منطلَق صوتيّ، والصّوت اللغوي منطلَق دلاليّ.

إنّ كل صوت في هذا الكتاب الحكيم وُضِع موضعه الذي لا يَصلح غيره ليحلَّ محلّه، فإذا وُقِفَ على سرِّه انكشف بعضٌ مِمّا فيه، وخَفِي ما هو أعظم، فإنّه ﴿ قُل لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَ لَو جِئنَا بِمِثلِهِ مَدَدًا﴾(الكهف: 109). وإذا لم يُوقَف عليه فإنّ لسان الحال يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرآن أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(محمد: 24).

لقد شغل بيانُ القرآن العربَ منذ اللحظات الأولى لنزوله، لأنّه "ورد عليهم من طُرُق نظمِه، ووجوهِ تركيبِه، ونَسَقِ حروفه في كلماتها، وكلماته في جُملها، ونَسَق هذه الجمل في جملته ما أذهَلَهم عن أنفسهم، من هيبة رائعة وروعة مخوفة، وخوفٍ تقشَعِرُّ منه الجلود، حتى أحَسّوا بضعف الفطرة القوية، وتخلّف الملَكة المستَحكَمة، ورأى بلغاؤهم أنّه جنسٌ من الكلام غير ما هم فيه، وأنّ هذا التركيب هو روح الفطرة اللُّغوية فيهم، وأَنَّه لا سبيل إلى صرفه عن نفس أحد العرب، أو اعتراض مساغه إلى هذه النفس، إذ هو وجه الكمال اللغوي الذي عرف أرواحهم، واطّلع على قلوبهم، بل هو السِّرُّ الذي يفشي نفسَه وإن كَتَموه، ويظهر على ألسنتهم، ويتبيّن في وجوههم، وينتهي إلى حيث ينتهي الشعور والحس"(1).

وهذه اللغة القرآنية السّاحرة التي أذهلت النّاس عن أنفسهم، واقشعرّت لها أبدانُهم، فخرّوا لها خاشعين، هي التي دَعَت إلى بَسْطِ القول في فنون فصاحة القرآن ونظمه ووجوه تأليف الكلام

---

(1) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص189.

فيه. فانبرى علماء المسلمين للتأليف في وجوه إعجازه. وقد كان لنظم القرآن، وما يمكن أن يكون مرجعه الصّوت من وجوه البلاغة المحلّ الأرفع من بين وجوه الإعجاز الأخرى[1].

لقد كانت موضوعات الآيات والسُّوَر القلائل الأولى التي انبهر بها العرب أوّل الأمر خاليةً تمامًا من أيّ تشريع، أو إخبار عن غيب يتحقّق بعد أعوام، أو علوم كونية في خلق الكون والإنسان، لكي تسترعي إحساسَهم، وتستحقّ منهم كلّ هذا الإعجاب. فلا بُدَّ إذن أن يكون في تلك السُّور القلائل عنصرٌ آخَر غير ما ذكرنا، هو الذي سَحَر المستمعين، وأخَذَ عليهم قلوبَهم وعقولَهم[2].

وقد ثبت أنّ مِمّن لا يفهم القرآن ولا يعلم تفاسيره قد تأثَّر به وهو يستمع إليه لأوّل مرّة، كما رُوِيَ عن نصرانيّ أنه مرّ بقارئٍ فوقف يبكي، فقيل له مِمَّ بكيت؟ قال: "للشجاعة والنَّظم"[3].

إنّ عنصر السِّحر الذي عَناه الوليد بن المغيرة في مقولته الشهيرة[4] بعد أن استوقفه القرآن طويلاً: ﴿إنّه فكّر وقدّر، ثم قُتِل كيف قدّر، ثم نَظَرَ، ثم عَبَسَ وبَسَر، ثم أدبَرَ واستَكبَرَ، فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾(المدثر: 24) لا بُدَّ أنّه "كان كامنًا في مظهر آخَر غير التشريع والغيبيّات والعلوم الكونية. لا بدّ أنّه كامنٌ في صميم النّسَق القرآنيّ ذاته"[5]؛أي: الأداء النغمي والصوتي والتآلف بين الكلمات والأصوات في رؤوس الآيات.

()1 الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم (نظرة في كتب الباحثين العرب القدامى والمعاصرين)، سيد علي مير لوحي، مجلة أهل البيت – عليهم السلام– ع9، العراق، 2021م، ص31.

(2) المرجع السابق: ص 31.

(3) معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، ج1/ ص168.

(4) السيرة النبوية، ابن كثير، ج1/ص498. ويُنظر: البداية والنهاية، لابن كثير، ج3/ص61.

(5) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص17.

ولعل من أشار إلى ملامح من هذا **الإعجاز الصوتي** في آثارهم، هم:

1- الرُّماني (ت386هـ):

الذي عَدّ من وجوه الإعجاز سبعة، جاعلاً البلاغة على رأس هذه الوجوه فابتدأ بها (كتابه النُّكَت). وقد حَصَرَ البلاغةَ في ثلاث طبقات: "منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة. فما كان في أعلاها طبقة فهو مُعجِزٌ، وهو بلاغة القرآن الكريم"(1).

ثم حَصَرَ وجوه البلاغة في عشرة أقسام هي: الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان.

وكما نرى فإنَّ من هذه الأقسام العشرة ما يرتبط بالصوت كالتلاؤم، والفواصل، والتجانس. والتلاؤم أهمُّها جميعًا لأنّها ألصق بمباحث الصّوت، وقد عرّفه الرماني بأنّه: نقيض التنافر، وأنّه تعديل الحروف في التأليف، جاعلًا التأليف على ثلاثة أقسام[2]:

- متنافر.
- متلائم في الطبقة الوسطى.
- متلائم في الطبقة العليا.

والقسم الثالث أي المتلائم الذي في الطبقة العليا يشمل القرآن كلَّه. والرمّاني يرى أنّ تلاؤم الحروف في القرآن بَيّنٌ لكلِّ متأمِّل فيه، والفرق بينه وبين غيره من الكلام كالفرق بين المتنافر والمتلائم من الطبقة الوسطى، ولكنّ الناس يتفاوتون في شدّة إحساسهم بذلك وفطنتهم له، كما يتفاوتون في شدّة إحساسهم بالشعر الموزون من المكسور.

والرمّاني يرى أنّ التحدّي بالتلاؤم يعَمّ جميع الناس، لا فرق في ذلك بين عربيّ وأعجميّ –نطقًا، سماعًا–، وذلك لأنّ القرآن كصوت تخشع له كل القلوب، فهو أدائي يفهمه العربي والأعجمي، وأنّ الله تعالى قال: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القرآن لَا

---

(1) النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرماني، ص75.

(2) المرجع السابق: ص94-95.

يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾(الإسراء: 88)، وقال أيضًا: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾(الطور: 34). "ولما تعلّلُوا بالعلم والمعاني التي فيه قال: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾(هود: 13). فقد قامت الحجة على العربي والعجمي بعجز الجميع عن المعارضة إذ بذلك تبين المعجزة"[1].

2- الخطّابي (ت388هـ):

أتى بعبارة غاية في الحكمة والرَّوعة حَدّدَ بها عوامل الإعجاز بثلاثة أمور، هي: اللفظ، والمعنى، والنظم، ووازن فيما بينها موازنةً دقيقةً فقال: "وإنّما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظٌ حامل، ومعنًى به قائم، ورباطٌ لهما ناظم. وإذا تأمّلت القرآن وجدتَ هذه الأمور منه في غاية الشَّرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئًا من الألفاظ أفصح، ولا أجزل، ولا أعذب من ألفاظه، فتفهّم الآن واعلم أنّ القرآن إنّما صار معجِزًا؛ لأنّه جاء بأفصح الألفاظ، مضمَّنًا أصحّ المعاني"[2].

فسبب إعجاز القرآن في رأي الخطابي هو فصاحة ألفاظه، ونظم تأليفه، ثم تَضَمُّنه للمعاني الصَّحيحة، وبذلك فإنّ ثُلُثَي إعجازه راجع في حقيقته إلى طبيعته الصوتية.

فهو كأنّما يُلمِّح إلى الإيحاء الصوتيّ للفظ، ففي كلمة (الصّدع) وما يُلقيه في ذهن السّامع من صوت الكسر، في قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾(الحجر: 94)، قائلًا: أبلغ من قوله: (فاعمَلْ بِما تُؤمَرْ)، وإن كان هو الحقيقة، والصّدع مستَعار، وإنّما يكون ذلك في الزجاج ونحوه من فلزِّ الأرض، ومعناه المبالغة فيما أمَر به حتّى يُؤَثِّرَ في النفوس والقلوب تأثير الصّدع في الزُّجاج ونحوه "[3].

والتفت إليه الباقلاني في الإعجاز الصوتي للقرآن بالتفاتته الرائعة إلى فواتح السُّوَر من الحروف المقطّعة التي افتُتِحَت بها سِتٌّ وعشرون سورة مكية، وثلاث سور مدنية، وما قدّمَه من تصنيف صوتيّ لهذه الحروف، وبذلك أوقفنا على سِرٍّ عظيم من أسرار الصوت القرآني، تَجدر

---

(1) النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ص97.

(2) بيان إعجاز القرآن- ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الخطابي، ص27.

(3) المرجع السابق، ص44.

الإشارةُ إلى أنّ القرآن الكريم افتَتَحَ عامةَ سُوَرِهِ الـ (114) بعشرة أنواع بيانية من فنون القول، لا يَخرج شيءٌ من السُّوَر عنها، وهي:[1]

- الاستفتاح بحروف التهَجِّي: نحو: ﴿ق﴾ و ﴿طه﴾ و ﴿الم﴾ وغيرها، في (29) سورة.
- الاستفتاح بالجمل الخبرية: نحو: ﴿أتى أمرُ الله﴾ و ﴿الرحمن﴾ وغيرها، في (23) سورة.
- الاستفتاح بالقَسَم: نحو: ﴿والصَّافات﴾ و ﴿الطّور﴾ وغيرها، في (15) سورة.
- الاستفتاح بالثناء على الله: نحو: ﴿الحمد لله﴾ و ﴿تبارك﴾ وغيرها، في (14) سورة.
- الاستفتاح بالنداء: نحو: ﴿يا أيُّها النبيّ﴾ و ﴿يا أيُّها الذين آمنوا﴾ وغيرها، في (10) سُوَر.
- الاستفتاح بالشرط: نحو: ﴿إذا وقعت الواقعة﴾ وغيرها، في (7) سُوَر.
- الاستفتاح بالأمر: نحو: ﴿اقرأ باسم ربِّك﴾ و ﴿قُل هو اللهُ أحَد﴾ وغيرها، في (6) سُوَر.
- الاستفتاح بالاستفهام: نحو: ﴿عَمَّ يتساءلون﴾ و ﴿هل أتاك﴾ وغيرها، في (6) سُوَر.
- الاستفتاح بالدعاء: في (3) سُوَر: ﴿ويلٌ للمطففين﴾ و ﴿تبّت يَدا أبي لَهب﴾.
- الاستفتاح بالتعليل: في سورة واحدة: ﴿لإيلاف قريش﴾. لقد بينت تلك التفصيلات الأسرار الصوتية أو الإعجاز الصوتي النطقي، والذي لم يختلف فيه اثنان حول جمال وأثر الاداء الصوتي لآيات القرآن في نفوس من سمعها وإن لم يقرأها.

الدلالة الصوتية للحروف المقطّعة:

لم يقتصر إعجاز القرآن على لفظه ومعناه، بل شمل الإعجاز الصوتي. وإنّ اهتمام القرآن الكريم بنظمه لحروفه وكلماته يدل على أهمية الصوت في تلاوته وتجويده وصولًا إلى معناه، بل كان اهتمام القرآن الكريم بالأصوات اهتمامًا فريدًا ومعجزًا، وذلك بجعله فواتح بعض سوره تبدأ بالحروف المقطعة، فلولا أهمية هذه الحروف أصواتًا لم تبدأ بها سور القرآن الكريم؛ ولذلك كثرت أقوال العلماء في تفسيرها وبيان المقصود منها.

---

(1) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ج1/ص164-180.

قال القاضي أبو بكر بن العربي فيما ذُكر حول دلالة الحروف المقطّعة في مفتَتَح السُّوَر، وما يمكن أن تعنيه من أقوال: "قد تَحصَّلَ لي فيها عشرون قولًا وأزيَد، ولا أعرف أحدًا يحكم عليها بعِلمٍ ولا يصِلُ منها إلى فهم"[1].

والرأي الذي يكاد يُجمِع عليه أهلُ النظر في دلالة هذه الحروف هو "أنّ هذه الحروف ذُكِرَتْ لتدلّ على أنّ القرآن مؤلَّفٌ من الحروف التي هي: أ، ب، ت، ث... فجاء بعضها مقطّعًا، وجاء تَمامها مؤلَّفًا، ليبين للقوم الذين نزل القرآن بلغتهم أنّه بالحروف التي يعرفونها، فيكون ذلك تقريعًا لهم، ودلالةً على عجزهم أن يأتوا بمثله، بعد أن يعلموا أنّه مُنزَّل بالحروف التي يعرفونها ويبنون كلامهم منها"[2].

وهذا يؤكد صِحّة دلالة هذه الحروف على أَنَّ القرآن مُعجِز جاء من مألوف حروفهم. وهذا بِحَدِّ ذاته يُمكن حَمْلُهُ على جهة الدلالة الصوتية، على اعتبار أَنَّ أصوات هذه الحروف رغم افتقارها للدلالة الذاتية إلاّ أنّها دلّت هنا على معنى بعينه، فالله سبحانه وتَعالَى يقول: ﴿طس تِلْكَ آَيَاتُ القرآن وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾(النمل: 1)، ويقول: ﴿الر تِلْكَ آَيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآَنٍ مُبِينٍ﴾(الحجر: 1)؛أي: أنّه على الرغم من أنّ هذه الحروف ليست مُبينةً في ذاتها، إلاّ أنّها عندما ائتلَفَت صارت قرآنًا وكتابًا مبينًا ومُعجزَةً، فهذا عجزٌ عن شيءٍ هم يَملكونه.

ويمزج الرافعي بين الدلالة الصوتية للحرف القرآني وبين دلالته النفسية البعيدة، باعتبار أنّ مادّة الصوت تُمثِّل مظهرَ الانفعال النفسي، فالأصوات التي تأتلف في الجملة مقصودة لذاتها، لأنّه " إنّما يكون الكلام ساميًا إذا جاءت مادّة صوته مُكيَّفةً بشكلٍ موسيقيّ دالّ"[3].

---

(1) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ج1/ص178.

(2) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ج3/ص32.

(3) تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية، مهدي صالح السامرائي، ص266.

3- سَيِّد قُطب (ت 1386هـ)

وأما الذي شغفَ سيد قطب بالقرآن الكريم، لأنّه" وَجَدَ فيه سِرًّا خاصًّا، يشعر به كلُّ من يواجه نصوصَه ابتداءً، قبل أن يشعر أنّ هنالك شيئًا ما وراء المعاني التي يُدركها العقل من التعبير، وأنّ هنالك عنصرًا ما يَنسكب في الحسِّ بِمجرّد الاستماع لهذا القرآن.

ذلك سِرٌّ مودَع في كلّ نَصٍّ قرآنيّ، يشعر به كلُّ من يُواجه نصوصَ هذا القرآن ابتداءً... ثمّ يأتي وراءَه الأسرار المدرَكة بالتّدبُّر والنظر والتفكير في بناء القرآن كلِّه"(1).

ولكنّه بعد بحثه الطويل في تحليل البيان القرآني وأسرار إعجازه توصل إلى خمسةِ عناصر أساسية للبيان القرآني المعجز تَستمد منها العبارةُ القرآنية بشكل خاصّ دلالتَها، فقد جعلها خمسة عناصر، وجعل واحدًا منها الدلالة الصوتية والإيقاع الموسيقي الصوتي لأصوات الكلمة القرآنية. ويدور جُلُّها حول مِحورَي الصوت والإيقاع وهي:

1) مفردات الدلالات اللغوية للألفاظ.
2) الدلالة المعنوية: الناشئة عن اجتماع الألفاظ وترتيبها في نَسَق معيّن.
3) الإيقاع الموسيقيّ: الناشئ من مجموعة إيقاعات الألفاظ، متناغمًا بعضُها مع بعض.
4) الصور والظلال: التي تشُعُّها الألفاظ متناسقةً في العبارة.
5) الأسلوب: أو طريقة تناول الموضوع والسبر فيه؛ أي: التنسيق الذي يسمح لكلِّ لفظٍ بأنّ يشعّ شُحنتَه من الصور ومن الإيقاع، والذي يُؤلف إيقاعًا متناسقًا بين الألفاظ، وظلالًا متناسقةً من ظلال الألفاظ(2).

ولم يكتفِ سيد قطب بذلك، بل ذهب إلى محاولة الكشف عن أوجُه التناسق الفني التي تبلغ في التصوير القرآني ذُروَتَها. ومِمّا اهتدَى في الكشف عنه مِمّا تدخل فيه الدلالة الصوتية كعنصر أساسيّ:

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج6/ص3399.

(2) النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، ص41.

- **تخيُّر الألفاظ:**

وهو التنسيق في تأليف العبارات بتخيُّر الألفاظ، ثمّ نظمها في نسق خاصّ من التأليف، وصولًا إلى أرقَى درجات الفصاحة. وقد أشار سيد قطب إلى أَنَّ مَن سبقوه قد أكثروا من القول فيه، وبلَغوا غاية مداه. أمّا ما جاء هو به فتحديده لقيمة اللفظ القرآني في كونه "يرسم الصورة، تارةً بجرسه الذي يُلقيه في الأذن، وتارةً بظلِّه الذي يُلقيه في الخيال، وتارةً بالجرس والظلّ معًا"(1). ويضرب لكلٍ من هذه الأنواع الثلاثة أمثلةً وشواهد قرآنية ما سُبق إليها.

ومن الألفاظ التي ترسم صورة الموضوع وتدلّ عليه بجرسها الذي تُلقيه في الأذن: لفظة (لَيُبَطِّئَنَّ) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾(النساء: 72)، فيقول: إنك لتقرأ هذه اللفظة من هذه الآية « فترتسم صورة التبطئة في جرس العبارة كلِّها وفي جرس ﴿لَيُبَطِّئَنَّ﴾ خاصةً. وإنّ اللِّسان ليكاد يَتَعثّر، وهو يتخبَّط فيها، حتى يصل بِبُطءٍ إلى نهايتها"(2).

- **الإيقاع الموسيقيّ**

وهو الإيقاع الناشئ من تَخيُّر الألفاظ ونظمها في نَسَقٍ خاصٍ، وهو الذي اقتصر حديث القدامى عنه بالإشارة إلى الإيقاع الظاهري "ولم يَرتَقِ إلى إدراك التعدُّد في الأساليب الموسيقية، وتناسق ذلك كلّه مع الجو الذي تُطلَق فيه هذه الموسيقى، ووظيفتها التي تؤدِّيها"(3).

وهذا الأمر أي –وظيفة الإيقاع الدلالية– هو ما لم يتنبّه إليه الأقدمون، على الرغم من أنّ أهم ما يجب ملاحظته في هذا الجانب هو كون الإيقاع الموسيقيّ للقرآن "يتناسق مع الجوّ ويؤدّي وظيفةً أساسيّةً في البيان"(4).

وهذه الموسيقى القرآنية المتعدّدة الأنواع تُلقي بظلالِها على مُجمل النصّ القرآنيّ، وهي "تابعة لِقِصَرِ الفواصل وطولها، كما هي تابعة لانسجام الحروف في الكلمة المفردة، ولانسجام

(1) التصوير الفني، سيد قطب، ص72.
(2) المرجع السابق، ص76.
(3) السابق، ص72.
(4) السابق، ص84.

الألفاظ في الفاصلة الواحدة"[1]. وهذا كلّه تابع للغرض الدلاليّ الذي انتُدبَت له الآية أو الآيات أو السورة.

ولعل ما ذكره سيد قطب عن صوت السين في سورة الناس يوضح ما ذهب إليه (تفسيره في سورة الناس) ربطه للسين بخفاء الشيطان.

إنَّ الطبيعة التركيبية في اللغة العربية قد تمرست في تعادل الأصوات وتوازنها، ما جعل لغة القرآن في الذروة من طلاوة الكلمة، والرقة في تجانس الأصوات، لذلك فقد استبعد العرب جملة من الألفاظ لا تنسجم صوتيًا في تداخل حروفها، وتنافر مخارجها، سواء أكانت قريبة أم بعيدة "فإنّ الجيم لا تقارن الفاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا بتأخير. والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا تأخير"[2].

وفي هذا دلالة على "امتياز اللغة العربية في مجموع أصوات حروفها بسعة مدرجها الصوتي سعة تقابل أصوات الطبيعة في تنوعها وسعتها، وتمتاز من جهة أخرى بتوزعها في هذا المدرج توزعًا عادلًا يؤدي إلى التوازن والانسجام بين الأصوات"[3].

لقد كان اختيار اللفظ المناسب للصوت المناسب حقلًا يانعًا في القرآن لا للدلالة الصوتية فحسب؛ بل لجملة من الدلالات الإيحائية واللغوية، وتلك ميزة القرآن الكريم في تخير الألفاظ.

علاقة علم الصرف بعلم الدلالة:

تّتضح العلاقة بينهما في أَنَّ دلالة كثير من الكلمات تبقى رهينة قيمتها الصرفية، وعلى الألسني أن يكشف هذه القيم، ويحدد الوظائف الصرفية للكلمات أو المورفيمات ليتمكن من تحديد دلالة الكلمة، وبالّتالي الجملة –إن وردت في الجملة– فالمعاني الصرفية للكلمات أو الوظائف الصرفية كما يسميها الدارسون؛ هي المعاني التي تبنى عليها دلالة الكلمات والجمل، والمعنى

(1) البيان والتبيين، الجاحظ، ج1/ ص69.

(2) بحوث لغوية، أحمد مطلوب، ص28.

(3) نشأة الدلالات العربية وتطورها، أحمد عزوز، ص181.

الصرفي هو ما يستفاد من الأوزان والصيغ المجردة، فاسم الفاعل مثلًا اسم مشتق على وزن فاعل من الّثلاثي، وهو يدلّ على معنى مجرد حادث وعلى فاعله، ولذا فهو يشتمل على معنيين:

- المعنى المجرد الحادث من مورفيم الجذر (الفعل).
- الفاعل الحادث من مورفيم الصيغة (فاعل)، نحو: كاتب – مثلًا– تدلّ على معنى الكتاب الحاصل منه الدلالة المعجمية لـ:(كتب)، إضافةً إلى الّذات التي كتبت[1].

كما تظهر العلاقة بين العلمين من اختلاف معاني الصيغ، أو قل من اختلاف معاني المورفيمات السابقة واللاحقة، فالطالب غير الطالبة؛ لأنّ الّتاء مورفيم تأنيث، والكتاب غير كتاب؛ لأنّ الألف واللام مورفيم تعريف، ومثل ذلك في الأفعال: (نصر، ناصر، انتصر استنصر، تناصر) فكّلها متباينة الدلالة، لما يحمله كلّ فعل منها من صيغة، على الرغم من اشتراكهما جميعًا في جذر لغوي واحد. إضافةً إلى دلالة الصيغة الصرفية، أي: الدلالة الصرفية[2].

إنَّ علم الصرف يكشف عن الطرق التي تُنمي اللغة، وتُزودها بالمباني التي تندرج تحتها ما لا حصر له من الكلمات، فهو علم وظيفي يزود الناطقين باللغة برصيد هائل من المفردات، ويُعدُّ بذلك عِلْمًا توليديًا يولِّد من الأصول القليلة فروعاً كثيرة.

ويُعدُّ القرآن الكريم حجة في اللغة العربية وأحد أهم أدلة الصناعة لدى علماء اللغة العربية، وقد درس علماء الصرف الأبنية وخصصوا لكل بناء دلالة معينة فيه حتى اتضحت معالم درس الدلالة الصرفية، واستدلوا على هذه الدلالة من معطيات النّص القرآني، و يُعدُّ القرآن الكريم من أوثق النصوص العربية وأعلاها بلاغة، وتميز نقلة بدقة الضبط، وهو بديع النظم عجيب التأليف متناه في البلاغة على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه[3].

---

(1) محاضرات في علم الدلالة، خليفة بوجادي، ص91.

(2) في علم الدلالة، محمد سعد محمد، ص18.

(3) نكت الانتصار لنقل القرآن الكريم، أبو بكر الباقلاني، ص21.

فالقرآن حجة لكل قاعدة فحجته لا ترد لأنّه" أعرب وأقوى في الحجة من الشعر"[1]. ولذا نجد أن القرآن الكريم يُعدُّ الأصل الأول من أصول الاستشهاد اللغوي، وهو الدعامة التي ترتكز عليها أصول الاستشهاد الأخرى.

ولأهمية اللفظ والبناء في النّص القرآني ولأنّ كلمة التعبير القرآني مقصودة قصدًا أكيدًا، لا يمكن أن تؤدي مؤداها، ولا أن تدل على معناها أي كلمة أخرى[2]. ولذلك نجد عدة نظريات ظهرت في تفسير القرآن الكريم كلها تصب في تفسير معاني الكلمات والأبنية كالتفسير اللغوي والتفسير المعنوي، ولهذا تعددت الدلالات في تفسير الكلمة الواحدة باختلاف نظرة العلماء إلّا ما تقارب في المعنى والوزن فقد يتفقون فيه.

يُعدُّ علم الصرف أحد العلوم التي يستند إليها علم التفسير في شرح النّص القرآني، وفهم تركيب كلماته وآياته، وهما مرتبطان ارتباطًا وثيقًا، لذلك أولى علماء اللغة والمفسرون جل اهتمامهم لبيان الدلالات الصرفية في القرآن الكريم، لما لعلم التصريف من فائدة في إيضاح المعنى، حيث يقول ابن جني (ت 392هـ): "إنّ التصريف يحتاج إليه جميع أهل العربية أتمّ حاجة، وبهم إليه أشد فاقة؛ لأنّه ميزان العربية، وبه تعرف أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها"[3].

ويقول الزركشي (ت794هـ): "إنّ فائدة التصريف حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد، فالعلم به أهم من معرفة النحو في تعرف اللغة؛ لأنّ التصريف في ذات الكلمة، والنحو نظر في عوارضها، وهو من العلوم التي يحتاج إليها المفسر"[4]. حيث اشترط في المتصدي لعلم التفسير أن يكون ملما بعلوم العربية، لأنّ تبين ما أبهم من الآي لا يتأتى إلّا لمن كان جامعا للعلوم، حيث يقول الزركشي:" اعلم أنّه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شيء من كلام الله، ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركًا، وهو يعلم أحد المعنيين والمراد المعنى الآخر"[5].

---

(1) معاني القرآن، للفراء، ج1/ص32.

(2) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ص51-52.

(3) المنصف، ابن جني، ص7.

(4) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ص208.

(5) المرجع السابق، ص206.

وعليه فعلم الصرف من علوم اللغة التي لا غنى عنها لمتدبر خطاب الله عز وجل؛ لأنّ الأبنية والصيغ لا تعرف إلّا به، فمثلًا لفظة (وجد) لفظة مبهمة وإذا صُرِفت اتَّضحت، فتقول:

- وجَدَه يَجِدُه وجودًا إذا عثر على ضالته.
- ووَجَدَ يَجِدُ وُجدًا و وِجدانًا، أي: صار ذا مال.
- ووَجَدَ يَجِدُ لفلان وُجدًا إذا حزن.
- ووَجَدَ يَجِدُ لفلانة وُجدًا شديدًا إذا كان يهواها ويحبها حبًا شديدًا [1].

ولا شك أنّ الجهل بالتصريف أو تجاهله هو الذي أوقع بعض المفسرين في أخطاء عديدة لا مكان لها في ميزان العقل، من ذلك مثلًا من فسر قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾(الإسراء: 71)، حيث يقول الزمخشري (ت538هـ): "من بِدَع التفاسير أنّ (الإمام) جمع (أمّ) أنّ النّاس يُدعَون بأمهاتهم، وأنّ الحكمة في الدعاء بالأمهات دون الآباء رعاية حق لسيدنا عيسى– عليه السلام–، وإظهار شرف الحسن والحسين، وألّا يفتضح أولاد الزنا[2]، وهذا من بدع التفاسير؛ لأنّ لفظة أم لا تجمع على الإمام بل جمعها أمهات، ولو روعي صحة اللفظ لكان المعنى (يوم ندعو كل أناس بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين) [3].

ونقل الزركشي عن الأصفهاني ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾(البقرة: 72)، وأنّ ادارأتم هو تفاعلتم؛ لأنّ أصله تدارأتم، فأريد منه الإدغام تخفيفًا وأبدل من التاء دال فَسُكِن للإدغام؛ فاجتلبت لها ألف الوصل، فحصل على افاعلتم[4].

ومما يبين أثر الدلالة الصرفية في توضيح وبيان المعنى نذكر قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ (المدثر: 50)؛ أي: نافرة. يقال: نفرت واستنفرت بمعنىً مثل: عجبت واستعجبت، وسخرت واستسخرت [5]. وقال الزمخشري: المستنفرة الشديدة النفار كأنّها تطلب النفار من نفوسها في

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، ج3/ ص445–446.

(2) الكشاف، للزمخشري، ج2/ص682.

(3) المرجع السابق، ج6/ص682.

(4) البرهان، للزركشي، ص209.

(5) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج21/ص400.

جمعها له وحملها عليه[1]. ومنه فمستنفرة أبلغ من نافرة. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾(آل عمران: 2).

فذكر ابن عاشور "أنّ التضعيف في (نَزَّل) للتعدية فهو يساوي الهمزة في أنزل، وإنّما التضعيف يؤذن بقوة الفعل في كيفيته أو كميته، في الفعل المتعدي بغير التضعيف من أجل أنهم قد أتوا ببعض الأفعال المتعدية للدلالة على ذلك، كقولهم: فسَر، وفَسَّر، وفرَق وفرَّق، وكسَر وكسَّر، كما أتوا بأفعال قاصرة بصيغة المضاعفة، دون التعدية للدلالة على قوة الفعل، كما قالوا: مات وموَّت، وصاح وصيَّح. فأما إذا صار التضعيف للتعدية فلا أوقن بأنّه يدل على تقوية الفعل، إلّا أن يقال: إنّ العدول عن التعدية بالهمز إلى التعدية بالتضعيف لقصد ما عهد في التضعيف من تقوية معنى الفعل"[2]. ويقول عز وجل: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾(الجن: 15)، ويقول أيضًا: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(الحجرات: 9).

والقاسطون هم الجائرون عن طريق الحق[3]. والمقسطين العادلين، فالفعل منه أقسط وهمزته للسلب، أي: أزال القسط وهو الجور [4].

وقال ابن منظور: "أقسَط يُقسِط فهو مُقسِط إذا عدل، وقَسَطَ يَقسِط فهو قاسِط إذا جار، فكأنّ الهمزة في أقسط للسلب كما يقال شكا إليه فأشكاه"[5].

وعليه فهمزة السلب قد نقلت الفعل من الجور إلى العدل وحولت المعنى.

ومما سبق يتبين أهمية معرفة التصريف للمفسرين والفقهاء واللغويين على السواء، ونحاول فيما يأتي بيان ما ورد في أسلوب القصة القرآنية من ألفاظ وأبنية كان لها دور في وضوح القصة وأثره في التركيب أو النظم القرآني لهذه القصة، والتي لا يمكن أن تستبدل بها كلمات في تأدية معناها وموضعها في القصة القرآنية.

---

(1) الكشاف، للزمخشري، ج4/ص656.
(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج3/ص147.
(3) الكشاف، للزمخشري، ج4/ص628.
(4) المرجع السابق، ج4/ص366.
(5) لسان العرب، ابن منظور، ج7/ص377.

الفصل الأول: **القصص القرآني**

- **المبحث الأول: ويشمل ثلاثة مطالب:**
  - المطلب الأول: التركيب القرآني وخصائصه.
  - المطلب الثاني: التعريف بالقصص القرآني لغةً واصطلاحًا.
  - المطلب الثالث: الفرق بين القصص: القرآني والأدبي.

- **المبحث الثاني: وشمل مطلبين:**
  - المطلب الأول: أنواع القصص القرآني.
  - المطلب الثاني: عدد السور والآيات المتصلة بالقصص القرآني.

- **المبحث الثالث: وشمل أربعة مطالب:**
  - المطلب الأول: أهمية القصص القرآني.
  - المطلب الثاني: الأسلوب القرآني.
  - المطلب الثالث: حكمة التكرار من القصة القرآنية.
  - المطلب الرابع: خصائص القصة القرآنية.

المبحث الأول: التركيب القرآني

المطلب الأول: التركيب القرآني وخصائصه

التركيب القرآني هو من صنع إلهي وليس من صنع بشري، ونقصد بالتركيب دراسة العلاقات التركيبية بين الوحدات اللغوية، والعلم الذي يهتم بتحليل هذه العلاقات هو علم التركيب، ويتناول بنية الكلمة والجملة وأجزاء الخطاب تأليفًا وتركيبًا، وهو علم لساني دقيق يعالج البنية التركيبية للجمل وما يطرأ عليها من تغيير تركيبي، كما يسعى إلى توضيح العلاقات التركيبية التي تربط بين الكلمات المشكلة لهذه الجمل، هذه العلاقات التي بدونها تصبح الكلمات مبعثرة بلا قيمة(1).

إنَّ تركيب القرآن تركيب غير عادي؛ لأنّه يتضمن أوجهًا من الإعجاز؛ سواء من حيث البنية التركيبية للجمل، أو من حيث هندسة الكلمات المؤلفة لهذه الجمل، وخاصة عندما يتعلق الأمر بالحروف المقطعة في فواتح السور في القرآن الكريم، نحو: (ألم) كما في سورة البقرة، وآل عمران... أو (ألر) كما في سورة يونس وهود وإبراهيم... إلخ.

التركيب القرآني تركيب شمولي تتداخل فيه قواعد النحو وفنون البلاغة، وتتبع ظواهره يقتضي معرفة شاملة بقواعد النّحو واللغة والمعاني، وإنّ أسلوب التركيب القرآني يتميز بخصائص جمة، نذكر منها:

1)الاتساق اللفظي والإيقاع الداخلي المتناغم مع المعنى:

إنّ التركيبات اللغوية القرآنية تتميز بالتناسق الدقيق بين الألفاظ، والانسجام بين الدوال ومدلولاتها، فتعبر عن معانٍ ومدلولات عظيمة ذات أغراض بلاغية بديعة بأسلوب محكم معجز؛ إذ يستحيل على البشر محاكاته وتقليده، فضلًا عن ذلك أنها ذات أصوات يستريح إليها السمع ويألفها الذوق، ولا تتم معانيها إلا بالصورة التي وردت بها، وأي وجه من التغيير أو التبديل أو النقص أو الزيادة يضيع معه هذا الجمال والإبداع القرآني، ونمثل لذلك بقوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾(القمر: 11-12)، فحينما نتأمل في تناسق

---

(1) يُنظر: تكامل المستويات اللسانية في تفسير المعنى، المعنى المضمر نموذجا، محمد الغريسي، ص723.

الكلمات في كل جملة منها، وتآلف الحروف الرخوة مع الشديدة ومع المهموسة والمجهورة... وغيرها، وتآلف الحركات والسكنات والمدود وتعاطفها مع بعضها، ندرك أنّ هذه الجمل القرآنية إنّما صبت من الكلمات والحروف والحركات في المقدار، وأنّ ذلك إنّما قدر تقديرًا بعلم اللطيف الخبير، وهيهات للمقاييس البشرية أن تقوى على ضبط الكلام بهذه القوالب الدقيقة(1).

2)التعبير الموجز الوافي:

يقصد بالإيجاز الدلالة بأقصر العبارات على أوسع المعاني؛ فالتركيب القرآني مهما اختلفت صوره وأشكاله فلن تَجد في تعبيره كلمة زائدة يصلح المعنى عند الاستغناء عنها، ولا يستطيع الإنسان أن يعبّر عن مقصود الجملة القرآنية من عنده إلا بتفصيل الكلام في جمل عديدة، مثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ * يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف:45-46)، فبين كلمة (فأرسلون) وكلمة (يوسف) يكمن معنى العبارة الآتية: (إلى يوسف لأستعبر منه الرؤيا، فأرسلوه، فذهب إلى السجن وقال...)، فقد أوجز جملا عدة في جملة واحدة، من دون أن يخلّ بوضوح الآية ولا أشكل في فهمها. وهذا التركيب الذي يحمل وجه التحدي في الأسلوب القرآني للعرب الأوائل في فصاحتهم وبلاغتهم وميلهم إلى الايجاز والاختصار في شعرهم ونثرهم الذي وصل إلينا، ولعل مظهر الإيجاز أو الاختصار في التركيب القرآني مظهر من مظاهر وجوه إعجازه الذي لن يستطيعه أرباب البيان من العلماء القدماء إلى يومنا هذا.

3)الجمال الفني الفصيح المبين:

تتميز التراكيب القرآنية بالتصوير الفني الراقي والبيان الفصيح والمتانة والهيبة، وأنّها قد وُضعت وضعًا بحيث إنَّ لكلِ كلام ولكل كلمة ولكل حرف، بل حتى لكل وقف ووصل أحيانًا وجوهًا كثيرةً جدًا، تمنح كل قارئ حظّه ونصيبه من أبواب مختلفة، وأنّ لكل آية دلالة نصية ظاهرية، ودلالة خفية استنباطية، وأنّ كل عبارة في القرآن ذات شجونٍ وغصون وفنون.

(1) اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام خصومه، كمال داود، ص210-211.

نذكر على سبيل المثال الدلالة التركيبية لقوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾(الحجرات:12).

ذَكَرَ الأستاذ سعيد النورسي[1] أنّ الآية تنهى وتزجر عن الغيبة بشدة وعنف بست مراتب، وأكد أنّ النهي يفيد التحريم، ورأى أنّ الهمزة الموجودة في البداية تفيد الاستفهام الإنكاري، وأن حكمها يسري إلى كلمات الآية جميعها، فكل كلمة منها تتضمن حكمًا.

وعدّ الأستاذ الكلمة الأولى في الآية مقدرة بـ(ليس)؛ وذلك لأنّ الاستفهام الإنكاري يتضمن معنى ليس، فيكون معنى الآية بحسب تقدير الأستاذ:

أليس لكم عقل وهو محل الإدراك لتميزوا به القبيح من الحسن؟

وفي الكلمة الثانية: (أيُحب) تخاطب الآية بالهمزة، فيكون المعنى: هل فسد قلبكم وهو محل الحب والبغض حتى أصبح يرغب في أقبح الأشياء وأشدها تنفيًا؟

وفي الكلمة الثالثة: (أحدكم) تخاطب بالهمزة: يفهم منها الإنكار على ما جرى في الحياة الاجتماعية التي تستمد منها حيوية الجماعة، وتوحي العبارة إلى رفض المدنية التي تفسد الحياة الاجتماعية وتعكر صفوها.

وفي الكلمة الرابعة: (أن يأكل لحم) تخاطب بالهمزة: وفيها إنكار على ما أصابت الإنسانية من الأنانية والحقد، حتى أصبح الصديق ينال من صديقه الحميم في غيبته[2].

وفي الكلمة الخامسة: (أخيه) تخاطب بالهمزة: وفيها إنكار شديد على انعدام الرأفة، كأنّه قال: أليس بكم رأفة ببني جنسكم؟ أليس لكم صلة رحم تربطكم معهم؟ حتى أصبحتم تفتكون بمن هو أخوكم من جهات عدة، وتنهشون شخصه المعنوي المظلوم نهشًا قاسيًا.

---

(1) الكلمات، سعيد النورسي، ص438–439.

(2) المرجع السابق، ص348.

وفي الكلمة السادسة: (ميتًا) وفيها إنكار على إفساد الفطرة، وفقدان الوجدان إلى أن أصبح الإنسان يجترح أبغض الأشياء وأفسدها، وهو أكل لحم أخيه في الوقت الذي هو جدير بكل احترام وتوقير [(1)].

وبعد هذا التحليل نتوصل إلى أن الآية الكريمة بلغت ذروة الفصاحة، ففيه قياس تمثيلي في غاية الروعة والجمال الفني؛ لأنّ ثمة مناسبة قوية بين الغيبة وأكل الإنسان لحم أخيه الإنسان؛ وذلك لأنّ الغبية تعني ذكر مثالب الآخرين وعيوبهم وتمزيق أعراضهم في غيبتهم، وأنّ تمزيق العرض يشبه تمزيق اللحم؛ لأنّه لمّا كان المغتاب يمزق عرض أخيه في غيبته، كان بمنزلة من يقطع لحمه في حال موته؛ ولما كان المغتاب عاجزًا عن رد الفرية عن نفسه، كان بمنزلة الميت الذي يقُطع لحمه ولا يستطيع أن يدافع عن نفسه. وأما اعتبار ما هو في الغاية من الكراهة موصولًا بالمحبة، فلِما جبلت عليه النفوس من الميل إلى الغيبة والشهوة لها مع العلم بقبحها[(2)].

يفهم مما سبق أنّ القرآن الكريم ببيانه المتين الموجز استخدم القياس والتشبيه التمثيلي ومطابقة المعقول للمحسوس، لِتدُل دلالة قطعية على أنّ الغيبة محرمةٌ شرعًا، وقبيحةٌ عقلًا، ومذمومةٌ فطرةً، ومنبوذةٌ عرفًا وواقعًا، ولا تظهر في ملامحه وأعماله.

4)بُعد أسلوبه عن السأم والملل:

أي أنّه يتجدد كلما ردده اللسان، وسمعته الآذان بخلاف كلام البشر فإنّه لا يلبث أن يُسأم منه إذا كرر مرتين أو أكثر، في حين أنّ المصلي يكرر سورة الفاتحة سبع عشرة مرة في الصلوات المفروضة، فضلًا عن النوافل في اليوم الواحد، ويفعل ذلك كل يوم في عمره كله من دون أن يكل أو يمل. وأنّه لا يثقل على ذهن طفل بسيط فيحفظه، ولا يعجز إنسان أمي أعجمي عن قراءته، بل حفظه عن ظهر قلب، ولا تسأم منه أذن المصاب بداءٍ عضال الذي يتأذى من أدنى كلام، بل يتلذذ به [(3)]. والدليل على ذلك اعتراف أشد الناس عداوة للإسلام الوليد بن المغيرة أحد رؤساء المشركين وبلغائهم بإعجاز فصاحة القرآن؛ إذ قال بعد أن سمعه: "والله إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق، وما يقول هذا بشر، ثم قال لقومه: والله ما فيكم

(1) الكلمات، سعيد النورسي، ص349.

(2) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ج3/ ص26. ابن القيم، التفسير القيم، ص480.

(3) الكلمات، سعيد النورسي، ص435.

رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيدته مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئا من هذا والله... إنّه ليعلو وما يعلى، وإنّه ليحطم ما تحته"[1].

5)النظم الراقي المبدع:

يقصد بالنظم: تعلق الألفاظ بعضها ببعض في السياق من حيث الظاهر والخفاء والقرب والبعد، ثم الجمع والتنسيق بين دلالتها للوصول إلى معنى موافق لما يقتضيه المقام[2].

ويظهر مما سبق أنّه لا يمكن استنباط المعنى من اللفظ ذاته خارجًا عن السياق، بل لا بُدَّ من وضعه في سياق معين، ثم التنسيق بين دلالته ودلالة بقية الألفاظ بناء على الأغراض البلاغية المستوحاة من أسلوب التقديم والتأخير، والوقف والوصل، والإيجاز والتفصيل، واللف والنشر وغيرها من الأساليب، وذلك لأنّ المعاني هي المقصودة في إحداث النظم، وما الألفاظ إلا وسيلة للإفصاح عنها[3].

وثمة أمثلة عديدة لبيان نظم الكلمات والتناسق بينها في السياق، بحيث لا يصلح مكانها غيرها بتناسق وانسجام، نذكر منها قوله تعالى:﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾(الأنبياء: 46).

إذ إنَّ هذه الآية مسوقة لإظهار هول العذاب، وفيها تهويلٌ مستفادٌ من التقليل الذي تضمنته، وهو نوعٌ من انعكاس الضد من الضد، ولهذا فإنّ جميع هيئات الجملة التي تفيد التقليل تنظر إلى هذا التقليل وتمده بالقوة كي يظهر الهول: فلفظ (لئن) هو للتشكيك، والشك يوحي القلة.

ولفظ (مسَّ) هو أول الإصابة وأدنى أنواعها في الأذية، يفيد القلة أيضًا.

---

(1) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، البيهقي، ص 268. والبيهقي، أحَد بن الخراساني، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ج2/ ص198.

(2) دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص7. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، سعيد النورسي، ص31.

(3) الإعجاز البياني في القرآن الكريم عند بديع الزمان سعيد النورسي، لطيفة فارس، ص146.

ولفظ (نفحة) مادته رائحة قليلة، فيفيد القلة، كما أنّ صيغته تدل على واحدة؛ أي: واحدة صغيرة، كما في التعبير الصرفي مصدر المرة فيفيد القلة. وكذلك التنكير يفيد التقليل هنا بمعنى أنّها شيء صغير إلى حد لا يُعلم، فيُنكر.

ولفظ (من) هو للتبعيض، بمعنى جزء، فيفيد القلة.

ولفظ (عذاب) هو نوع خفيف من الجزاء قياسًا بلفظ النكال والعقاب، فيشير إلى القلة.

ولفظ (ربك) يدل على الشفقة فيفيد القلة بعكس لفظ (القهار، الجبار، المنتقم)، فإنّها تدل على الشدة البالغة.

إذا كان العذاب شديدًا ومؤثرًا مع هذه القلة، فكيف يكون هول العقاب الإلهي؟ (1)

وهكذا تَجود هذه الآية القصيرة بمعانٍ بليغة جمة، إذ إنَّها تدل بمنطوقها على أنّ العصاة إذا لم يصبروا على أدنى أنواع العذاب، فبطريق الأولى أنّهم لا يتحملون العذاب الأكبر. إذ ذُكِر أدنى أنواع العذاب، وتُرِك للقارئ أن يتأمل العذاب الأكبر عن طريق قياس الأولى.

ولو جئنا لاستعراض خصائص التراكيب القرآنية لاحتاج الأمر إلى دراسات طويلة، وحسبنا الإشارة إلى بعض الخصائص التي تدعو الذهن إلى التعمق في مداليلها، والعمل على استنباط خصائص أخرى يتميز بها التركيب القرآني عن غيره من التراكيب؛ لأنَّ القرآن الكريم هو النص الذي لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي غرائبه، ولا تفنى جواهره. وهذا من اللوازم العقدية العقلية للإيمان بمصدرية الوحي الإلهي لهذا النظم الفريد.

---

(1) الكلمات، سعيد النورسي، ص40.

المطلب الثاني: تعريف القصص القرآني لغةً واصطلاحًا

إنَّ القصة جنس من أجناس الأدب الذي عرف عند العلماء والأدباء والنقاد، وللقصة خصائها ومميزاتها في كل لغة من اللغات قديمًا وحديثًا، والقصص نوعان: قصص أدبي بشري فيه مظاهر الجمال في النظم والمعنى، وقصصٌ أدبي قرآني إلهي فيه مظاهر الجمال والكمال التي لا يرقى إليها القصص البشري.

والقصة القرآنية "كلام إلهي مفرغ في قالب الوحي" خرجت القصة البشرية الفنية الحرة المتوخى منها أداء غرض فني طليق، وبهذا فلا يصح أن نسمي القصص القرآني قصصًا بالمعني المصطلح عليه عند النقاد، فهو ليس عملًا فنيًا مستقلًا في موضوعه وطريقة عرضه، وإدارة حوادثه فحسب كما هو الشأن في القصة الفنية؛ بل يمتاز بأسلوبه المعجز في سرد الأحداث محققًا بذلك الغرض الأسمى في ظل ذلك السرد القصصي، وبهذه الميزة الفنية الإعجازية تحدى الله عزّ وجل العرب قاطبة على أن يأتوا بمثله أو ببعضه.

القصص القرآني يختلف عن غيره من القصص في ناحية أساسية هي ناحية الهدف والغرض الذي جاء من أجله، ذلك أنّ القرآن الكريم لم يتناول القصة لأنّها عمل (فني) مستقل في موضوعه وطريقة التعبير فيه، كما أنّه لم يأتِ بالقصة من أجل التحدث عن أخبار الماضين وتسجيل حياتهم وشؤونها – كما يفعل المؤرخون– وإنّما كان غرض القصة في القرآن الكريم مساهمة في الأساليب العديدة التي سلكها لتحقيق أهدافه وأغراضه الدينية التي جاء الكتاب الكريم من أجلها، بل يمكن أن تقول: إنّ القصة هي من أهم هذه الأساليب[1]، سنتناول القصة عامة، والقصة القرآنية خاصة في المباحث الآتية.

القصص لغةً:

القصة: الخبر، وهو القَصَص، وقصَّ عليّ خبره يقصه قصا: أورده [2].

---

(1) علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم، ص353.

(2) لسان العرب، ابن منظور، مج5، ج41، مادة (قصص)، ص3650.

ومنه: (القص وهو تتبع الأثر)، (والقَصص: الأثر) (والقصص: الأخبار المتتبعة) [1].

وللقصة معانٍ أُخرى متقاربة، فهي تأتي بمعنى (الخبر)، و(الأمر والحديث) و(الجملة من الكلام) [2].

(والقَصص بالفتح: الخبر المقصوص، وُضِع موضعَ المصدر حتى صار أغلَبَ عليه، والقِصص، بكسر القاف: جمع القِصة التي تكتب) [3].

القصص اصطلاحًا:

أفرد العلماء تعريفات خاصة للقصة القرآنية؛ ومنها أنّها هي: "إخبار الله عما حدث للأمم السابقة مع رسلهم، وما حدث بينهم وبين بعضهم، أو بينهم وبين غيرهم أفرادًا وجماعات، من كائنات بشرية أو غير بشرية، بحق وصدق، للهداية والعظة والعبر"[4].

وعرفها العلامة الطباطبائي في الميزان بقوله: إنّ القصة بمفهومها القرآني هي: "كلام إلهي مفرغ في قالب الوحي يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام"[5].

والقصة "الإخبار عن قضية ذات مراحل، يتبع بعضها بعضًا[6]. وقد يضم هذا التعريف القصة القرآنية وغيرها.

وتختص القصة في القرآن الكريم بتتبع أحداثًا ماضية وتعرض منها ما يفيد عرضه في مجال الدعوة إلى التوحيد الخالص والخلق الفاضل.

ومن هنا كانت تسمية الأخبار التي جاء بها القرآن قصصًا مما يدخل في المعنى العام لكلمة خبر أو نبأ، وقد استعمل القرآن الكريم الخبر والنبأ بمعنى التحدث عن الماضي، وإن كان

---

(1) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص671.
(2) لسان العرب، ابن منظور، مج5، ج41، مادة (قصص)، ص3650.
(3) المرجع السابق، نفسه.
(4) قصص القرآن، عبد الباسط بلبول، ج1/ ص36.
(5) تفسير الميزان، الطباطبائي، ج2/ ص308.
(6) أصول في التفسير، محمد بن صالح العثيمين، ج1/ص57.

قد فرق بينهما في المجال الذي استعملا فيه جريًا على ما قام عليه نظمه من دقة وإحكام وإعجاز، فاستعمل النبأ والأنباء في الإخبار عن الأحداث البعيدة زمانًا أو مكانًا، على حين أنّه استعمل الخبر والإخبار في الكشف عن الوقائع القريبة العهد بالوقوع، أو التي لا تزال مشاهدها قائمة مائلة للعيان.

ففي النبأ والأنباء يقول الله تعالى في أصحاب الكهف: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾(الكهف: 13)، وفي الخبر والأخبار يقول سبحانه مخاطبًا المؤمنين: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾(محمد:31)، ففي مجال الأخبار الواقعة في وقت نزوله والأخبار التي وقعت بعده يحدثنا عن الكثير منها، فيكشف خباياها ويُبيّن وجه الحق فيها، كما نرى في حديث الإفك، وفي وقعة بدر وأحد وحنين، وفي بيعة الرضوان وصلح الحديبية، وغير ذلك كثير مما جاء به القرآن في أحوال وشؤون ملابسه لنزوله[1].

ومن هذا يتبين لنا أنّ القرآن يستعمل النبأ فيما مضى، والخبر في الأحداث الحاضرة والمستقبلة– غالباً.

إنَّ الغاية من القصة – كما رأينا– هو كشف عن آثار، وتنقيب عن أحداث نسيها الناس أو غفلوا عنها، وغاية ما يراد بهذا الكشف هو إعادة عرضها من جديد لتذكير الناس بها، والتفاتهم إليها لهم منها عبرة وموعظة. هكذا كان القصص القرآني، ولهذا جاء.

(1) قصص القرآن من آدم عليه السلام إلى أصحاب الفيل، محمد بكر إسماعيل، ص7–8.

المطلب الثالث: القصة القرآنية والقصص الأدبية[1]

اختلف العلماء والأدباء في أوجه التشابه والاختلاف بين القصة القرآنية والقصة الأدبية، ولم يجمعوا على قول واحد؛ لأنّ القصص القرآني يختلف عن غيره من القصص في ناحية أساسية هي ناحية الهدف والغرض الذي جاء من أجله، ذلك أنّ القرآن الكريم لم يتناول القصة لأنّها عمل (فني) مستقل في موضوعه وطريقة التعبير فيه، كما أنّه لم يأت بالقصة من أجل التحدث عن أخبار الماضين وتسجيل حياتهم وشؤونهم كما يفعل المؤرخون، وإنّما كان عرض القصة في القرآن الكريم مساهمة في الأساليب العديدة التي سلكها لتحقيق أهدافه وأغراضه الدينية التي جاء الكتاب الكريم من أجلها، بل يمكن أن نقول: إنّ القصة هي من أهم هذه الأساليب. فالقرآن الكريم رسالة دينية قبل كل شيء، تهدف بصورة أساسية إلى عملية التغيير الاجتماعي بجوانبها المختلفة، هذه العملية التي وجدنا بعض مظاهرها وآثارها في طريقة نزول القرآن التدريجي، وفي طريقة عرض المفاهيم المختلفة، وفي ربط نزول القرآن بالأحداث والوقائع والأسئلة، وفي أسلوب القرآن في القصر والإيجاز، أو المزج بين الصور والمشاهد المتعددة، الأمر الذي أدى إلى نشوء كثير من الدراسات القرآنية، عرفنا منها الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والمكي والمدني وغيرها. لذا فلا بدّ لنا – حين نريد أن ندرس القصة القرآنية – أن نضع أمامنا هذا الهدف القرآني العام لنتعرف من خلاله على الأسلوب الذي اتبعه القرآن الكريم في عرضه للقصة القرآنية مساهمة منه في تحقيق هذا الهدف.

فنلاحظ أَنَّ القصة الأدبية في القديم والحديث، بعضها يقوم على الخيال الذي لا حقيقة له، وبعضها يقوم على تشويه الحقائق، وثالث ينحرف به كاتبه عن القيم والمثل والمبادئ الكريمة، ويقول الدكتور فضل حسن عباس في كتابه القصص القرآني: "ونظرة إلى كتّاب القصة الذين اشتهروا نجد أنّ الشذوذ والانحلال الخلقي والإلحاد والتهريج كان الطابع العام لأكثرهم"[2].

---

(1) علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم، ص353-354.

(2) القصص القرآني، فضل حسن عباس، ص50.

إنّ القصة الأدبية تنزع أحيانًا إلى الخيال، ويجد السامع أو القارئ لها أثرًا بليغًا في نفسه؛ لأنّ النفس تميل إلى العجائب والغرائب في القصة أحيانًا. فقد ترد القصة في الأدب العربي معتمدة على الخيال المجنح وليس لها صلة بالحقيقة في الواقع(1).

القصة في الاصطلاح الأدبي المتداول لم تستقر على مدلول محدَّد، فهي تارة تستعمل للدلالة على مشتملات الفن القصصي بعامة، من رواية وأقصوصة وحكاية ونادرة... وغيرها، وهي في بعض الأحيان تُسْتَخْدَمُ للدلالة على نوع من الفن القصصي لا يطول ليبلغ حدَّ الرواية، ولا يقصر ليقف عند حدّ الأقصوصة(2).

يقول طاهر حجَّار: "من الصعب أن نعطي تحديدًا شاملًا للقصة بحيث نفهم كل إمكانيات هذا النوع الأدبي الذي لم يثبت بعد، وفعلًا ما هو الفرق بين الرواية والقصة، والقصة القصيرة..."(3).

أمّا القصة القرآنية ليست من الخيال، فهي تعبر عن الواقع وتقص الحق والصدق، وهي لا تقص على سبيل الحكاية والتسلية في المجالس(4).

لذلك نجد أنّ هناك فوارق بين القصة القرآنية والقصة الأدبية، منها:

1) **المصدر**: القصة القرآنية مصدرها رباني، إذ هو منزل من عند الله تعالى، وفي القصة الأدبية المصدر بشري، فهو من نتاج مؤلفين (5).
2) **اتساع المدى والعمق**: " القصة القرآنية تتناول كافة الأبعاد طولًا وعرضًا وعمقًا، سواء في ذكرها لأحوال النفس الإنسانية أو لآفاق الكون"(6). والقصة الأدبية تعجز عن ذلك لعدم المعرفة بتلك الأبعاد بنفس العمق والإحاطة لمحدودية الإمكانات.

---

(1) مع قصص السابقين في القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص13.
(2) المعجم المفصل في اللغة والآداب، إميل بديع يعقوب، ج2/ص980.
(3) الأدب والأنواع الأدبية، طاهر حجار، ص99.
(4) القصة في القرآن الكريم وما آثر حولها من شبهات والرد عليها، مصطفى محمد سليمان، ص 160.
(5) القصة في التربية، عبد العزيز عبد المجيد، ص20.
(6) المرجع السابق، ص53.

3) **المستوى الفني** في القصة القرآنية رفيع في أعلى درجات الجمال والكمال، لا يتفاوت تبعًا للحالة النفسية أو البيئية المحيطة، وفي القصة الأدبية متفاوت، تبعًا لأحوال المؤلف النفسية والاجتماعية، وقوته في التعبير والبيئة والظروف المحيطة به(1).

4) **الهدف:** في القصة القرآنية للعظة والعبرة والهداية، وفي القصة الأدبية يختلف باختلاف الأشخاص والأفكار والنوايا (2).

5) **العناصر**: القصة القرآنية لا يشترط فيها توفر كل العناصر، فقد يتوفر بعضها حسب السياق والهدف القرآني، أما القصة الأدبية فلا بُدَّ فيها من توفر كل العناصر، مثل: الشخصيات والحدث والزمان والمكان وكلها تعمل مجتمعة لإبراز الفكرة التي من أجلها وضعت القصة(3).

6) **الشخصيات:** القصة القرآنية كلها واقعية، والنص القرآني حين يغفل أسماء بعض الشخصيات وأعيان الذوات؛ فذلك ليصور نماذج البشر، وأنماط الطبائع، لذلك لم يعن القرآن الكريم برسم الخطوط الشكلية للشخصية، وإبراز ملامحها الخارجية، وإنّما يكشف عن مزاج الشخصية، أما الشخصيات في القصة الأدبية فهي من صنع الكاتب وخياله، ومن هنا لا يكون للكشف عن أسمائها أثر في وجودها الذي أقامها الكاتب عليه، وهذا من شأنه أن يضعف الإحساس بوجود الشخصية في الدور الذي تمثله، ولهذا فإنّ الصفات لا الأسماء هي التي تحدد معالم الشخص هنا(4).

7) **الحوار**: يتميز الحوار في القصص القرآني بمزايا كثيرة لا يجاريه فيها الأدب في قصصه، وبما أنّ الحوار في القصص القرآني هو الروح الذي يسري به كيان العمل القصصي، وهو يصور المواقف تصويرًا تامًا يتناول جميع أجزائها، فهو يؤدي دورًا هامًا في إبراز الأهداف التربوية الإسلامية السامية، فهو الذي يبعث الحياة والحركة في الحدث، ويؤدي إلى الهدف، ويكشف عن مدى الصراع في المواقف المتغايرة، كما أنّه يترجم عن الشخصية.

8) **الزمان والمكان** في القصة القرآنية يذكران بحسب الحاجة والقدر المناسب، ولا يشترط فيه التسلسل الشخصي، وتكون الأجزاء فيه متجهة للأمام دائمًا، إذ ليس من طبيعة الزمن أن

---

(1) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، ص42.

(2) مباحث في علوم القرآن الكريم، مناع القطان، ص93.

(3) القصة في التربية، ص20.

(4) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج5/ ص2835.

يتحرك إلى الوراء، أمّا في القصة الأدبية فقد يذكر بحسب الحاجة، وبقدر مختلف مشوب بالخيال، ولا يشترط فيه السير إلى الأمام، إذ إنَّه يتبع لرغبة المؤلف يبدأ من أي زمان أو مكان يشاء، ويرجع ويتقدم عنه بحسب ما يرى، ويلاحظ في القصص التاريخي التسلسل العام المفصل غالب الأحيان[1].

من هنا نستخلص أنّ القصة في القرآن الكريم حقيقة؛ لأنّها تعبر عن الواقع وتقص الحق والصدق لغاية دنيوية وأخروية، ليس كمثل القصة الأدبية لأنّها قد تكون ليس من الواقع الحقيقي والصادق بل تكون من الخيال أحيانًا، فغايتها دنيوية فحسب للتسلية والإمتاع.

---

(1) القصة في التربية، ص21.

المبحث الثاني

المطلب الأول: أنواع القصة القرآنية

لقد استخدم القرآن الكريم كل أنواع القصة[1]، وعرضها في أحسن صورة قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا القرآن وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (يوسف: 3). والقصة في القرآن الكريم على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: القصة التاريخية (قصص الأنبياء): [2]

وقد تضمنت دعوة الأنبياء لأقوامهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها، وعاقبة المؤمنين والمكذبين، مثل قصة نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، وبني إسرائيل، وصالح وثمود، وهود وعاد، وشعيب ومدين، ولوط وقريته، ومحمد – صلى الله عليه وسلم– وغيرهم من الأنبياء والمرسلين عليهم جميعًا أفضل الصلاة وأزكى التسليم، والقصة التاريخية – كما تتمثل في قصص الأنبياء– من أهم العوامل النفسية التي لجأ إليها القرآن في الجدال مع مخالفيه، وفي التبشير برضوان الله، والتحذير من معصيته، وفي شرح مبادئ الدعوة الإسلامية وأهدافها، وفي تثبيت قلب النبي– صلى الله عليه وسلم– ومن اتبعه، وفي الدلالة على صدق نبوة محمد– صلى الله عليه وسلم– وإنّه مبلغ عن ربه.

النوع الثاني: القصة الواقعية: [3]

والمقصود بها رصد الواقع، وإبراز أحداث حقيقية تتسم بطابع الكلية، وإبراز شخصيات تأخذ شكل نماذج بشرية، فعلى سبيل المثال: المنافقون الذين أعلنوا الإسلام وتظاهروا بالمحبة الصافية، لكنّ قلوبهم تنطوي على المرض والحقد والغدر والمكر، فهؤلاء لم يقولوا كلمة الإسلام بصدق لينتظموا في عقد الأنصار! بل كانوا أشد ضررًا، وأبلغ في الأذى، وفي هذا المعنى يقول جل شأنه: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾(البقرة: 14)، والمعنى: أَنَّ المنافقين يقولون للمؤمنين المصدِّقين بالله وكتابه ورسوله–

---

(1) منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، ص157.

(2) مباحث في علوم القرآن الكريم، مناع القطان، ص301.

(3) مع الأنبياء في القرآن الكريم قصص ودروس وعبر من حياتهم، عفيف عبد الفتاح طبارة، ص24.

بألسنتهم: آمنا وصدَّقنا بمحمد– صلى الله عليه وسلم– وبما جاء به من عند الله، خِداعًا عن دمائهم وأموالهم وذَرَاريهم، ودرءًا لهم عنها، وأنّهم إذا خَلَوا إلى مرَدَتهم وأهل العُتُو والشر والخُبث منهم ومن سائر أهل الشرك الذين هم على مثل الذي هم عليه من الكُفر بالله وبكتابه ورسوله – وهم شياطينهم، و شياطين كل شيء مَرَدَتُه – قالوا لهم: "إنّا معكم"؛ أي: إنّا معكم على دينكم، وظُهراؤكم على من خالفكُم فيه، وأولياؤكم دون أصحاب محمد– صلى الله عليه وسلم– إنّما نحن مستهزِئون" بالله وبكتابه ورسوله وأصحابه[1] "، كذلك التكذيب والكفر اللذان كانا من أقوام الأنبياء مثل كفر ابن نوح، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (هود: 46).

فمن الآية الكريمة يتبين أنّه كان كافرًا يعمل عمل الكافرين والكفر بقطع الولاية بين المؤمنين والكافرين من الأقربين ويوجب براءة بعضهم من بعض.

كما نجد مثالًا للعالم الذي استخدم قدرته في التضليل كالسامري الذي بصر بما لم يبصر به قومه، فصنع لهم العجل، وفي هذا المعنى يقول تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ، قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾(طه: 95-96).

ففي قصص القرآن الكريم أحداثٌ واقعية متجددة حتى في بعض ما هو معجز أو خارق للمألوف.

النوع الثالث: القصة المضروبة للتمثيل: [2]

ويقصد بها كل قصة بدأت بما ينبئ أنّها مثل مضروب لمشابهة حال المخاطبين لأحداثها، أو كانت غير منسوبة إلى أشخاص معينين ودلت أحداثها على أماكن وقوعها، فعلى سبيل المثال يقول جل وعلا في سورة الكهف: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنا لِأَحَدِهِما جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنابٍ وَحَفَفْناهُما بِنَخْلٍ وَجَعَلْنا بَيْنَهُما زَرْعًا * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَها وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَرًا * وَكانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقالَ لِصاحِبِهِ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ قالَ ما أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هذِهِ أَبَدًا * وَما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلى رَبِّي لَأَجِدَنَّ

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، ج1/ ص296.

(2) منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، ص157.

خَيْرًا مِنْها مُنْقَلَبًا * قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ ما شاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مالًا وَوَلَدًا *فَعَسى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْها حُسْبانًا مِنَ السَّماءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ ماؤُها غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلى ما أَنْفَقَ فِيها وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها وَيَقُولُ يا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَما كانَ مُنْتَصِرًا *هُنالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقّ هُوَ خَيْرٌ ثَوابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ (الكهف: 32-44)، إنّ هذه القصة بما تضمنته من تفصيل تضرب مثلًا للقيم الزائلة والقيم الباقية، وترسم نموذجين واضحين للنّفس المعتزة بزينة الحياة الدنيا، والنّفس المعتزة بالله، وكلاهما نموذج إنساني لطائفة من النّاس.

المطلب الثاني

عدد السور والآيات القرآنية المتصلة بالقصص القرآني

جاء القرآن الكريم في ثلاثين جزءًا، تفاوتت عدد كل جزء من أجزائه، وجاءت سوره في مئة وأربع عشرة سورة، احتلت القصة القرآنية سبعًا وخمسين سورة قرآنية، وبلغ عدد الآيات التي تحكي القصة القرآنية ألفًا وسبعمئة وتسعًا وثلاثين آية، كما هو مبين في الجدول الآتي:

وهذا الجدول يبين عدد السور والآيات المتصلة بالقصص القرآني:

تعداد	السورة	الآيات	عدد الآيات
1	البقرة (مدنية)	30 -103، 122 – 133، 243، 246 -251، 258 – 260	96
2	آل عمران (مدنية)	33 – 55، 59، 65 – 68، 84، 93 -97	34
3	النساء (مدنية)	1، 125، 153 – 164، 170 – 173	18
4	المائدة (مدنية)	20 – 31، 75، 110 – 118	22
5	الأنعام (مكية)	74 -91	18
6	الأعراف (مكية)	10 – 27، 59 – 93، 103 – 157، 159 -177، 189	128
7	الأنفال (مدنية)	5 – 19	15
8	يونس (مكية)	71-89، 93	24

9	هود (مكية)	17، 25 – 48 50 – 99، 110	76
10	يوسف (مكية)	1–101	101
11	إبراهيم (مكية)	5 – 17، 35 –41	20
12	الحجر (مكية)	26 – 44، 51 – 84	53
13	النحل (مكية)	120 – 124	5
14	الإسراء (مكية)	1 – 9، 59 – 65، 101 – 104	19
15	الكهف (مكية)		
16	مريم (مكية)	7 – 27، 32 – 60،58،44 – 98	55
17	طه (مكية)	9 – 99، 115 – 123	100
18	الأنبياء (مكية)	48 – 91، 96	45
19	الحج (مدنية)	26 – 28	3
20	المؤمنين (مكية)	23 – 56	34
21	الفرقان (مكية)	34– 40	6
22	الشعراء (مكية)	10 – 89، 105 – 190	166
23	النمل (مكية)	7 – 58	52
24	القصص(مكية)	2 – 46، 76 – 83	53
25	العنكبوت (مكية)	14 – 40	27
26	الروم (مكية)	2 – 5، 20 – 21	6

27	لقمان (مكية)	12 – 19	8
28	السجدة (مكية)	23 – 24	2
29	الأحزاب (مدنية)	9 – 27، 37 – 38، 50 – 52، 69	25
30	سبأ (مكية)	10 – 21	12
31	فاطر (مكية)	1، 6	2
32	يس (مكية)	13 – 30	18
33	الصافات (مكية)	75 – 148	74
34	ص (مكية)	12 – 26، 30 – 48، 71 – 85	49
35	غافر (مكية)	23 – 46، 82 – 85	28
36	فصلت (مكية)	9–18	10
37	الزخرف (مكية)	46–66	21
38	الدخان (مكية)	17–37	21
39	الأحقاف (مكية)	21–32	12
40	ق (مكية)	12 – 18	7
41	الذاريات (مكية)	24–37	14
42	النجم (مكية)	33 – 41	9
43	القمر (مكية)	9 – 42	34
44	الرحمن (مدنية)	14–15	2

45	الممتحنة (مدنية)	4–5	2
46	الصف (مدنية)	5–9	5
47	التحريم (مدنية)	1 – 5، 10 – 12	8
48	القلم (مكية)	17 – 33، 48 – 50	20
49	الحاقة (مكية)	4 – 12	9
50	نوح (مكية)	1 – 28	28
51	المدثر (مكية)	11–26	16
52	النازعات (مكية)	15–26	12
53	البروج (مكية)	4–11، 17–20	12
54	الفجر (مكية)	6–14	9
55	الشمس (مكية)	11–15	5
56	العلق (مكية)	9–19	11
57	الفيل (مكية)	1–5	5

المبحث الثالث

المطلب الأول: أهمية القصة في القرآن

إنَّ المساحة التي شغلتها القصة القرآنية من كتاب الله مساحة واسعة، ما نظنّ أنّ موضوعًا آخر كان له ما كان للقصة من نصيب؛ فحيز القصص القرآني الذي شغله من كتاب الله لا يقل عن (الربع) [1]. وقد اشتمل القرآن على قصص الأنبياء –عليهم السلام– وعلى قصص غيرهم من الأخيار أو الأشرار. نرى ذلك بصورة أكثر تفصيلًا في السور المكية؛ لأنّها أقامت الأدلة على وحدانية الله – تعالى – وعلى صدق رسوله –صلى الله عليه وسلم–.

وهذه الأدلة ساقتها السور المكية، تارة عن طريق قصص الأنبياء مع أقوامهم، وتارة عن غير ذلك من الطرق الأخرى، كالنظر في خلق السماوات والأرض، وفي خلق الإنسان وغيره.

ومن هنا ساق القرآن ما ساق من قصص يمتاز بسمو الغاية، وشريف المقصد، وصدق الكلمة والموضوع، وتحري الحقيقة بحيث لا تشوبها شائبة من الوهم أو الخيال أو مخالفة الواقع[2]، والقصة القرآنية نبع من الحكمة لا ينضب وبحرٌ زخرٌ بالدروس والعبر تستحق من أولي الألباب التأمل والنظر في خبرها الصدق، وقولها الحق تهدي من اعتبر إلى صراط الله المستقيم، وتصدق مسيرة المرسلين من لدن آدم ومرورًا بنوح وإبراهيم وتصلهم جميعًا بخاتم النبيين محمد –عليه السلام–؛ وذلك لأنّها ليست من نسج خيال البشر، ولا من نتاج عقولهم، أو تستطير أقلامهم، ولكنّها تنزيل من حكيم حميد[3].

القصص القرآني إن يكن من ناحية التنزيل سماويًا، إلّا أنّه من ناحية الواقع والتصوير أرضيًا.

فهو قصة وقعت في غابر الأزمان بأشخاصها وأحداثها، وزمانها ومكانها وملابساتها ثم يجيء القرآن فيقصها بأحسن القصص أسلوبًا محكمًا وعرضًا معجزًا وحقًا ثابتًا وهي لهذا لا تقع

---

(1) قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، ص١٢.

(2) القصة في القرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ج١/ ص٣.

(3) قصص القرآن دروس وعبر، سعد يوسف أبو عزيز، ص 9–10.

من النّاس موقع الإنكار... إذ النّاس هم النّاس والزمان هو الزمان والحياة يوم مكرر، وسُنّة الله لا تختلف[1].

وتحدث الحق سبحانه وتعالى عن خلق الكون في أول سورة بعد فاتحة الكتاب كما جاء في الترتيب المصحفي وبدأت كلمات الحق عن خلقه لمن يعمر ذلك الكون؛ فكأنّ القصة التي بدأ بها الله تعالى القصص القرآني هي قصة آدم– عليه السلام–... أول الخلق[2].

وقد ورد عن ابن عباس، قال: قالوا: يا رسول الله– صلى الله عليه وسلم– لو قصصت علينا. قال: فنزلت: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا القرآن وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾(يوسف: 3).

أي نحن نقص عليك أحسن القصص من الكتب الماضية وأمور الله السالفة في الأمم. فالقصص في القرآن قصص حق ورواية صدق. فالقاص هو الله جل وعلا الذي يأتي بالقصة على حقيقتها[3].

ومما هو جدير بالإشارة إليه أَنَّ القصة القرآنية الواحدة قد ترد في مواضيع متعددة من القرآن لهدف جديد أو عبرة جديدة، أو لتثبيت الفكرة الواحدة بعرضها بعدة أساليب أو من عدة زوايا؛ وذلك لأنّ تعدد ذكرها يفيد في تثبيت الأفكار وتحقيق الأهداف والغايات[4].

وللقصة في القرآن أهمية بالغة وأهداف سامية ومقاصد عالية، وحكم متعددة، من أهمها:

1) بيان أنّ الرسل جميعًا قد أرسلهم الله تعالى برسالة واحدة في أصولها، هي إخلاص العبادة لله الواحد القهار، وأداء التكاليف التي كلف خلقه بها. وقد وردت آيات كثيرة تدل على أنّ أوّل كلمة قالها كل رسول لقومه، هي: أمرهم بعبادة الله – تعالى – ونهيهم عن عبادة

(1) الوحدة الموضوعية في القرآن، محمد محمود حجازي، ص٣٠٦.

(2) قصص الأنبياء، محمد متولي الشعراوي، ج١/ص٢٠.

(3) قصص القرآن، حمدي بن محمد نور الدين آل نوفل، ص١١–12.

(4) قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، ص٤٤.

أحد سواه[1] فهذا نوح وهود وصالح وشعيب، يقول كل واحد منهم لقومه: كما حكى القرآن عنه: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾(الأعراف: 59).

2) بيان أنّ هذا القرآن من عند الله – تعالى–، وأنّ ما اشتمل عليه من قصص للسابقين، لا علم للرسول– صلى الله عليه وسلم – بها، وإنّما علمها بعد أن أوحاه الله – تعالى–، وأنّه صادق فيما يبلغه عن ربه.

فلنستمع إلى القرآن وهو يقرر ذلك في مواطن متعددة نورد منها ما جاء في أعقاب حديث طويل عن قصة نوح – عليه السلام – مع قومه: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾(هود: 49).

وهذه القصة وأمثالها (مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا) أنت يا محمد، وما كان يعلمها قومك – أيضًا – بهذه الصورة الصادقة الحكيمة (مِنْ قَبْلِ) هذا الوقت الذي أوحيناها إليك فيه [2].

3) إنَّ الخالق جلّ وعلا يخبر الرسول – عليه السلام – للقيام بمشاق ومهام الرسالة، وقد جاء في هذه الأنباء القول الحق الذي يحمل المنهج الواضح من توحيد الله وعبادته، والابتعاد عما يغضبه، وتقوية عزيمة المؤمنين وتثبيت أفئدتهم[3] قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(هود: 120).

4) بيان أَنَّ المعاصي هي سبب هلاك الأفراد، والأمم والشعوب، قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(العنكبوت: 40). فما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده ولعنه؟ وما الذي أخرج الأبوين من الجنّة؟ وما الذي أغرق فرعون في البحر، وما الذي سلط على بني إسرائيل أنواع العقوبات؟[4].

5) الاعتبار والاتعاظ. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي﴾ (يوسف: 111).

---

(1) القصة في القرآن، محمد سيد طنطاوي، ج١/ ص٤.

(2) المرجع السابق، ج١/ص5.

(3) قصص الأنبياء ومعها سيرة الرسول –صلى الله عليه وسلم–، محمد متولي الشعراوي، ص٢٢.

(4) قصص القرآن دروس وعبر، سعد يوسف أبو عزيز، ص٨-9.

لقد كان في قصص أولئك الأنبياء الكرام، وما جرى لهم من أقوامهم، عبرة لأصحاب العقول السليمة، والأفكار القويمة، بسبب ما اشتمل عليه هذا القصص من حكم وآداب وإرشادات[1].

6) مقارعة أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البيانات والهدى، وتحديه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل [2].
7) تعليم المسلمين فضائل الأخلاق عن طريق القدوة العملية الماثلة في قصص القرآن الكريم، والزجر عن الأخلاق الذميمة والفواحش، والحض على التوبة للمسيء، والإقناع العقلي والتأثير الوجداني لتمكين حقائق الإيمان والتوحيد والبعث في عقل وقلب المتلقي، وذلك من خلال أحداث بعض القصص وما فيها من حوار هادف مقنع [3].
8) بيان قدرة الله على الخوارق: كقصة خلق آدم، وقصة مولد عيسى، وقصة إبراهيم والطير الذي آب إليه بعد أن جعل على كل جبل منه جزءًا[4].

والقصة في القرآن تعطي الدليل القاطع علي أنّ حكم الله عادل، وأمره مبرم، وتشريعه محكم، لا يتغير في القديم والحاضر والمستقبل [5].

فتكون القصة القرآنية بذلك عبارة عن "أداة عملية ناجحة لتربية النفس وتقويم السلوك، وتصحيح الاعتقاد، وغرس الشعور المتوقد المتحفز بالسلطان الإلهي الغالب، والقدرة الإلهية المطلقة التي تتحدي البشر قاطبة، وتوجه الإنسان نحو عبادة الله الواحد الأحد، والخشوع لقدرة الله العظمي، وهيمنته التامة على هذا الوجود المادي الشامخ العظيم"[6].

---

(1) القصة في القرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ج١/ص7.
(2) قصص القرآن، سعد يوسف أبو عزيز، ص7.
(3) قصص القرآن الكريم، فضل عباس، ص٤٤45.
(4) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص١٢٥-126.
(5) القصة القرآنية، وهبة الزّحيلي، ص61.
(6) المرجع السابق، ص 61.

وليست القصة القرآنية "مجرد حكاية للتسلية وإمداد الخيال برؤى بعيدة التصور، وإنّما هي بيان صادق أمين لواقع تاريخي هزّ أركان أقوام طغوا وبغوا، فكانت هزة صادعة لجميع الأقوام والقبائل والأفراد"(1).

فالقصص القرآني "نسيج من الصدق الخالص، وعصارة من الحقيقة المصفاة، لا تشوبه شائبة من وهم أو خيال، إنَّه يبني من لبنات الواقع، بلا تزوير أو تمويه، وهذا الواقع لا يتغير وجهه، حين يعرض هذا العرض المعجز، في الأسلوب الرائع، فالإعجاز والروعة إنّما يتجليان في صدق الأداء، وفي نقل الواقع وما تلبس به في سرائر النّفوس، وخلجات الصدور، وأَنَّه نقل حيّ للأحداث"(2).

ومن الطبيعي أن تقوم القصة بدور فعال في مجال الدعوة، وأن يعني بها القرآن تلك العناية البالغة، وأن تكون من أعظم وسائله للدعوة والتربية، فقد عالجت القصص كل ما يهدف القرآن إلى الدعوة إليه أو تعميق الإيمان به في قلوب المؤمنين.

---

(1) القصة القرآنية، وهبة الزّحيلي، ص61.

(2) القصص القرآني، عبدالكريم الخطيب، ص9.

المطلب الثاني: أسلوب القصص القرآني

يروي القرآن الكريم قصص السابقين من الأمم والأقوام، وقصص الأنبياء والرسل تسلية لقلب الرسول-صلى الله عليه وسلم-، وتثبيتًا لفؤاده، ولتكون له عبرة وعظة، وليستفيد منها دروسًا يتعامل عن طريقها مع قومه المنصرفين عنه. وقد كانت القصة تأتي في القرآن الكريم في بضع آيات من السورة وأحيانا كانت تحتل ما يقرب من سورة بكاملها [(1)].

ويقول عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف: 111).

وقال الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وآَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ ومِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةُ مِنْ عِنْدَنَا وذِكْرَى لِلعَابِدِينَ﴾"(الأنبياء: 83). إنَّ صراع الإنسان في هذه الحياة، بدأ بقصة سيدنا آدم -عليه السلام-، وخروجه من الجنَّة بعد أن استَزلهُ الشيطان قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (البقرة: 35-36).

وأحياناً كانت السورة الواحدة تجمع عدة قصص يتراوح عدد آياتها من عشر آيات إلى ثلاثين آية، كما في سورة الكهف، فقد جاء في قصة أصحاب الكهف في ثماني عشرة آية وقصة الجنتين في اثنتي عشرة آية وقصة سيدنا موسى مع العبد الصالح- الخضر عليه السلام- في ثلاث وعشرين آية، وقصة ذي القرنين في سبع عشرة آية[(2)].

وللأسلوب القصصي أثره في توجيه العقيدة والسلوك منشؤه شعور انفعالي دافع، أو عامل وجداني مؤثر. والانفعال تجربة عابرة يمر بها الإنسان، عندما يكون الدافع قويًا، أمَّا العاطفة فهي

---

(1) قصص القرآن الكريم، فضل عباس، ص43-44، وينظر: قصص القرآن، حمدي بن محمد نور الدين آل نوفل، ص١١-12.

(2) في أصول التربية، محمد الهادي عفيفي، ص160.

استعداد نفسي ينشأ عن تركيز مجموعة من الانفعالات حول موضوع ما، وإنَّ من أهم العوامل التي تساعد على تكوين العواطف (التكرار، والإيحاء، والاقتران) [1].

لذا نجد في القصص القرآني هذه المؤثرات النفسية، فأسلوب القصص القرآني مليء بما يُذَكي العَواطف ويُزَكي النفوس، ويُذَكر الإنسان بحاجاته وضعفه وعجزه أمام عَظَمَة الخالِق سبحانه وتعالى.

واستعمل القرآن الكريم الأسلوب القصصي، في سوق الأدلة العقلية. قال تعالى في قوم لوط: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران: 34- 35). ومن الأدلة العقلية في أسلوب القصص القرآني القياس الواضح بالمثال، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: 59). وأَنَّ القصص السماوي عامة، والقصص القرآني خاصة، جعل لحياة الإنسان معنى لا يزول، وجعله متصلًا في حياة الكون في أوسع مداه، وبصلاح العقيدة تصلح الأخلاق، ويستقيم النظر إلى الحياة، إذ إنَّ العقيدة الدينية قوة تحرك السلوك وتوجهه، ويستمد منها الإنسان في شتى ظروف الحياة فيما تتخاذل من دونه النزوات والأهواء، وما يكون له عونًا على البت فيما يعرض له من قضايا يغشاها الصراع النفسي بين الدوافع المختلفة[2].

وقصص القرآن بوحيه الخالد، وصدقه المبين، وحواره المتقن والموجه لكل العصور، ولكل البشر، يعطي وهو يعلو ويشرق عطاء الرشد للإنسان، ويجدد وينمي حياة الإيمان لأمّة المسلمين في كل زمان ومكان.

ومع أن القرآن الكريم يتخذ من حياة الأمم السابقة وحركة الأنبياء، محورًا لدراساته، إلّا أنّه لم يذكر إلّا القليل منهم، إذ بلغ عدد من تعرض لذكر حياتهم ودورهم في أُممهم التي بُعثوا لهدايتهم نحو (25) نبياً، وإلى هذه الحقيقة، أشار سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾(غافر: 78).

---

(1) الصحة النفسية، مصطفى فهمي، ص248-249.

(2) القصة القرآنية دراسة ومعطيات وأهداف، آية الله جعفر السبحاني، ج1/ص13-17. (بتصرف)

ومع ذلك فإنّ فيما ورد من قصصهم غنى وكفاية لما فيها من عبر وعظات ودروس تستجلى من مواقفهم، وأهم محطات حياتهم، ومآل أقوامهم وما أصابها من بأساء وضراء، جزاء لما اقترفوه من أعمال.

والغاية التي تهدف إليها القصص القرآنية تأتي في سياق الهدف القرآني العام الذي يتمثل في الدعوة إلى الله–تعالى– وإلى اتّباع منهجه الذي اختطه للإنسان وسعادته ورقيه والتحذير من العصيان، وتكريسًا لهذا الهدف، جاءت القصص القرآنية من أجل إيقاف الإنسان على حياة الأمم السالفة وعوامل عزتها ومنعتها، وهبوطها وسقوطها، وبالتالي الوقوف على سنن الله سبحانه في تاريخ الأمم، والتي تقضي أما إلى تكريم وإعزاز أو إبادة وإهلاك [1].

الفرق بين أسلوب القصة المكية والقصة المدنية: [2]

هناك علائم وإمارات وخصائص، تتميز بها كل من القصة المكية والمدنية، فرق العلماء بينها على أساس هذا الفهم، والنظر في ذلك كضوابط قابلة للانطباق في أكثر تجاربها، وهي كالآتي:

أسلوب القصة المكية: [3]

1) قصر الآيات والسور وإيجازها وحرارة تعبيرها، وتجانسها الصوتي.
2) العودة إلى أصول الإيمان بالله واليوم الآخر، وتصوير الجنّة والنّار.
3) الدعوة إلى التمسك بالأخلاق الكريمة، والاستقامة على الخير.
4) مجادلة المشركين وتسفيه أحلامهم.
5) كثرة القسم جريًا على أساليب العرب.

---

(1) القصة القرآنية دراسة ومعطيات وأهداف، ص13.

(2) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالحي، ص180–184.

(3) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ج1/31–42. وينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ج1/ص187–190.

أسلوب القصة المدنية: [1]

1) فيها تفاصيل الفرائض والسنن والحدود والأحكام والقوانين فهي مدنية.
2) ذكر فيها المنافقين، سوى العنكبوت.
3) ذكر فيها إذن بالجهاد، أو ذكر له، وبيان لأحكامه.
4) فيها محاجة لأهل الكتاب، ومجادلة لهم.
5) طول أكثر سوره وبعض آياته، وإطنابها وأسلوبها التشريعي الهادئ.
6) تفصيل البراهين والأدلة على الحقائق الدينية.

والحق أَنَّ هذه الضوابط يمكن اعتبارها ضوابط استقرائية للأعم الأغلب فيما وقف عليه العلماء من كتاب الله، وسواء أكانت هذه الضوابط نقلية أم اجتهادية فإنّ لها استثناءات في حدود، وتماثلًا بين القسيمين في بعض الوجوه.

(1) الإتقان، للسيوطي، ج1/31-42. وينظر: البرهان، للزركشي، ج1/ص187-190.

المطلب الثالث: حكمة التكرار من القصة القرآنية

يتعدد تكرار القصة الواحدة في القرآن الكريم، ويختلف ذكر بعض آياتها من تقديم وتأخير، وإيجاز، وإطناب، ونجد أَنَّ مواضعها تتناسب مع جملة الآيات وموضوعها في سياق السورة المذكورة؛ لتكتمل صورة هذا التكرار، وترسيخ بعض المعاني والمفاهيم لدى السامع، كما يلي: (1)

1. بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها، فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر، وتصاغ في قالب غير القالب، ولا يمل الإنسان من تكرارها، بل تتجدد في نفسه معانٍ لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى.
2. القوة المتناهية في إعجاز القرآن الكريم وأسلوبه بما فيه من بلاغة وفصاحة وتكرار، بذكر المعنى الواحد في صور شتى دونما ترتيب، ما يزيد الأمر تعقيدًا على المعاندين من العرب وهم أهل الفصاحة.
3. الاهتمام بشأن القصة وتمكين العبرة منها في النفوس والتأكيد عليها كقصة نبي الله موسى -عليه السلام- مع فرعون. وتوضيح مفهوم الصراع مع الباطل ودرؤه وبيان عاقبته واظهار الحق عليه. فالتكرار من طرق التأكيد وأمارات الاهتمام.
4. اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة، فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام، وتبرز معان أخرى في سائر المقامات، حسب اختلاف مقتضيات الأحوال.

التكرار:

السر من تكرار القصة القرآنية:

قد يقال: لماذا لم يقع الاستغناء بالقصة الواحدة في حصول المقصود منها؟ وما فائدة تكرار القصة في سور كثيرة؟ وربما تطرق هذا الهاجس ببعضهم إلى الإلحاد في القرآن.

والذي يكشف لسائر المتحيرين حيرتهم على اختلاف نواياهم، وتفاوت مداركهم، أَنَّ القرآن الكريم بالخطب والمواعظ أشبه منه بالتآليف، وفوائد القصص تجتلبها المناسبات وتذكر القصة

---

(1) ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، ص301.

كالبرهان على الغرض المسوقة هي معه، فلا يعد ذكرها مع غرضها تكريرًا لها؛ لأنّ سبق ذكرها إنّما كان في مناسبات أخرى؛ كما لا يقال للخطيب في قوم، ثم دعته المناسبات إلى أن وقف خطيبًا في مثل مقامه الأوّل فخطب بمعانٍ تضمنتها خطبته السابقة إنّه أعاد الخطبة، بل إنَّهُ أعاد معانيها ولم يعد ألفاظ خطبته. وهذا مقام تظهر فيه مقدرة الخطباء فيحصل من ذكرها هذا المقصد الخطابي. ثم تحصل معه مقاصد أخرى: أحدها رسوخها في الأذهان بتكريرها(1).

إنَّ أسلوب التكرار ماثلٌ في القرآن الكريم لا سيما القصص القرآنية، إذْ ظهر في قصة النبي آدم-عليه السلام-، وقصة النبي موسى-عليه السلام- مع فرعون، وغيرها من القصص الأُخر، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب ينماز عن الآخر، ولا يمل الإنسان من تكرارها، بل تتجدد في نفسه معانٍ لا تحصل له بقراءتها في الموضع الآخر.

وإنّ تكرار هذه القصص لتتركز في الأذهان، جاءت في كلِّ مرة بمزايا لم تُذكر في غيرها؛ لأنّ التكرار أدعى الى التحدي إذ يظهر عجز العرب عن الإتيان بمثلها(2).

ففي سورة المرسلات تكررت الآية: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾(المرسلات: 15) عشر مرات، فلا يكون تكرارها مستهجنًا؛ لأنّ عادة العرب التكرار والإطناب كما في عادتهم الاقتصار والإيجاز.

ولا شك أنّ التكرار من الوسائل التربوية لتأكيد المبدأ وترسيخ المعتقد حتى يصبح له الفاعلية المؤثرة، إنَّهُ وسيلة القصص القرآني في التوجيه والتهذيب والموعظة، لذا يؤكد البلاغيون أَنَّ التكرار أحد أنواع الأطناب ويأتي في تقديرهم للإنذار والردع كما يأتي ليدل على الأسلوب المعجز.

التكرار يظهر البلاغة والإعجاز: إنّ تكرار الكلام في الغرض الواحد من شأنه أن يثقل على البليغ؛ فإذا جاء اللاحق منه إثر السابق مع تفنن في المعاني، باختلاف طرق أدائها، من مجاز، أو استعارات، أو كناية، وتفنن الألفاظ وتراكيبها بما تقتضيه الفصاحة، وسعة اللغة باستعمال

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج1/ص68. (بتصرف). ويُنظر: الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، محمود السيد حسن مصطفى، ص122-130

(2) البرهان، للزركشي، ج3/ص27 -28.

المترادفات، مثل:(ولئن رددت). (ولئن رجعت)، وتفنن المحسنات البديعية المعنوية واللفظية، ونحو ذلك، كان ذلك من الحدود القصوى في البلاغة، فذلك وجه من وجوه الإعجاز [1].

التكرار أسلوب من أساليب البلاغة يؤكد المعاني في القلوب بمنهج عال شيق بليغ، واللفظ إذا تكرر تقرر في نفس سامعيه، وإن كانت المعاني الأصلية المرادة حاصلة في الجمل والألفاظ فلا يضر بعد ذلك ما يرى في هذه الألفاظ أو الجمل من اختلافات لفظية لا تمس بأصول المعاني وجواهرها والمراد منها، ولا تؤدي إلى تناقض أو اختلاف بل يمكن الجمع والتوفيق بينهما وما كان ذلك إلا للبلاغة، ومن أجمل اعتبارات ومناسبات تختلف باختلاف السياق من ناحية إبرازها بوجوه متعددة ولكن الجوهر واحد... ويكرر اللفظ أو الموضوع في صور متعددة، " فإذا كان أبلغ البلاغة في الشعر العربي القديم أن تجتمع له: رشاقة العبارة، وحسن العرض، ووضوح اللفظ، وفصاحة التركيب، وإبانة المعنى، وتكرار الكلام لكل ما يفيده التكرار توكيدًا ومبالغة وإبانة وتحقيقًا، ثم استعمال الترادف في اللفظ والمعنى، ومقابلة الأضداد وغيرها، مما هو في نفسه تكرارًا آخر للمحسنات اللفظية، وتحسين للتكرار المعنوي"[2].

ومن تلك البلاغة التي لمسناها في التكرار ظهور الأمر العجيب في إخراج المعنى الواحد في صور متباينة في النظم.

وهذه الإعادة تلبس ثوبًا جديدًا، وتخرج إخراجًا جديدًا، يناسب السياق التي وردت فيه، وتهدف إلى هدف خاص لم يذكر في مكان آخر، حتى وكأنّنا أمام قصة جديدة لم نسمع بها من قبل.

---

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج1/ص68.

(2) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص195-196.

المطلب الرابع:

خصائص القصص القرآني:[1]

يتميز القَصَص القرآنيّ عن غيره من سائر القصص بخصائص يعلو بها جلالةً وقداسةً، ويزداد بها بلاغة وإعجازًا، ويعظم بها أهمية وتأثيرًا، وبهذه الخصائص استحق أن يُوسَم بأحسن القصص في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾(يوسف: 3).

تمتاز القصة القرآنية على غيرها بخصائص عدة أهمها:

1) صادقة الوقوع على الحقيقة المطلقة، فهي لا تحتاج إلى برهان ليؤكد وقوعها.
2) تعرض في أحسن عرض؛ لاختيار الجوانب الأفضل في أحداثها، والإعراض عن جوانب أخرى لا خير في ذكرها، ولا فائدة مرجوة منها، أو لحكمة من الله –عزو جل–.
3) تتفاوت في العرض من حيث الطول أو الإيجاز.
4) تقطيع في عرض المشاهد؛ أي: انفصالها وعدم اتصالها.
5) عدم مراعاة الترتيب التاريخي، والزمني لحوادثها.
6) التكرار لفظًا ومعنًى، أو معنًى غالبًا، ويسوغه تنوع السياق، ولعل التكرار أدلّ على البلاغة وأجلّ في الإعجاز.
7) التكرار لفظًا ومعنًى، أو معنًى غالبًا، ويسوغه تنوع السياق سباقًا ولحاقًا. والتكرار أدلّ على البلاغة وأجلّ في الإعجاز.

وخصائص القصص القرآني من خصائص نظام الإسلام، وهي كما يلي: [2]

فالقصص القرآني له خصائص من خصائص ديننا الإسلامي الحنيف، وأول هذه الخصائص، **الربانية**؛ أي: رباني المصدر والثبات لأن مقوماتها لا تتغير ولا تتبدل، **والشمول:** لشموليتها لجميع مناحي الحياة، **والتوازن**؛ أي: في العمل، **والواقعية:** في التعامل مع الواقع والحقائق الموجودة، **والإيجابية:** إيجابياتها في الإصلاح الاجتماعي في شؤون الحياة كلها،

---

(1) ينظر: قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، ص45.

(2) ينظر: المبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني، شاهر ذيب أبو شريخ، ص20–23.

بالإضافة إلى أنّها لا تحتوي على الأساطير، وخلوها من الرمزية الموجودة في الأدب؛ لتثير استعمالًا آخر للمصطلح غير الموضوع له.

ومما يميزها عن غيرها بوصفها صحيحة غير معبوث بها، ولا مفتراة، وهي ذات عبرة وعظة وتعد محور التاريخ البشري، ومفتاح فهم القرآن، وتعلم منهج الدعوة إلى الله –تعالى–[1].

---

(1) ينظر: ألف باء في قصص الأنبياء، ناجي شكري ظاظا، ص3-4.

الفصل الثاني

القضايا الصوتيـــــــة، وفيه:

- ❖المبحث الأول: قضية الوضوح السمعي، ويشمل على مطلبين:

  المطلب الأول: الوضوح السمعي في الصوامت.

  المطلب الثاني: الوضوح السمعي في الصوائت.

- ❖المبحث الثاني قضية المماثلة الصوتية والإدغام.

- ❖المبحث الثالث: المخالفة الصوتية.

إنّ للنص القرآني خصوصية في جوانب إعجازه باعتماده في الدرجة الأولى على الصوت في الأداء والسماع في التلقي، فالكشف عن جماليات البناء الأدبي، والبعد الفني والموسيقي لا يمكن إدراك أثره إلا بسماعه، إذ (إنّ اللغة المحكية (المنطوقة) هي التي يتمثل فيها انعكاسات الأصوات)[1]، ولذا كان اهتمام الدراسة الأسلوبية بالنسيج الصوتي بداية لما له من تأثير فاعل في البناء الأدبي، وإحداث موسيقا الصوت والبلاغة الجمالية الناشئة عنه، وإظهار خفايا النفس في حالاتها المختلفة فليس يخفي أنّ مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأنّ هذا الانفعال إنّما هو سبب في تنويع الصوت، بما يخرجه فيه مدًا أو غنةً أو لينًا أو شدةً وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير مناسبة لما في النفس)[2].

تعريف الصوت:

جاء في لسان العرب، الصوت إطلاقًا هو الجرس، معروف، مذكر، وقد صات يصوت ويصات صوتا، وأصات وصوت به: كله نادى. ويقال: صوت يصوت تصويتًا، فهو مصوت وذلك إذا صوت بإنسان فدعاه. ويقال: صات يصوت صوتًا، فهو صائت، معناه صائح[3].

وأصات القوس: جعلها تصوت، والصيت: الذكر: يقال ذهب صيته في النّاس، أي ذكره، والصيت والصات: الذكر الحسن الجميل الذي ينتشر في الناس، دون القبيح[4].

الصوت اصطلاحًا:

الصوت ظاهرة طبيعية، تستلزم جسم في حالة اهتزاز أو تذبذب، تنقل عبر وسط معين حتى تصل إلى أذن الإنسان، وقد تكون ناتجة عن اصطدام جسم بآخر، أو سقوط جسم أو انفجار أو غير ذلك، كما أنّها قد تكون صادرة عن الحيوانات إلى جانب صدورها عن الإنسان، وقد فرق العلماء بين نوعين من الأصوات، النوع الأوّل هو الصوت الطبيعي وهو ما يصدر عن كل ظواهر الطبيعة وكل الموجودات فيها، والنوع الآخر هو ما يصدر عن الإنسان دون غيره.

---

(1) الألسنية العربية، ريمون طحان، ص64.

(2) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص18.

(3) لسان العرب، ابن منظور مج4، ج28/ ص2521. مادة (ص و ت)

(4) المرجع السابق نفسه.

ويمكن تعريفه بأنّه أثر سمعي يصدر طواعيةً واختيارًا عن تلك الأعضاء المسماة تجاوزًا أعضاء النطق، ويتطلب الصوت اللغوي وضع أعضاء النطق في أوضاع معينة أو تحريك هذه الأعضاء بطرق ممدة، وهذا يعني أنّ المتكلم لا بُدَّ أن يبذل مجهودًا حتى يحصل على الأصوات اللغوية. فالصوت اللغوي هو الأثر السمعي المقصود الهادف الصادر عن أعضاء نطق الإنسان.

فالصوت اللغوي له جانبان أحدهما عضوي حركي يتمثل فيما تقوم فيه أعضاء النطق من حركات خاصة، والثاني صوت تنفس ويتمثل في الأثر السمعي الذي يصل للأذن، وهذه الحركات النطقية الملونة بألوانها الصوتية الخاصة هي ما اصطلح على تسميته بالأصوات اللغوية[1].

والصوت عند إبراهيم أنيس "ظاهرة طبيعية ندرك أثرها دون أن ندرك كنهها، فقد أثبت علماء الصوت بتجارب لا يتطرق إليها الشك أنّ كل صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتز، على أنّ تلك الهزات لا تدرك بالعين في بعض الحالات. كما أثبتوا أنّ هزات مصدر الصوت تنتقل في وسط غازي أو سائل أو صلب حتى تصل إلى الأذن الإنسانية"[2].

والهواء هو الوسط الذي تنتقل خلاله الهزات في معظم الحالات، فخلاله تنتقل الهزات من مصدر الصوت في شكل موجات حتى تصل إلى الأذن. والصوت الإنساني هو ككل الأصوات ينشأ من ذبذبات مصدرها في الغالب الحنجرة لدى الإنسان. فعند اندفاع النفس من الرئتين يمر بالحنجرة فيحدث تلك الاهتزازات التي بعد صدورها من الفم أو الأنف، تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن[3].

ومصدر الصوت الإنساني في معظم الأحيان هو الحنجرة أو بعبارة أدق الوتران الصوتيان فيها. فاهتزازات هذين الوترين هي التي تنطلق من الفم أو الأنف ثم تنتقل خلال الهواء الخارجي[4].

---

(1) أصوات اللغة العربية بين الفصحى واللهجات، عبد الله رمضان، ص34-33.

(2) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص6.

(3) المرجع السابق، ص6-7.

(4)الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص8.

ويعرفه ابن سينا أيضًا بقوله: "الصوت سببه القريب تموج الهواء ودفعه بقوة وسرعة من أي سبب كان"(1)، فعبارة تموج الهواء، تلقي الضوء على طبيعة الصوت، وتشير إلى أنّ الصوت هو حركة لجزئيات الهواء، التي تندفع بقوة تأثير العامل الذي يحدث بالموجة الهوائية.

لم يفرق علماء العربية وغيرهم من العلماء بين الصوت والحرف، أو بين ما هو مادي وما هو معنوي مفهوم، أو بين ما هو وحدة صوتية مجردة وبين ما هو وحدة صوتية منغمة، وبالرغم مما تميزت به دراسات الخليل (ت 175 هـ) وسيبويه (ت 180هـ) وأتباعهما من وصف دقيق لمخارج الأصوات وصفاتها، فإنّهم لم يميزوا بين الصوت والحرف باستثناء ابن جني(ت392هـ)(2).

إذن لم يرد الصوت عند القدامى، بالمفهوم الذي جاء به المحدثون، واصطلح عليه باسم (الفونيم phoneme) أو (الوحدة الصوتية) التي تحوي مجموعة من الأداءات المختلفة التي تمثل صوتًا واحدًا، كأن تجمع الأصوات المختلفة الدالة على (النون)، مع اختلاف المخارج فيها، فيجعلها تحت عنوان واحد هو (النون).

فابن جني أعطى الصوت تعريفًا دقيقًا، فرق من خلاله بينه وبين الحرف باعتبارهما وجهين لعملة واحدة: "اعلم أنّ الصوت عرض يخرج مع النّفس مستطيلًا متصلًا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفًا، تختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها"(3).

إنّ مختلف العمليات الفيزيولوجية، التي تحدث في جهاز النطق، وكيفية تتاليها مع أعضاء النطق عند الإنسان، هو الأثر الحادث في الهواء، بفعل هذه العمليات التي يقوم بها الإنسان في حياته اليومية، إذ إنّ علم الأصوات النطقية تعنى بدراسة آلية النطق وكيفية إنتاج الأصوات اللغوية، وحركات أعضاء النطق، وكيفية توليد تيار الهواء اللازم للعملية النطقية، من حيث سيرورة الهواء أو توقفه.

فالصوت إذن في شكله العام، هو مجموع كلي لكلمات ركبت بصورة خاصة، واقترنت ببعضها ببعض على نحو معين، فهي بذلك تؤدي وظيفتها في حياة البشر، وبها يتميز النّاس

(1) أسباب حدوث الحروف، ابن سينا ص18.

(2) سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج1/ص6.

(3) علم وظائف الأصوات اللغوية الفنولوجيا، عصام نور الدين، ص64.

فيما بينهم باللغة، التي هي أصوات وحروف معبرة عن هذا الأساس، فلكل شعب أو جماعة بشرية لغته وصوته الخاص في نطق الأصوات، فابن جني يعرف الصوت بقوله:" فإنّ الصوت مصدر صات الذي يصوت صوتًا فهو صائت وصوت تصويتًا فهو مصوت، وهو عام غير مختص، يقال: سمعت صوت الرجل وصوت الحمار..." (1)، والواضح أنّ هذا النوع من الأصوات، يمكن أن يطلق على أي صوت من الأصوات الموجودة في الطبيعة، ولهذا أطلق عليه اسم الصوت العام، بينما المعنى الخاص للصوت، هو الذي يختص بالأصوات الإنسانية الذي يندرج ضمن التعريف الذي قدمه ابن جني، الصوت عرض يخرج من النّفس مستطيلًا متصلًا(2).

فالصوت هنا بالمعنى الاصطلاحي، يخص الصوت الإنساني دون غيره من الأصوات، ويعرفه بعض اللغويين المحدثين (بأنّه صوت يصدر من جهاز النطق الإنساني، فهو يختلف عن سائر الأصوات التي تحدث عن أسباب أو أدوات أخرى)(3). من خلال هذا التعريف يتضح أنّ الصوت اللغوي، مصدره الإنسان ويخرج بذلك كل الأصوات التي يحدثها جسم الإنسان، أو آلات معينة، فالصوتيات في حد ذاتها تتخذ من الكلام موضوعًا لدراسة طبيعة الصوت وصفته ومخرجه، وما حظي به من نمو وتطور.

عناية العرب بالصوتيات:

عناية العرب بالصوتيات قديمة تعود إلى اليوم الذي بدأ فيه اللحن، فأصاب العربية في أصواتها كما أصابها في نحوها وصرفها ودلالاتها، فالرواية التي تقول: إنّ أعرابيًا قرأ الآية القرآنية الكريمة ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ورَسُولُهُ ﴾ (التوبة 3) بكسر لام رسوله بدلًا من ضمها، يفهم منها أنّ لحن الأعرابي كان لحنًا صوتيًا مس حركة اللام، وهي صوت، فنشأ عن هذا خطأ في الدلالة، و كان هذا حافزًا لأبي الأسود الدؤلي (ت67هـ) على أن يضع نقط الإعراب.

ثم إنّ قول أبو الأسود الدؤلي لعبد بن قيس، وهو يتلو عليه (إذا رأيتني قد فتحت فمي بحرف فانقط نقطة على أعلاه، وإذا ضممت فمي، فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإذا كسرت فمي فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن أتبعت شيئًا من ذلك غنة (تنوينًا) فاجعل النقطة نقطتين)(4) إنّما

(1) سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج1/ص60.
(2) المرجع السابق، ج1/ص11.
(3) علم اللغة، محمود السعران، ص85.
(4) قصة الكتابة العربية، إبراهيم جمعة، ص39.

يدل على أنّ أبا الأسود لاحظ أثر الشفتين في نوعية الصوت الذي يسميه المحدثون بالصائت (Vowel)، فحين سمى الحركات القصيرة فتحة وضمة وكسرة اعتمد على شكل الشفتين ووضعيهما عند النطق، وفي هذا إشارة إلى خاصة مهمة من خواص الحركات، ثم إنّ هذا الأساس في التنقيط عضوي فيزيولوجي يعتمده الدرس الصوتي الحديث(1). فصنيع أبي الأسود إذن، إن كان يهدف إلى المحافظة على لغة القرآن، فهو صنيع متصل بالصوتيات أوثق الصلة، كما أنّ نقط الإعجام الذي قام به من الدوافع إليه المحافظة على أصوات العربية سليمة.

مما سبق يمكننا أن نقول: إنّ نشأة الصوتيات العربية قديمة كانت في أحضان لغة القرآن الكريم.

جهود العرب في الدراسات الصوتية:

إنّ العرب لم يعالجوا الأصوات وحدها، إنّما كانت معالجتهم لها مع قضايا لغوية أخرى، وكان لها قيمة تاريخية وعلمية، وهذه المعالجة أخذت اتجاهات متعددة؛ فهي عند أصحاب المعاجم والنحاة والبلاغيين والمعنيين بإعجاز القرآن، وعلماء القراءات القرآنية، وعلماء الطب.

أما أصحاب المعاجم: فهم أقدم من تحدث عن الصوتيات من العرب، والناظر في معجم العين – وهو أول معجم في اللغة العربية، ينسب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) يرى أنّ معجمه هذا من أهم الدراسات الصوتية، وخاصة مقدمته التي تنم عن حس لغوي دقيق، فلقد أحسّ الخليل بكثير من جوانب المشكلة الصوتية، إذ تحدث عن مخارج الحروف وصفاتها من همس وجهر وشدة ورخاوة ونحوها، وعما يحدث للصوت في بنية الكلمة من تغيير يفضي إلى القلب أو الحذف أو الإعلال أو الإبدال أو الإدغام، وذكر عددًا من القوانين الصوتية، وعددًا من المسائل الصوتية واللهجية والقراءات.

ولعل أهم ما يستوقف النظر في صنيع الخليل ترتيبه معجمه على أساس صوتي، وهو صاحب الفكرة الرائدة في ترتيب الحروف حسب مخارجها، وقد رتبها على النحو الآتي:

---

(1) علم اللغة العام/الأصوات، كمال بشر، ص84.

العين – الحاء – الهاء – الخاء – الغين – القاف – الكاف – الجيم – الشين – الضاد – الصاد – السين – الزاي – الطاء – الدال – التاء – الظاء – الذال – الثاء – الراء – اللام – النون – الفاء – الباء – الميم – الواو – الألف. الياء– الهمزة[1].

لقد خالف الخليل(ت175هـ) في ترتيبه هذا ترتيب نصر بن عاصم (ت 89هـ) الهجائي الذي يقوم على تشابه الحروف في صور الكتابة، ويهمل الجانب النطقي. إذ إِنَّه عرف بحسه الدقيق أنّ اللغة منطوقة قبل أن تكون مكتوبة، وهذا أمر تتفق فيه اللغات جميعها، ولذا رتب الحروف على أساس نطقي نظر فيه إلى مخارج الأصوات في جهاز النطق، واعتمد على تذوقه للحروف، وذلك بأن يصدر كلًا منها بألف مهموزة يتبعها الحرف المقصود بالترتيب ساكنًا، وقد بحث عن أعمق الأصوات في المخرج، فوجده الهمزة، والأمر كذلك في اللغات كلها، ولكنه لم يبدأ بها لأنّها متقلبة لا تستقر على حال، ولا صورة ثابتة لها في النطق أو الكتابة، ثم قارن بين العين والحاء فوجد أنّ العين أنصع أي أوضح في النطق السمعي، فبدأ بها، ثم وضع بعد العين أختها وهي الحاء، ثم أتى بالهاء[2]، وعلى هذا النحو مضى يرتب الحروف ترتيبًا يثير تساؤلات في مواضع بعض الحروف إذا ما قارناه بالترتيب الحديث، كموضع الواو والألف والباء ثم العين والهاء، فليس لحروف العلة مخرج محدد، كما أنّ العين ليست هي الأسبق، وليست الهاء أخت العين في المخرج، ولكنّ الترتيبين مع ذلك يتفقان في الأساس الصوتي الذي يقومان عليه.

وقد قسم الخليل الحروف إلى طوائف، وأعطى كلًا منها اسمًا خاصًا، فالعين والحاء والخاء والغين حلقية لأنّ مبدأها من الحلق، والقاف والكاف لهوية لأنّ مبدأها من اللهاة، واعتمد في وصفه للأصوات على ما يحسه بنفسه من اختلاف في أوضاع أعضاء النطق معها، وعلى العملية العضوية التي يقوم بها المرء عند صدور كل صوت، وعلى وقع هذا الصوت في أذن السامع دون أن يكون لديه شيء من الإمكانات الحديثة من آلات تسجيل أو تصوير أو معرفة بنظريات التشريح[3]، وغير خاف– بعد هذا– أنّ درس الخليل الصوتي يدل على عبقرية صاحبه، ويدعو إلى الإقرار بفضل السبق والريادة فيه، وترتيبه هذا للحروف سار عليه طائفة ممن جاء بعده من أصحاب المعاجم كالأزهري في تهذيب اللغة، وابن سيده في المحكم، والقالي في البارع.

---

(1) العين، الخليل بن أحمد، ج1/ص58.

(2) انظر: المعجم العربي، حسين نصار، ج1/ص219.

(3) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص104–105.

فصل الدكتور أحمد محمد قدور القول في أصالة هذا الترتيب الصوتي عند الخليل بن أحمد، مستعرضًا أقوال العلماء في هذه المسألة، فذكر أنّ بعض الدارسين ذهبوا إلى أنّ الخليل تأثر في هذا الترتيب بالهنود، وذهب آخرون إلى أنّه تأثر بالتراث اليوناني والمعاجم اليونانية. وقد رفض هذين القولين عدد من العلماء ذاهبين إلى أنّ ترتيب الخليل الأصوات عربي أصيل ولا دليل على معرفة الخليل باللغات الأخرى حتى يتأثر فيها. ويرى هؤلاء أنّ الترتيب الصوتي الخليلي جاء تماشيًا مع الجو الحضاري الناهض للحضارة العربية المستنيرة بالإسلام(1).

سيبويه (ت 180 هـ):

وهو من النحاة الذين عنوا بالصوتيات بوصفها مدخلًا لدراسة الصرف من إدغام وإعلال وإبدال، ونحو ذلك، يتحدث سيبويه في باب الإدغام عن عدد حروف العربية ومخارجها وصفاتها، ثم يقول في نهاية الباب(2): (وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام، وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك، ولا يجوز فيه، وما تبدله استثقالًا كما تدغم، وما تخفيه، وهو بزنة المتحرك)، وقد فصل النحاة القول في وصف مخارج الحروف وصفاتها فرادى، ثم تناولوا بالدراسة ما رأوه منها داخلًا في حيّز الإدغام، كما فهموه، وذلك مثل: إدغام المتماثلين مخرجًا والمتقاربين مخرجًا والمشتركين في طرف اللسان، ثم الإدغام بالصفة، مثل: إدغام المجهور والمهموس معًا بأن يصيرا معًا إلى الجهر أو إلى الهمس وبعض أمثلة القلب، وبعض الأمثلة الشاذة(3).

ولعل خير من يمثل النّحاة في حديثهم عن الأصوات أصدق تمثيل، سيبويه صاحب الكتاب المشهور الذي يعده كثيرون المصدر الأول لعلم الأصوات العربي، وقد يضعه بعضهم بعد كتاب العين في المرتبة، وفيه لخص سيبويه آراء أستاذه الخليل بدقة وأمانة في آخر الكتاب، وقد ورث عنه، فيما ورث وصفًا دقيقًا لأصوات العربية في مخارجها وصفاتها.

---

(1) انظر تفاصيل هذه المسألة في أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، انظر تفاصيل هذه المسألة عند د- أحمد محمد قدور، أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، ص18 وما بعدها. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، ص90.

(2) الكتاب، سيبويه، ج4/ص436.

(3) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص15.

ترتيب الأصوات عند سيبويه: [1]

الهمزة – الهاء – العين – الحاء – الخاء – الغين – القاف – الكاف – الضاد – الجيم – الشين – اللام – الراء – النون – الطاء – الدال – التاء – الصاد – الزاي – السين – الظاء – الذال – الثاء – الفاء – الباء – الميم – الياء – الألف – الواو.

وجعل لهذه الحروف ستة عشر مخرجًا، للحلق منها ثلاثة، وفي كل منها صوتان دون القصد إلى ترتيبهما كما يفعل المحدثون، وخصص لأصوات الفم ثلاث مناطق في أقصاه وأدناه ووسطه، وحدد لكل صوت أو مجموعة من الأصوات مخرجًا معينًا، ووصفه وصفًا دقيقًا، وميز بين الشديد والرخو، وبيَّن المجهور والمهموس على خلاف في بعض الحروف مع ما تقره الدراسات المعاصرة، فهو، مثلًا يعد الضاد رخوة، وهي شديدة، ويعد القاف والطاء مجهورين، وهما مهموستان[2].

إنّ دراسة سيبويه للأصوات دراسة متميزة، فقد حصر اللغة مع أستاذه الخليل، ووصفاها بدقة، وأسسها على قواعد جعلت طائفة من اللغويين ممن أتى بعدهما تترسم خطاهما، وتسير على آثارهما، كالمبرد(ت285هـ) في المقتضب، والزجاجي (ت340هـ) في الجمل، والزمخشري(ت 538هـ) في المفصل، كما أنّ ما فعله هذان العالمان الكبيران قيمة كبيرة تبدو على نحو واضح حين يقارن بتفصيل ودقة مع ما نعرف اليوم من دراسات مماثلة.

الجاحظ (ت 255 هـ):

تنبه الجاحظ إلى ظواهر صوتية، إذ عرف بعض الأمراض اللغوية، ونجد في كتابه (البيان والتبيين) خاصة معالجة علمية دقيقة للأصوات التي تدخلها اللثغة، وتحدث عن أوصاف هذا المرض ومراتبه الاجتماعية، واقترح بعض العلاجات الطبيعية على نحو ما يعالج اليوم، وقد أدرك الجاحظ صلة الأمراض اللغوية بالمجتمع، فدرس التلعثم على ثلاثة مستويات اجتماعية هي مستويات (الفصحاء والعوام والأعاجم)، وعرف اختلاف اللهجات، ودرس التبدلات الصوتية للغة العربية عند الأعاجم، وهذا ما تنبهت عليه الدراسات الحديثة، كما أشار إلى اقتران الحروف فرأي

(1) الكتاب، سيبويه، ج4/ص431.
(2) المرجع السابق، ج4/ ص434.

مثلًا أنّ (الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا بتأخير، والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا بتأخير)[1].

المؤلفون في إعجاز القرآن:

اعتنى المؤلفون في إعجاز القرآن بمخارج الحروف، وعرفوا صلة هذه المخارج بتلاؤم الحروف وتنافرها، ولعل من أشهر هؤلاء أبا الحسن الرماني (ت 384 هـ) الذي رأى أنّ التلاؤم نقيض التنافر، وضرب أمثلة له، وأشار إلى أن الفائدة منه (حسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ. وتقبل المعنى له في النّفس لما يرد عليها من حسن الصوت وطريق الدلالة)، كما ذكر أنّ (مخارج الحروف مختلفة، فمنها ما هو من أقصى الحلق، ومنها ما هو من أدنى الفم، ومنها ما هو في الوسائط بين ذلك)[2]، ثم تحدث عن فواصل القرآن، ورأى أنّها على وجهين أحدهما على الحروف المتجانسة والآخر على الحروف المتقاربة، وضرب أمثلة لذلك.

علماء القراءات:

أعانهم على العناية بالجانب الصوتي أنّ قراءات القرآن الكريم كانت متواترة بالتلقي الشفوي، ويطول بنا القول إذا تحدثنا عن الصوتيات عند من ألّف في القراءات، لذا سنكتفي بمثل واحد يشير إلى عنايتهم بها ننقله عن ابن خالويه (ت 370هـ) [3]. قوله تعالى: "ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ" (البقرة: 2) يقرأ بالإدغام والإظهار، فالحجة لمن أدغم مماثلة الحرفين؛ لأنّ الإدغام على وجهين مماثلة الحرفين ومقاربتهما، فالمماثلة كونهما من جنس واحد، والمقاربة أن يتقاربا في المخرج كقرب القاف من الكاف، والميم من الباء واللام من النون، وإنما وجب الإدغام في ذلك؛ لأنّ النطق بالمتماثلين والمتقاربين ثقيل، فخففوه بالإدغام، إذ لم يمكن حذف أحد الحرفين. والحجة لمن أظهر: أنّه أتى بالكلام على أصل ما وجب له، ووفاه حق لفظه؛ لأنّ الإظهار الأصل، والإدغام فرع عليه.

---

(1) البيان والتبيين، الجاحظ، ج1/ص31، 35، 69.

(2) ذخائر العرب، ثلاث رسائل في اعجاز القران للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، ص94-96.

(3) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه، ص63.

فإن كان الحرف الأول ساكنًا لعلة أو لعامل دخل عليه كان الإدغام أولى من الإظهار.

ابن سينا(1):

ولمّا كانت أعضاء النطق بحاجة ماسة لدراسة علماء الطب والتشريح؛ بهدف علاجها عند وقوع الخلل، وضمانًا لتحسين أدائها، فإنّ علماء الطب –أيضًا– اهتموا بهذه الدراسات، خاصة ما أبدعه الطبيب والعالم ابن سينا (ت428هـ) الذي بجهوده تقدم البحث الصوتي خطوات نحو الأمام، إذ قدّم منهجًا تفرد به في رسالته الصغيرة التي سماها (أسباب حدوث الحروف)، والتي فيها عالج أصوات اللغة على نحو لا نكاد نقع عليه عند أحد من المتقدمين، وهو ما يتصل بما يسمى بعلم الأصوات النطقي، ولقد جاء حديثه فيها حديث العالم الفيزيائي، حين ذكر أسباب حدوث الأصوات بصورة عامة(2)، ثم سبب حدوث الحروف الإنسانية بصورة خاصة(3)، وحديث الطبيب المشرّح حين عاين دقائق جهاز النطق، ووصف الحنجرة واللسان، وحديث اللغوي المجوّد حين عرض لوصف مخارج الحروف العربية (الأصوات) وصفاتها،(4)، وحديث عالم الأصوات المقارنة حين تصدى لوصف ما يشبه هذه الأصوات من الأصوات الأعجمية(5). وتميز كلامه فيها بمصطلحات لا يشركه فيها عالم من علماء العربية(6).

أسباب العناية بالصوتيات:

إنَّ الصوتيات العربية نشأت في أحضان لغة القرآن، ونؤكد الآن أنّ عنايتهم بها كانت، بالدرجة الأولى، سعيًا وراء هدف سامٍ نبيل هو المحافظة على كتاب الله وصيانته من اللحن والتحريف، أضف إلى ذلك أنّهم أدركوا منزلة الدراسة الصوتية في العلوم اللغوية وارتباطها الوثيق بما عالجوا من قضايا نحوية وصرفية ودلالية وبلاغية.

---

(1) أبو عَلْي الحُسَيْنَ بن عَبد الله بن الحسَنَ بن عَلْي بن سِينَا البَلْخيّ ثم البُخاريّ المعروف بابن سينا، عالم وطبيب مسلم، اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بهما. سير اعلام النبلاء، الذهبي، مادة ابن سينا.

(2) ينظر: أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، ص56-58.

(3) ينظر: المرجع السابق، ص59-63.

(4) ينظر: السابق، ص64-71.

(5) ينظر: السابق، ص86-90.

(6) ينظر: علم الأصوات عند العرب، الطيان، ص790.

ثم إنّ علوم العرب اللغوية نشأت أول ما نشأت على السماع، فبه حملوا الشعر عن الرواة وحملوا القرآن الكريم والحديث النبوي، وعليه اعتمدوا في نقد عيوب الشعر، وفي تقعيد القواعد، وعليه أيضًا انبنى علم التجويد والقراءات، وعلى هدى منه اتخذت بعض معايير الفصاحة وبه قبست لغات القبائل المذمومة ولهجاتها، فالسماع كان المنبع الأول الذي استقى العرب لغتهم منه[1].

قضية الوضوح السمعي:

الكثير من الباحثين لم يفرقوا بين قوة الإسماع والوضوح السمعي، فقوة الإسماع حصيلة العلو والشدة، أما الوضوح السمعي فهو متأثر بدرجة الصوت وتردده والطول والنوع والعلو والشدة وحجرة الرنين، فبعض الأصوات لها درجة عالية من والوضوح السمعي كاللام والنون، ولكنّهما ليسا من أقوى الأصوات من حيث قوة إسماعهما، لهذا نستطيع أن نجعل قوة الإسماع عاملًا مساعدًا للوضوح السمعي، فكل صوت انماز بقوة الإسماع فهو واضح، وليس العكس كذلك.

لا شك أنّ إدراك الكلام وفهمه مرتبطان ارتباطًا وثيقًا بالوضوح السمعي؛ لأنّ نقل الأفكار أو الأحاسيس من عقل المتكلم إلى عقل المستمع مترابط بعضها ببعض، وهدفها الأساس هو إدراك الكلام عن طريق تحليل الرسالة اللغوية، وفك رموزها من التيار الصوتي القادم من المتكلم إلى السامع، وهو ما يتم على الوجه الأكمل من خلال الوضوح في التعبير من جانب المتكلم، وسلامة جهاز التلقي لدى السامع، الذي هو الأذن.

تصنيف الأصوات حسب قوة الإسماع: [2]

كما صنّف العلماء الأصوات اللغوية على حسب المخرج، هناك فريق من العلماء صنّفوا الأصوات اللغوية حسب قوة الإسماع.

---

(1) أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، مسعود بوبو، ص109.

(2) كتاب العربية وعلم اللغة الحديث، ص115.

فبدراسة ملمح قوة الإسماع للأصوات اللغوية المختلفة، يوصف الصوت الذي يسمع من أبعد مسافة بأنّه أقوى الأصوات إسماعًا، في حين أنَّ الصوت الذي لا يسمع إلّا من أقصر مسافة من المتكلم يكون أضعف الأصوات إسماعًا.

وفي العربية تأتي الحركات القصيرة (الفتحة، والكسرة، والضمة)، والحركات الطويلة- التي يطلق عليها القدماء مصطلح حروف المد (ا، و، ي)- في قمة المنحنى لقوة الإسماع، في حين إنَّ الصوت الصامت (الحرف الذى يقبل حركة) يظل صامتًا ولا يخرج إلى حيز الوضوح السمعي إلّا بواسطة (حركة)، ومن هنا سميت الحركة بالصائت؛ أي: التي تجعل الصامت يصوِّت ويكون له قوة الوضوح السمعي.

العلاقة بين الوضوح السمعي والشدة والعلو: [(1)]

وقد يلتبس الوضوح السمعي بالشدة والعلو، فقد يظنّ أَنَّ الصوت الواضح سمعيًا هو الصوت الشديد وليس الأمر كذلك بالضرورة، إذ قد يكون الصوت شديدًا، مع كونه غير واضح من الناحية السمعية، وقد يكون الصوت شديدًا مع كونه واضحًا سمعيًا؛ أي: أنّه يمكن أن يكون واضحًا وغير شديد في وقت واحد، كما في صوتي اللام المفخمة والعين فهما واضحان سمعيًا، حتى لو تم نطقهما بصورة غير شديدة.

ومثل ذلك يقال عن العلاقة بين الوضوح السمعي والعلو، فقد يكون الصوت عاليًا دون أن يكون له درجة عالية من الوضوح السمعي، وقد يكون الصوت خفيضًا مع كونه واضحًا سمعيًا، وهكذا.

فالعلاقة بين السمعي من جهة، والشدة والعلو من جهة ثانية ليست علاقة طردية تمامًا، ومع ذلك فنحن لا ننكر أَنَّ هناك صلة من نوع ما بين الوضوح السمعي، والشدة والعلو من جهة ثانية، من دون أن يكون العنصران المترابطان هما الشيء ذاته، ومن غير أن تكون العلاقة بينهما طردية تمامًا.

---

(1) الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، سمير استيتية، ص171. وينظر: مقدمة في علم اللغة، محمد رمضان البع، ص64-65.

وإنّما نلجأ إلى الشدة والعلو من أجل زيادة ذبذبات الصوت، والموجات الصوتية؛ لتعويض النقص الحاصل في درجة الصوت سمعيا، نتيجة الاحتكاك، ولا يعني هذا أنّنا عند رفع الصوت أو تشديده، سنرفع الصوت بالضرورة إلى درجة الوضوح السمعي التي يمكن أن يساوي بها الأصوات الواضحة سمعيًا، ففي الخطابات الهاتفية قد يصعب على المرسل إليه عند الاستماع للمرسل التمييز بين صوتي: الثاء والفاء، أو التمييز بين الذال والثاء، وغيرها من الأصوات الاحتكاكية، فشدة الصوت من ناحية فيزيائية هي: كمية الطاقة المنقولة عبر وحدة مساحات عمودية، على اتجاه انتشار الطاقة في الثانية الواحدة.

الخصائص السماعية لأصوات العربية: (1)

1) أصوات عديمة الإسماع: وهي الأصوات الانفجارية المهموسة، مثل: صوت الكاف وصوت التاء في العربية.
2) أصوات قوة إسماعها درجة واحدة: وهي الأصوات الانفجارية المجهورة، مثل: أصوات: الجيم، والطاء، والهمزة، والباء والدال في العربية.
3) أصوات قوة إسماعها درجتان: وهي الأصوات الاحتكاكية المهموسة وتتفاوت قوة إسماعها حسب قوة الكلام، مثل: صوت السين، وصوت الفاء وصوت الهاء في العربية.
4) أصوات قوة إسماعها ثلاث درجات: وهي الأصوات الاحتكاكية، مثل: صوت الزاي، وصوت الذال، وصوت الضاد، وصوت الغين، في العربية.
5) أصوات قوة إسماعها أربع درجات: وهي الأصوات الأنفية والجانبية والمجهورة، مثل: صوت الميم، وصوت النون، وصوت الراء في العربية.
6) أقوى الأصوات إسماعًا: وهي أصوات الحركات وحروف المد، ولذلك سميت صوائت، كما سبقت الإشارة.

والذي ينبغي الإشارة إليه هنا في هذه الخلاصة هو أَنَّ مهارة الأداء الصوتي تبدأ بالسماع الجيد، الذي يدرك صفات أصوات الحروف المنطوقة بدقة ووضوح، ويستطيع أيضًا أن يميز الفروق الصوتية الدقيقة بين أصوات الحروف متقاربة المخرج متشابهة الصفات، مثل: التمييز بين: (ق . ك)، (ت . ط)، (ث . س)، (ز . ذ).

---

(1) كتاب العربية وعلم اللغة الحديث، ص115-116.

وهذا يدفعنا إلى الوعي بأهمية وجود نماذج تُتَخَذ أسوة وقدوة كمصادر للسماع الجيد؛ كي يتربى عند المستمع الحس السمعي المرهف، ويحدث اختزان في المخ للملامح المميزة لصوت كل حرف من الحروف، فإذا ما حاول الإنسان التكلم كان في الذهن نموذج ناجح يتخذه مثالًا يحتذيه، فتأتي محاولة النطق قريبة من هذا المثال قربًا يضمن لها النجاح، أو تأتى مطابقة له؛ فيكون لها التفوق والانطلاق، وقد تتجاوزه بملامح جمالية فوق مستوى الصحة المطلوب[1].

وبشأن أصوات اللغة العربية، فإنّنا نتمتع بوجود نموذج مثال له القمة في الصحة والجمال والإبداع، بل والإعجاز، إنّه (القرآن الكريم)، حيث يتم تلقى القرآن من جيل إلى جيل عن طريق المشافهة، مع وجود المعايير والضوابط التي تضمن صحة النطق وتحفظها في إطار متناسق، ومجال أحكام التلاوة القرآنية يقوم بهذه المهمة، وبالإضافة إلى هذه القمة والمثال المعجز، هناك في كل عصر متحدثون فصحاء نبهاء يُشهد لهم من أهل اللغة والأداء بكفاءتهم الصوتية المتميزة، فليتخذ الطالب من هؤلاء الأفذاذ مثالًا يُحتذى، يستمع إليهم، ويحاول أن يتلمس هديهم في نسق النطق الصحيح، حتى تتحقق له مهارة الأداء.

تمثّلُ العمليّة النطقيّة، والعمليّة السمعيّة، فلقتيْ حبّةِ فول، لا تنمو بشقٍ واحد، وهذه الحبّة، هي الّلغة ذاُتها، التي (تستلزمُ اثنين فأكثرَ، حّتى عندَما تتكّلمُ إلى نفسِك؛ فأنت تجرّدُ من شخصِك فردًا متكّلمًا، وآخرَ سامعًا) [(2)].فالّلغة تقومُ على الثنائيّةِ: المتكّلِم والسامع؛ لذلك كانَ ضرورةٍ من ضروراتِ الآتصال الّلغويّ، تحقق به الّلغة هدَفها، (Sonority) الوضوحُ السمعيُّ التأثيريّ، وسمة من سماتِ الجودةِ الصوتيّةِ، التي يتمتّعُ بها النصُّ الجيّد.

وهذا الوضوحُ، خارجًا على المؤّثراتِ غير الّلغويّة، كالمؤّثراتِ النّفسيّةِ، والاجتماعيّة، يتحصّلُ بعواملَ عدة، تتمثّلُ في طبيعةِ الأصوات الّلغويّةِ التركيبيّةِ، والفونيماتِ غير التركيبيّة، وطبيعةِ المقاطع الصوتيّة، والتنظيم الذي يحكمُ هذه الأصوات والمقاطع.

أمّا الأصوات التركيبيّة، فتختلف في درجةِ وضوحِها في السّمع، بينَ ارتفاع وانخفاض، بناءً على الملامح التمييزيّةِ، التي يتشكّلُ منها الصوت الّلغويّ. ويظهرُ ذلك من خلال تسلسل الأصوات العربيّةِ من الأقلّ وضوحًا إلى الأوضح: الصوامت الانفجاريّة المهموسة كالتاءِ، والكافِ،

---

(1) أصوات اللغة، عبدالرحمن أيوب، ص134.

(2) الّلغة بين القوميّة والعالميّة، إبراهيم أنيس، ص28، وأسس علم اللغة، ماريو باي، ص40.

والقاف...؛ فالصوامت الاحتكاكيّة، كالسين، والفاء...؛ فالصوامت الانفجاريّة المهموسة كالباءِ، والدال، والضاد...؛ فالصوامت المجهورة كالزاي، والذال، والظاءِ، والغين، الاحتكاكيّة المجهورة الميمُ، والنونُ، واللامُ، والرّاء والعين...)، فالصوامت الرنّانة الواو والياء؛ فهما أوضحُ من الصوامتِ،، ويأتي بعدَ ذلك، نصفا الحركةِ التي تعدُّ أوضحَ الأصوات في السمع، وهي نفسُها تتدرّجُ في الوضوح السمعيّ، بالتسلسل التصاعديّ الآتي: الضمة القصيرة، فالكسرُة القصيرة، فالفتحة القصيرة، فالضمة الطويلة، فالكسرُة الطويلة، فالفتحة الطويلة[1].

نلاحظ باستقراءِ هذا الترتيب، الذي نصَّ عليه علماءُ الأصوات، بناءً على نتائج أجهزةٍ، مخصوصةٍ بدراسةِ الصوتِ اللّغويّ[2]، أنّه يقومُ على معيارين مهمّين: يتمثّلُ الأول في مقدار الطاقةِ التي يحمُلها الصوت اللّغويّ؛ فكلّما زادت هذه الطاقة؛ زادَ وضوحُ الصوتِ السمعيّ؛ فنجدُ أنّ ملمحَ الاحتكاكِ، يكسبُ الصوت وضوحًا أكثرَ من الانفجار؛ فهو يشحنه بطاقةٍ أقوى؛ لكونِه أصعبَ في النطق، كما يكسبُ الجهرُ الصوت وضوحًا، لا يتوافرُ في الهمس؛ لكون الهمس، في حقيقتِه، انعدامَ الجهر.

أمّا المعيارُ الآخرُ، فيتمثّلُ في طول الصوتِ اللّغويّ مقدّرًا عادَة، بجزءٍ من الثانية الذي يقصدُ به (الزمن)[3]؛ فكلّما زادَ طولُ الصوتِ اللّغويِّ؛ الذي يستغرُقه النطق بهذا الصوت زادَ وضوحُه في السمع؛ لذا نجدُ الحركاتِ الطويلة أوضحَ من القصيرة، كما نجدُ الحركاتِ أوضحَ من الصوامت؛ لأنَّها أطول، ولأنَّ طاقة السواكن (الصوامت) عامّة، أقلُّ من طاقةِ الحركات [4].

ونلاحظ كذلك، أنَّ هذا الترتيبَ، قد سلسلَ الصوامت في مجموعاتٍ، مضمَّنا كلَّ مجموعةٍ منها، ما تقاربَ في الوضوح؛ فتتشابهُ صوامت كلِّ مجموعةٍ في الطاقةِ والطول؛ لاشتراكِها في الملامح التمييزيّةِ ذاتِها، أو تشابهها في هذه الملامح إلى حدٍّ كبير. وهذه المجموعات بترتيبِها

---

(1) ينظر: أصوات اللّغة العربيّة، عبد الغفار حامد هلال، ص239–240. ودراسة السمع والكلام، سعد مصلوح، ص266، ودراسة الصوت اللّغويّ، أحمد مختار عمر، ص293–294، وعلم أصوات العربية، محمد جواد النوري، ص235، نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربيّ، عليّ يونس، ص237.

(2) علم أصوات العربية، محمد جواد النوري، ص 9–10، وينظر: دراسة الصوت اللّغويّ، أحمد مختار عمر، ص53–64.

(3) الأصوات اللغويّة، إبراهيم أنيس، ص 145. ولتفصيل القول في الطول: انظر: فصول في علم الأصوات، محمد جواد النوري وعليّ خليل حمد، ص210–214.

(4) التشكيل الصوتيّ في اللّغة العربيّة، سلمان حسن العاني، ص50.

التصاعديّ، هي: المجموعة الانفجاريّة المهموسة (التاءُ، والطاءُ، والقاف، والكاف)، فالمجموعة الاحتكاكيّة المهموسة (الثاءُ، والحاءُ، والخاءُ، والسينُ، والشينُ، والصادُ، والفاءُ، والهاء)، فالمجموعة الانفجاريّة المجهورُة (الباءُ، والدالُ، والضاد)، فالمجموعُة الاحتكاكيّة المجهورُة (الذالُ، والزايُ، والظاءُ، والعينُ، والغين)، فالمجموعة الرنّانة (الراءُ، واللامُ، والميمُ، والنون). ومن الملاحظِ، أنَّ هذه المجموعاتِ تفتقدُ الصامتين: الهمزَة والجيمَ؛ لإشكالِهما المخرجيّ؛ فالأول محايدٌ من ناحيةِ الجهر والهمس، والآخرُ مركّب، يجمعُ بينَ الانفجار والاحتكاك.

ولتباين الأصوات اللّغويّةِ في الوضوح السمعيّ، أثرُه البارزُ، في تميّز الصوتِ من غيره إيجابًا، أو سلبًا، كما تملي الخبرُة اللّغويّة على أهلِها؛ فيستأثرُ الصوت الأوضحُ في السمع بالأفضليّة، ويظهرُ ذلك في العربيّةِ، من شيوع الأصوات المتميّزةِ بوضوحِها السمعيِّ، في الاستعمال؛ فنجدُ أنَّ اللامَ، أكثرُ الأصوات الساكنةِ (الصامتة) شيوعًا في اللّغةِ العربيّة.

علم الأصوات:

عرّف ابن جني حد اللغة بقوله(1): "إنّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"، وهو تعريف مهم يستوقف الباحث اللغوي الحديث، ذلك أنّه تعريف دقيق يذكر أبرز الجوانب المميزة للغة، فهو يؤكد أولًا الطبيعة الصوتية لها، ويذكر وظيفتها الاجتماعية في التعبير ونقل الفكر، كما يشير إلى اختلاف البنية اللغوية باختلاف المجتمعات الإنسانية، وهذه الجوانب الثلاثة تتناولها التعريفات الحديثة للغة(2) فقد نظر ابن جني إلى اللغة على أنّها أصوات أولًا تحمل دلالات يقوم بها التفاهم بين البشر حين يتخاطبون، وعرف أنّ الأساس في الظاهرة اللغوية النطق.

وابن جني أوّل من جعل الأصوات علمًا، وأطلق عليها هذا اللفظ الواضح الصريح قبل الغربيين بقرون، ودل به على دراسة الأصوات والبحث في مشكلاتها المختلفة على نحو مشابه للدرس الصوتي الحديث، يقول(3): "هذا القبيل من هذا العلم. –أعني علم الأصوات والحروف– له تعلق ومشاركة للموسيقا لما فيه من صنعة الأصوات والنغم"، فقد أدرك إذن أنّ علم الأصوات علم قائم بذاته، وإن كانت كلمة علم لا تعني يومذاك ما نعنيه اليوم من أسس وقواعد منهجية دقيقة. وكلام ابن جني واضح الدلالة على أنّ الأصوات أخذ ينظر إليها في القرن الرابع الهجري على أنّها يمكن أن تدرس درسًا مستقلًا، كما كانت تدرس علوم اللغة، بالاصطلاح القديم، من نحو وصرف وبلاغة وغيرها.

جهاز النطق:

يصدر الأصوات اللغوية جهاز في الإنسان يسمى تجوُّزًا بجهاز النطق(Organs of Speech) ذلك أنّ النطق وظيفة ثانوية له، ساعدت على خلقها الضرورة الاجتماعية والذكاء الإنساني، وهذا الجهاز مكوّن من جملة من الأعضاء أكثرها ثابت، وهي: الأسنان واللثة والغار والجدار الخلفي للحلق، وبعضها قابل للحركة، وهي: الشفتان، والأسنان والفك الأسفل والطبق، وفيه اللهاة والحنجرة والأوتار الصوتية(4).

---

(1) الخصائص، ابن جني، ج1/ص33.

(2) علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، ص9.

(3) سر الصناعة، ابن جني، ج1/ص9.

(4) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص64-65.

وقد شبه بعضهم الحلق والفم بالناي، فإنّ الصوت يخرج فيه مستطيلًا أملس ساذجًا، كما يجري الصوت في الألف غفلًا بغير صنعة، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة وراوح بين أنامله، اختلفت الأصوات، وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة(1).

سر اختلاف الأصوات الخارجة من جهاز النطق، وكيف يتم هذا الاختلاف؟ "ونظير ذلك أيضًا وتر العود، فإنّ الضارب إذا ضربه، وهو مرسل سمعت له صوتًا، فإن حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه أدى صوتًا آخر، فإن أدناها قليلًا سمعت غير الاثنين، ثم كذلك كلما أدنى إصبعه من أول الوتر تشكلت لك أصداء مختلفة، إلّا أنّ الصوت الذي يؤديه الوتر غفلًا غير محصور تجده –بالإضافة إلى ما أداه وهو مضغوط محصور– أملسًا مهتزًا، ويختلف ذلك بقدرة قوة الوتر وصلابته وضغطه ورخاوته، فالوتر في هذا التمثيل كالحلق، والخفقة بالضرب عليه كأول الصوت من أقصى الحلق، وجريان الصوت فيه غفلًا غير محصور كجريان الصوت في الألف الساكنة، وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذي يعرض للصوت في مخارج الحروف من المقاطع، واختلاف الأصوات هناك كاختلافها هنا"(2). وهو بهذا يصف ميكانيكية النطق.

هذا التفصيل التمثيلي الدقيق لجهاز النطق عند الإنسان وأثر انطلاق الهواء مضغوطًا، وغير مضغوط في إحداث الأصوات مختلفة بحسب إرادة الناطق أو المصوّت: هو ما تبناه علم الأصوات الفيزيولوجي (Phonnetics–Physiology) في الحديث عن الجهاز التنفسي الذي يقدم الهواء المناسب لتكييف حدوث الأصوات، وعن الحنجرة باعتبارها مفجرة الطاقة الصوتية، وعن التجاويف فوق المزمارية التي تلعب دور عزف الرنين في إنتاج غالبية الضوضاء المستخدمة في الكلام، وعن دور التنفس في مرحلتي الشهيق والزفير في اتساع القفص الصدري لدى الشهيق، فيدعو الهواء الخارجي بسبب هبوط الحجاب الحاجز، وارتفاع الأضلاع إلى الدخول من فتحتي الأنف أو الفم عبر القصبة الهوائية إلى الرئتين، فتنتج أصواتًا استثنائية مسموعة عند الأطفال، أو في حالتي النشيج والضحك. أما الزفير فيشتمل على ارتفاع الحجاب الحاجز، وهبوط الأضلاع،

---

(1) سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج1/ص7–8.

(2) المرجع السابق، ج1/ص9.

ونتيجة لهذا يندفع الهواء بكمية كبيرة من الرئتين، هذا الهواء المندفع بالزفير هو الذي يستخدم في التصويت[1].

إنّ هذا التحليل الحديث في حدوث الأصوات من وجهة نظر علمية أو تشريحية هو الذي أراده ابن جني في عنايته بمجرى الهواء في عملية إحداث الأصوات، ولكن بأسلوب يتجاوز مناخ بيئته إلى البيئات المعاصرة، وتشبيهه لهذا الجهاز بمراوحة الزامر أنامله في خروق الناي لسماع الأصوات لم يعد اليوم تشبيهًا بل عاد تسمية اصطلاحية في علم الأصوات الفيزيولوجي بالنسبة للتصويت.

إذ تطلق كلمة المزمار على الفراغ المثلث المحاط بالحبلين الصوتيين (فالمزمار يكون مفتوحًا في التنفس العادي، كما يكون مفتوحًا خلال النطق ببعض الصوامت المهموسة، أمّا خلال التصويت؛ فإنّ المزمار يجب أن ينغلق، على طول الخط الوسيط، فإذا بقي الجزء الموجود بين الغضروفين الهرميين مفتوحًا، بحيث يسمح للهواء بالمرور سمعنا صوتًا مستمرًا هو صوت الوشوشة، وإذا كان الائتلاف كاملًا كان المزمار في وضع الاستعداد للتذبذب... ومن الممكن أيضًا أن نقصر التذبذب على جزء من الحبل الصوتي، وبذلك نختصر طول الجسم المتذبذب، وهو ما يعطينا نغمة أكثر حدة. هذه المعطيات الفيزيولوجية تتفق اتفاقًا كاملًا مع القوانين الفيزيقية التي تحكم التردد الخاص باسم التذبذب)[2].

والحروف العربية ستة عشر مخرجًا:

فللحلق منها ثلاثة فأقصاها مخرجا: الهمزة والهاء والألف، من أوسط الحلق مخرج العين والحاء، وأدناها مخرجًا من الفم الغين والخاء، ومن أقصى اللّسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف، ومن أسفل موضع القاف من اللّسان قليلًا، ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف، ومن وسط اللّسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء، ومن بين وسط اللسان وأصول الثنايا مخرج الطّاء والدال والتاء، ومما بين طرف اللّسان وفويق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد، ومما بين طرف اللّسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء، ومن

---

(1) علم الأصوات، برثيل مالمبرج، ص43. (بتصرف)

(2) المرجع السابق، ص47 وما بعدها باختصار.

باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء، ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو، ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة)[1].

فالمصطلحات الدالة على مخارج الحروف بحسب ترتيبها هي كالآتي: [2]

1) الحلق.
2) أقصى الحلق: الهمزة والهاء والألف.
3) وسط الحلق: العين والحاء.
4) أدنى الحلق: الغين والخاء.
5) اللّسان.
6) أقصى اللّسان ما فوقه من الحنك الأعلى: الكاف.
7) أسفل اللّسان: الكاف.
8) وسط اللّسان: الجيم والشين والياء.
9) أول حافة اللّسان وما يليه من الأضراس: الضاد.
10) منتهى طرف اللّسان وما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا: النون.
11) ظهر اللّسان: اللام والراء.
12) طرف اللّسان وأصول الثنايا: الطاء والدال والتاء.
13) طرف اللّسان وفويق الثنايا: الزاي والسين والصاد.
14) طرف اللّسان وأطراف الثنايا: الظاء والذال والثاء.
15) باطن الشفة السفلى: الفاء.
16) بين الشفتين: الباء والميم والواو.
17) الخيشوم: النون الخفيفة.

---

(1) الكتاب، سيبويه، ج4/ص433-434.

(2) المرجع السابق، ج2/ص65-66.

نلاحظ من خلال هذا الترتيب أنّ سيبويه قد قسم مخارج الحروف العربية على خمس مناطق في جهاز النطق عند الإنسان، وهي:

1) الحلق.
2) اللّسان.
3) الأسنان.
4) الشفة.
5) الخيشوم[1].

(1) الكتاب، سيبويه، ج2/ص65-66، وينظر: مدخل إلى علم اللغة، محمود فهمي حجازي، ص49.

المطلب الأول:

قضية الوضوح السمعي في الصوامت

الجهاز النطقي للإنسان قادر على إنتاج أصوات كثيرة، وأنواع من الضجيج والضوضاء تبعد عن اللغة بقدر ما تبعد عنها أصوات الطبيعة، فليس كل صوت يصدر طواعية واختيارًا عن أعضاء النطق، إذ إنّ الصوت حتى يكون لغويًا لا بُدَّ أن يكون صادرًا بقصد عن المتكلم، فهناك بعض الأصوات قد تصدر عن المتكلم من دون قصد منه، وبعضها قد تصدر بقصد وعناية، فهذه الأصوات تكون مرة طبيعية، ومرة لغوية(1).

يحدث الصوت اللغوي، عندما يستعد الإنسان للكلام العادي، فيستنشق الهواء فيملأ به صدره قليلًا، وإذا أخذ في التكلم، فإنّ عضلات البطن تتقلص قبل النطق بأول مقطع صوتي، ثم تتقلص عضلات القفص الصدري بحركات سريعة، تدفع الهواء إلى أعلى عبر الأعضاء المنتجة للأصوات، وتواصل عضلات البطن تقلصاتها في حركة بطنية مضبوطة(2).

إنّ أية لغة من اللغات كما قال العلماء تقوم على أساسها الصوتي من الصوامت والصوائت التي تتآلف فيما بينها لتكوين المقاطع الصوتية، والتي تتآلف بدورها فيما بينها لتكوين الكلمات أو الألفاظ اللغوية المكونة للجمل والنصوص، ولما كانت القصة القرآنية تهدف إلى مجموعة من الفوائد والأغراض التي أراد بها القرآن الكريم أخذ العبرة والعظة بمعرفة أخبار السابقين نحاول فيما يلي بيان آثر الوضوح السمعي في الأصوات اللغوية للقصة القرآنية.

صفات الصوامت:

لكل حرف من حروف العربية مخرجه وسماته، هذه السمات هي التي عرفت بـ(صفات الحروف)، وهي:

---

(1) المدارس الصوتية عند العرب، علاء جبر محمد، ص3.

(2) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص111.

الجهر:

الجهر في الأصوات ناتج عن (اهتزاز الوترين الصوتيين اهتزازًا منتظمًا يحدث صوتًا موسيقيًا)[(1)]. فالجهر إذًا هو ارتفاع في شدة الصوت، فيكون للصوت المجهور من سمات القوة وطبيعة التأثير ما لا يكون لغيره من الأصوات، والأصوات المجهورة تضم خمسة عشر صوتًا، هي: (ب، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ظ، ع، غ، ل، م، ن، و، ي)، ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني قوله تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إلى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا﴾(الكهف: 87).

وردت هذه الآية في سورة الكهف، في قصة ذي القرنين والقرية التي سكنها قوم من نسل ثمود بقيتهم الذين آمنوا بصالح، قال ذو القرنين: أمَّا مَن ظلم نفسه منهم فكفر بربه، فسوف نعذبه في الدنيا، ثم يرجع إلى ربه، فيعذبه عذابًا عظيمًا في نار جهنم.

مما يلاحظ في الآية تكرار صوت الذال والصوت المقابل له الظاء، وهما حرفان مجهوران وفيهما ملامح من القوة والإثارة والتأثير ووضوح سمعي وقدرة على التوصيل، وارتبط ظهورهما في مراكز معنوية داخل الآية، متمثلة في فعل الشرط وجوابه، فالفعل (ظلم) والجواب الذي تكرر بأشكال مختلفة (نعذبه، فيعذبه، عذابًا)، فالتكرار يفيد من جانب التأكيد المعنوي، ومن جانب آخر وضوح سمعي له وقع صوتي يشكل إيقاعًا ضاغطًا مؤثرًا، ليلقي بظلاله على النّفس التي وقعت في إثم الظلم، ويأتي في مقابل الظلم عدة كلمات تشير إلى العذاب وسوء العاقبة والتخويف منها.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾[0] يونس: 78).

وردت هذه الآية في سورة يونس، في قصة موسى –عليه السلام– مع فرعون، قال فرعون وملؤه لموسى: أجئتنا لتصرفنا عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة غير الله، وتكون لكما أنت وهارون العظمة والسلطان في أرض (مصر)؟ وما نحن لكما بمقرّين بأنّكما رسولان أُرسلتما إلينا؛ لنعبد الله وحده لا شريك له.

---

(1) الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل، ط 3، القاهرة: دار التراث، ص 261.

مما يلاحظ في الآية تكرار صوت اللام، وصوت النون، وصوت الميم، وهي أحرف مجهورة وفيها ملامح من القوة والإثارة والتأثير ووضوح سمعي وقدرة على التوصيل. وهذه القضية تحتاج إلى أصوات تكون منسجمة مع طبيعتها وفيها قوة وصلابة وشدة، وفيها وضوح سمعي عالٍ فهم يعلنون بوضوح أنّ تكذيبهم للحق الذي جاء به موسى –عليه السلام– وهو من عند الله تعالى، ورميهم له بالسحر وما شابه ذلك من أمور ليس سببًا حقيقيًا لتكذيبهم إياه، بل الأمر وما فيه هو الخوف على زوال معتقداتهم الموروثة والسلطة الحاصلة إثرها التي يقوم عليها نظامهم السياسي والاقتصادي. وهو الخوف على السلطان في الأرض هذا السلطان الذي يستمدونه من خرافات عقائدهم الموروثة. إنّها العلة القديمة الجديدة، التي تدفع بالطغاة إلى مقاومة الدعوات، وانتحال شتى المعاذير، ورمي الدعاة بأشنع التهم، والفجور في مقاومة الدعوات والدعاة. فتكرار الأصوات المجهورة ذات الوقع القوي المؤثر تكشف أبعاد المعنى الغريب وتلفت الانتباه إليه لخطورته عليهم، وهذه الصفات تتسم بها ملامح الجهر الذي يتسم بقوة ووضوح في السمع.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ *وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾(الفيل: 2-3).

وردت هاتان الآيتان في سورة الفيل، في قصة أصحاب الفيل.

فتكرار صوت اللام في هذه الآيات –وهو صوت مجهور ذو وقع قوي– فقد أكسب قيمة تعبيرية أضفت على السورة إيقاعًا صوتيًا جاء منسجمًا مع الحدث، فناسب المشاهد التي توحي بالفناء والهلاك الذي حل بأصحاب الفيل من خلال الضربات الإيقاعية التي أسهم بتكراره في إحداثها، وهذه القضية تحتاج إلى أصوات تكون منسجمة مع طبيعتها وفيها قوة وصلابة وشدة، وفيها وضوح سمعي عالٍ، ولها من ثمَّ قدرة في التأثير في نفس المتلقي، وهذه الصفات تتسم بها ملامح الجهر الذي يتسم بقوة ووضوح في السمع، بسبب اهتزاز الوترين الصوتيين.

الأصوات المهموسة:

أما الهمس فهو ملمح صوتي يتسم بالليونة في طبيعته وتكوينه، وفيه ملمح من الحزن أحيانًا، على العكس من الجهر، فلا اهتزاز معه للأوتار الصوتية (فالصوت المهموس هو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان ولا يسمع لهما رنين حين النطق به)[1].

---

(1) الرعاية، مكي القيسي، ص 109.

إنّ عدد الأصوات المهموسة اثنا عشر صوتًا؛ وهي تجمع في قولنا: (قط، فحثه، شخص، سكت)، ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني ما يلي:

مثل قوله تعالى: ﴿وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾(الكهف: 32).

وردت هذه الآية في سورة الكهف، في قصة الرجلين من الأمم السابقة: أحدهما مؤمن، والآخر كافر، وقد جعل الله للكافر حديقتين من أعناب، ويحيطهما نخل كثير، ووسطهما نبت زروعًا مختلفة نافعة.

فطبيعة الصوت المهموس تشكل عنصر راحة وتقريب؛ وكأنّ المتكلم يريد أن يقرب السامع منه فيهمس في أذنه، والمؤمنون من أقرب الخلق إلى الله. فكلمة حَفَفْنَاهُمَا تتابع فيها مجموعة من أصوات مهموسة رقيقة عذبة، تنشر جوًّا من الراحة والجمال يملأ المحيط بها.

فالأصوات المهموسة الحاء والفاء والهاء، ذات الوضوح السمعي تخرج من الفم بكل أريحية، لتسبل على المنظر جمالًا وروعة ووضوحًا سمعيًا، وكأن حفيف الشجر جُمِع صوتًا ومنظرًا، يجول الخيال عبره، وما أجمل فك الإدغام في (وحففناهما)، فالإدغام يعطي ملمحًا من القوة قد لا تكون مناسبة في هذا المقام؛ إذ أدى فك الإدغام إلى تكرار الحرف المهموس (الفاء) فزاد من فاعليته وجماله ووضوحه السمعي.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾(البقرة: 70).

وردت هذه الآية في سورة البقرة، في قصة بني إسرائيل وجدالهم مع موسى- عليه السلام- في شأن البقرة، قال بنو إسرائيل لموسى: ادع لنا ربك يوضح لنا صفات أخرى غير ما سبق؛ لأنّ البقر -بهذه الصفات- كثير فاشْتَبَهَ علينا ماذا نختار؟ وإنّنا -إن شاء الله- لمهتدون إلى البقرة المأمور بذبحها.

في الآية ألفاظ سهلة في طبيعة أصواتها تلاقت والمعاني المريحة المحببة للنّفس وتوافقت مع الأصوات المهموسة (التاء، والشين، والقاف، والهاء) اللينة الرقيقة التي تمتاز بوضوح سمعي

عالٍ تخرج من الفم بكل تودد، لتناسب حالهم حين طلبوا من موسى- عليه السلام- بعد جدالهم إياه أن يبين لهم لون البقرة المقصودة. فلا بُدَّ من اللين في الخطاب والتروي في اختيار المفردات.

أما بالنسبة لصوت الهمزة:

فتعد الهمزة صوتًا صامتًا انسداديًا حنجريًا (أو مزماري) لا مجهور ولا مهموس[1] صوتها الانفجاري يثير الانتباه ويوحي بالبروز فتشكلها في الحنجرة بانطباق شفتي المزمار سادة بذلك فتحة المزمار، وانفراجها جعل منها حاجزًا صوتيًا، ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني ما يلي:

مثل قوله تعالى: ﴿وَقالَ فِرْعَوْنُ يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبابَ (36) أَسْبابَ السَّماواتِ فَأَطَّلِعَ إِلى إِلهِ مُوسى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كاذِبًا وَكَذلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَما كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبابٍ﴾(غافر: 36-37).

وردت هذه الآيات في سورة غافر، في قصة فرعون وتكذيبه لموسى-عليه السلام- في دعوته إلى الإقرار برب العالمين والتسليم له. قال فرعون لهامان: يا هامان ابْنِ لي بناءً عظيمًا؛ لعلي أبلغ أبواب السماوات وما يوصلني إليها، فأنظر إلى إله موسى بنفسي، وإنّي لأظنّ موسى كاذبًا في دعواه أنّ لنا ربًا، وأنّه فوق السماوات، وهكذا زُيّن لفرعون عمله السيِّئ فرآه حسنًا، وصُدَّ عن سبيل الحق؛ بسبب الباطل الذي زُيّن له، وما احتيال فرعون وتدبيره لإيهام النّاس أنّه محق، وموسى كاذب إلّا في خسار وبوار، لا يفيده إلّا الشقاء في الدنيا والآخرة.

يلاحظ مما سبق أنّه عند النطق بحرف الهمزة تقفل الفتحة التي بين الوترين الصوتيين، وهي فتحة المزمار، إقفالًا تامًا، ما يؤدي إلى احتباس الهواء الصادر من الرئتين، عبر القصبة الهوائية فيما دون الحنجرة، ثم ينفرج الوتران الصوتيان، فيخرج الهواء فجأة عبر المزمار، محدثًا صوتًا انفجاريًا، لا هو بالمهموس ولا بالمجهور)[2]، فهذا الصامت متميز الوضوح بإثارة سمعية، يستوجب تنشيطا ذهنيا، وتيقظا فكريا، تطلبه الفكرة الرئيسة التي تدور حولها الآيات، وهو تعالي فرعون وعناده وتكذيبه لسيدنا موسى- عليه السلام-، الذي تستشعر أهميته، وعظمته في ثقل هذا

(1) علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية، بسام بركة، ص١٧٧.

(2) ينظر: خصائص الحروف، عباس حسن، ص95.

الصامت على اللسان. ويُعدُّ صوت الهمزة من أكثر الأصوات احتياجًا إلى الجهد العضلي عند النطق به ويكون له الأثر الواضح في نفس المتلقي، فصوت الهمزة في الطبيعة يتميز بالبروز، والظهور، والنتوء، والوضوح السمعي أكثر من غيره من الأصوات، وهو صوت يحمل معنى القوة.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أول مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾(الأنعام: 94).

وردت هذه الآية في سورة الأنعام، في قصة بيان عقاب من افترى كذبًا على الله– سبحانه وتعالى–، ومَن أشدُّ ظلمًا ممَّن اختلق على الله تعالى قولًا كذبًا، فادّعى أنّه لم يبعث رسولًا من البشر، أو ادعى كذبًا أنّ الله أوحى إليه ولم يُوحِ إليه شيئًا، أو ادَّعى أنّه قادر على أن يُنْزِل مثل ما أنزل الله من القرآن؟ ولو أنّك أبصرت –أيّها الرسول– هؤلاء المتجاوزين الحدَّ وهم في أهوال الموت لرأيت أمرًا هائلًا، والملائكة الذين يقبضون أرواحهم باسطو أيديهم بالعذاب قائلين لهم: أخرجوا أنفسكم، اليوم تهانون غاية الإهانة، كما كنتم تكذبون على الله، وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله.

فحرف الهمزة الذي يتميز بالوضوح والإثارة السمعية يتناسب مع هذه الآية لما تحمله من معاني عقيدية بأسلوب قصصي، من خلال عرض حقيقة الألوهية كما تتجلى في قصص أنبياء الله مع أقوامهم، وحثت المسلمين على الاقتداء بنهجهم، وكذلك تدحض مزاعم المشركين، فاستخدام حرف الهمزة في هذا الموضع يتناسب مع الهدف الذي ترمي إليه الآية ويضفي عليها وضوحًا سمعيًا عاليًا.

التفخيم:

إنَّ التفخيم ظاهرة صوتيةّ تصاحب نطق بعض الأصوات خاصة والراء، والصاد والضاد والطاء والظاء والقاف واللام [1]. وإنّ تفخيم الصوت سواء تفخيمًا كليًا أو جزئيًا ناتجًا عن حركة مؤخرة اللسان إلى الطبق عند النطق بالصوت (فيظهر فيه قوة وتمكن وتعظيم مخالفًا للصوت

(1) ينظر: خصائص الحروف، عباس حسن، ص94.

المرقق المقابل له)[1]، ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾(الكهف: 11).

وقوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَٰهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾(الكهف: 14).

وردت هذه الآيات في سورة الكهف، في قصة أصحاب الكهف، فألقينا عليهم النوم العميق، فبقوا في الكهف سنين كثيرة. وقوَّينا قلوبهم بالإيمان، وشددنا عزيمتهم به، حين قاموا بين يدي الملك الكافر، وهو يلومهم على تَرْكِ عبادة الأصنام فقالوا له: ربنا الذي نعبده هو رب السموات والأرض، لن نعبد غيره من الآلهة، لو قلنا غير هذا لكُنَّا قد قلنا قولًا جائرًا بعيدًا عن الحق.

وهذا من المواقف التي ظهرت فيها الحاجة لإظهار القوة والتمكين المستمر في قصة أهل الكهف، إنّ ما حصل في قصة الفتية أصحاب الكهف فيه أحداث معجزة تصل إلى حد العجب، سواء ذلك في طبيعة الحدث، فناموا دون أن يوقظهم شيء وذلك لقوة الحاجز بينهم وبين الأصوات المقلقة، فكان التعبير بالصوت المفخم (فضربنا) يوحي بتلك القوة ويشعر السامع بوقعها. ويتكرر التعبير بالأصوات المفخمة في قوله تعالى: (وربطنا)، فطبيعة الصراع ومدة الإقامة التي قدرها الله لبقاء الفتية في نومهم تحتاج إلى عزيمة وقوة، منحها الله للفتية، وليفيد التمكن من تتابع ملمح التفخيم ليسبل ظلالًا من الوضوح السمعي العالي المعزز للمعنى والقوة على التعبير.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾ (ص: 15).

وردت هذه الآية في سورة (ص)، في قصة كفار مكة وتكذيبهم للرسول- صلى الله عليه وسلم- وما ينتظر هؤلاء المشركون لحلول العذاب عليهم إن بقوا على شركهم، إلّا نفخةً واحدةً ما لها من رجوع.

تسهم الأصوات المفخمة بإيقاعها في تجسيد ضخامة الحدث يوم القيامة، وكان لصوت (الصاد) و(القاف) إيقاع على هيبة ذلك اليوم، فحين ترافق أصوات التفخيم الأحداث الضخمة

---

(1) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص76.

فهي تصور بإيقاعاتها الضخمة وبوضوحها السمعي القوي ضخامتها وعظمتها، وكأنّها تنقل صوت هذه الأصوات كما تنقل الألفاظ معانيها.

وربما يعود تدني نسبة الأصوات المفخمة؛ أنّ اللغة العربية بصفة عامة، قد مالت في تطورها إلى التخلص من أصوات الإطباق (التفخيم)، إذ إنّ نسبة شيوعها في القرآن الكريم ضئيلة جدًا. فنسبة شيوع الصاد (٨) مرات في كل ألف من الأصوات الصامتة، والضاد (٦) مرات، والطاء (٤) مرات، والضاد (٣) مرات، في حين أنَّ صوتًا كالنون مثلًا، نسبة شيوعه حوالي (١١٢) مرة في كل ألف من الأصوات الساكنة في اللهجات(1).

الترقيق:

الترقيق يرجع أصله اللغوي إلى الجذر (ر ق ق) ومن معاني هذا الجذر الأيقونة والترقيق، نقيض الغليظ(2). والأصوات المرققة تبلغ (21) صوتًا صامتًا: (ء، ب، ت، ث، ج، ح، د، ذ، ر، ز، س، ش، ف، ك، ع، ل، م، ن، هـ، و، ي).

الترقيق الصوتي في مقابل التفخيم، فمع الصوت المرقق يستفل اللسان ويمتد ويرق أغلبه، فيخرج الصوت وفيه ملمح من ملامح الهدوء، وصفة من صفات اللين، ويسمى أيضًا لحركة اللسان معه بالاستفال، فعند خروج الصوت ينخفض اللسان عن مستوى التفخيم، ويلين المخرج ولذا يكتسب الكلام لينًا ورقة. وهذه السهولة والليونة موجودة في الترقيق، ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني قوله تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾(الكهف: 29).

وردت هذه الآية في سورة الكهف، في قصة سيدنا محمد- عليه الصلاة والسلام- والغافلين عن ذكر الله، قل- يا محمد- لهؤلاء الغافلين: ما جئتكم به هو الحق من ربكم، فمن أراد منكم أن يصدق ويعمل به، فليفعل فهو خير له، ومن أراد أن يجحد فليفعل، فما ظَلَم إلّا نفسه. إنّا أعتدنا للكافرين نارًا شديدة أحاط بهم سورها، وإن يستغث هؤلاء الكفار في النّار بطلب الماء مِن شدة العطش، يُؤتَ لهم بماء شديد الحرارة يشوي وجوههم. قَبُح هذا الشراب الذي لا يروي ظمأهم بل

(1) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص128.

(2) ينظر: لسان العرب، مج3، ج19/ ص1706. مادة (ر ق ق).

يزيده، وقَبُحَتْ النّار منزلًا لهم ومقامًا. وفي هذا وعيد وتهديد شديد لمن أعرض عن الحق، فلم يؤمن برسالة محمد- صلى الله عليه وسلم-، ولم يعمل بمقتضاها.

في الآية تخيير للكفار بين أمرين أو أكثر، وفي التخيير يكون المُخيَّرُ قادرًا على الأخذ بأحدهما، فيتساوق الأسلوب بين الطرفين، وهنا يخلو الطرفان من الحروف المفخمة التي قد ترجح أحدهما على الآخر، إما لعلم عن سلامة الطبع في حسن الاختيار أو ليتحمل المختار نتيجة اختياره، فيلزم عاقبة ما أقدم عليه، فحرية الاختيار بين الإيمان والكفر ممكنة، فجاءت العبارة خالية من حروف التفخيم، لتتساوق الأصوات المرققة(الراء، والفاء، واللام، والميم، والنون، والياء) مع حرية الاختيار، ولكن على من يختار أن يتحمل عاقبة اختياره، فالآية أتبعت إنذارًا شديدًا لمن يختار الكفر مسلكًا له ومذهبًا؛ ولذا طلع علينا الصوت المفخم (الظاء) في قوله تعالى: (لِلظَّالِمِينَ) يرافقه صوت النون ذو الوضوح السمعي القوي، فيضفي بقوته الصوتية الرنانة قوة إسماع وتبليغ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(هود: 34).

وردت هذه الآية في سورة هود، في قصة نوح- عليه السلام- ونصحه لقومه، أي شيء يجدي عليكم إبلاغي لكم وإنذاري إياكم ونصحي، إن كان الله يريد إغواءكم ودماركم، هو مالك أزمة الأمور، والمتصرف الحاكم العادل الذي لا يجور، له الخلق وله الأمر، وهو المبدئ المعيد، مالك الدنيا والآخرة. الأصوات المرققة في الآية كثيرة؛ لأنّ الآية تتطلب صوتًا مرققًا قريبًا من القلب وتقبله النفس بسهولة؛ وهذه السهولة والليونة موجودة في الترقيق الذي يرجع أصله اللغوي إلى الجذر (ر ق ق) والذي من معانيه اللين والترقيق.

فالأصوات المرققة (الحاء، والتاء، والراء، والكاف، واللام، والميم، والنون، والهاء) غلبت في الآية؛ ولعل مرد ذلك يعود إلى الطبيعة النطقية الأسهل للأصوات المرققة، حيثُ إنَّ مقدم اللسان عند إنتاج هذه الأصوات يرتفع في اتجاه الغار، وهذا ما يطلق عليه مصطلح التغوير[1]، وهي بذلك تتناسب مع مكنونات الداخل ومدى ما يشعر به الإنسان.

(1) ينظر: علم الأصوات اللغوية، محمد جواد النوري، ص154.

وطبيعة الموضوع الرئيس الذي تدور حوله الآيات (العقيدة) يحتاج إلى أصوات فيها رقة؛ لتكون قريبة لنفس السامع، مؤثرة فيه، قادرة على تغيير فكره، وملمح الترقيق يكسب الصوت ضعفًا، ووضوحًا سمعيًا ينسجم مع معاني الرقة والهدوء، فالآيات في مجملها تدعو المشرك إلى الإيمان بالله وحده، وطبيعة الدعوة تقوم على اللين في المعاملة والرفق في نشر الدعوة، وإظهارها للناس.

الانفجارية والاحتكاكية:

- الأصوات الانفجارية هو ما اصطلح القدماء على تسميته بالصوت الشديد وما يسميه المحدثون انفجاريًا[1].

الشدّة لغةً: هي (الصلابة)[2]. **أمّا الرخاوة لغةً:** (فهي الهش)[3].

الشدّة اصطلاحًا[4]: (هي انحباس جري الصوت عند النطق بالحرف لكمال الاعتماد في المخرج، أي هو الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه. (وأصواته ثمانية هي مجموعة في قول: أجدك قطبت).

عرف سيبويه الشدة قائلًا[5]: "ومن الحروف الشديد، وهو الذي يمنع الصوت أن يجريّ فيه". فالصوت الانفجاري وما يسمى بالوقفي؛ وذلك لانحباس النفس عند النطق به، ويصاحب خروجه انفتاح المخرج دفعة واحدة [6]، ما يعطي الصوت قوة؛ فارتبط ذلك بالحالات الانفعالية والتهديد والوعيد وعظيم الجزاء، ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني، قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ

---

(1) ينظر: علم الأصوات اللغوية، محمد جواد النوري، ص23.

(2) ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مج4، ج25، مادة (ش د د)، ص2214.

(3) ينظر: المرجع السابق، مادة (رخا)، مج3، ج18/ص1618.

4 ينظر: أسرار الحروف، أحمد زرقة، ط1، دار الحصاد للنشر والتوزيع- دمشق، 1993م، ص91.

(5) ينظر: الكتاب، سيبويه، ج4/ص434.

(6) الكتاب، سيبويه، ج4/ص174.

وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾(الكهف: 93-94).

وردت هذه الآية في سورة الكهف، في قصة الرد على سؤال المشركين محمد- عليه الصلاة والسلام- عن خبر ذي القرنين. حتى إذا وصل إلى ما بين الجبلين الحاجزين لما وراءهما، وجد من دونهما قومًا، لا يكادون يعرفون كلام غيرهم، قالوا يا ذا القرنين: إنَّ يأجوج ومأجوج -وهما أمَّتان عظيمتان من بني آدم- مفسدون في الأرض بإهلاك الحرث والنسل، فهل نجعل لك أجرًا، ونجمع لك مالًا على أن تجعل بيننا وبينهم حاجزًا يحول بيننا وبينهم؟

تتابعت الحركة مع الأصوات الانفجارية: (الألف، والباء، والتاء والجيم، والدال، والقاف) لتلائم قوة المعنى وحركته ووضوحه السمعي القوي، فالصوت الانفجاري فيه ملمح من القوة والحركة، فكانت حركات ذي القرنين -بما وهبه الله من قوة- قوية، وتظهر فيها السرعة في التحقق والإنجاز، من قدرته على بناء سد قوي ومتين بينهم وبين يأجوج ومأجوج.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْئَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ (الإسراء: 101).

وردت هذه الآية في سورة الإسراء، في قصة موسى- عليه السلام- وبني إسرائيل. فإذا كان بنو إسرائيل قد طغوا وأفسدوا مرات من قبل، رغم ما أوتوه من الآيات، فحل بهم العذاب، وإذا كانوا يطغون ويفسدون مرة أخرى حاليًا، وينتظرهم مثله من العذاب، فقد كان هذا أيضًا ديدن فرعون وآله قبلهم، حين أعرضوا عن المعجزات التسع التي جاءهم بها موسى- عليه السلام- فاتهموه بالسحر. وفي هذا إرشاد إلى كون الآيات المادية لا تغني الكافرين، بل تعجل هلاكهم، وفيه أيضًا بشرى للرسول- صلى الله عليه وسلم- بفتح مكة بعد أن اضطر إلى الخروج منها، كما أخرج بنو إسرائيل من مصر سابقًا، وفيه أيضًا تحذير للناس جميعًا، وخاصة لأمّة القرآن، من عاقبة الإعراض عن آيات الله والذي يؤدي إلى الاستكبار والطغيان والظلم.

تتابعت الأصوات الانفجارية: (الألف، والباء، والتاء، والجيم، والفاء، والكاف) لتلائم قوة المعنى، فالصوت الانفجاري فيه ملمح من القوة والحركة والوضوح السمعي القوي؛ فكان فرعون وقومه يعيثون فسادًا في الأرض فأرسل الله لهم موسى- عليه السلام- ليهديهم إلى طريق الرشاد،

فاتهموه بالكذب والسحر، فالأصوات الانفجارية تتماشى مع معنى الآية الذي تهدف إليه، وتكسب الصوت قوة ووضوح.

فطبيعة هذه الآية تؤثر ملمحًا مهمًا من الملامح الصوتية، وهو الملمح الانفجاري الذي يتصف بقوة وقعه، وتأثيره في الأصوات المجاورة له، ووضوحه السمعي وسهولة نطقه فالآية تحتاج ملمحًا كالملمح الانفجاري؛ ليتناسب مع معانيها.

الرخاوة:

اصطلاحًا: "هي جريان الصوت مع الحرف لضعف الاعتماد على المخرج، والحرف الرخو هو الذي يجري فيه الصوت؛ وهي خمسة عشر حرفًا: (الثاء، الحاء، الخاء، والذال، والزاي، السين، والشين والصاد، والضاد، والطاء، والغين، والفاء، والهاء، والواو، والياء). وهذه الأصوات يسميها المحدثون بـ(الأصوات الاحتكاكية)"[(1)]، ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني ما يلي: **في** قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: 81).

وردت هذه الآية في سورة الأنعام، في قصة إبراهيم – عليه السلام – حين حذَّر أباه آزر من عبادة الأصنام، وأنّ الله بصَّره بما في السموات والأرض من عجائب وبدائع وأسرار؛ ليستدل بها على وجود الله –سبحانه وتعالى– ويكون من أصحاب اليقين، فلما ستره الليل بظلامه رأى كوكبًا – وكان قومه يعبدون الكواكب والأصنام – فأراد أن يرشدهم إلى الله بالنظر والدليل فقال: هذا ربِّي، فلما غرب قال: لا أحب الغاربين ولا أعبدهم، فلما بزغ القمر قال: هذا ربِّي، فلما غاب قال: لئن لم يهدني ربِّي إليه لأكونن من الضالين، فلما رأي الشمس طالعة قال: هذا ربِّي، هذا أكبر، فلما غربت قال: يا قوم إنِّي بريء مما تشركون، وأعلن تمسكه بخالق السموات والأرض وبالدين الحق أي: لله وحده، مقبلًا عليه، معرضًا عن من سواه. فتبرأ من الشرك، وأذعن بالتوحيد، وأقام على ذلك البرهان.

---

(1) ينظر: أسرار الحروف، أحمد زرقة، ص91.

في نطق الأصوات الاحتكاكية يلامس الناطق صعوبة كبيرة في إنتاجها، والإنسان في نطقه لأصوات لغته، يميل إلى تلمس الأصوات السهلة التي لا تحتاج إلى جهد عضلي[1]. في الوقت نفسه تحتاج الأفكار إلى ملمح يتسم بالصعوبة النطقية، ويحمل صفات الليونة والسهولة، والوضوح السمعي وذلك موجود في ملمح الاحتكاك، فالآية فيها ما يدعو إلى الصرامة والقوة.

الحروف المتوسطة:

(والحروف المتوسطة بين الشدّة والرخاوة التي لم ينحبس الصوت معها انحباسه مع الشديد ولم يجرِ معها جريانه مع الرخوة هي خمسة الراء، والعين، اللام، والميم، والنون). والمحدثون من علماء الأصوات سموها الأصوات المائعة)[2].

مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّناتِ فَما زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتابٌ﴾(غافر: 34).

وردت هذه الآية في سورة غافر، في قصة فرعون مع الرجل المؤمن الذي يكتم إيمانه. قال الرجل المؤمن من آل فرعون الذي يكتم إيمانه لفرعون وقومه: لقد أرسل الله إليكم النبيَّ الكريم يوسف بن يعقوب- عليهما السلام- من قبل موسى، بالدلائل الواضحة على صدقه، وأمركم بعبادة الله وحده لا شريك له، فما زلتم مرتابين مما جاءكم به في حياته، حتى إذا مات ازداد شككم وشرككم، وقلتم: إن الله لن يرسل من بعده رسولًا، مثل ذلك الضلال يُضِلُّ الله كل متجاوز للحق، شاكٍّ في وحدانية الله تعالى، فلا يوفقه إلى الهدى والرشاد.

الحروف المتوسطة تساعد في إخراج أكبر كمية من النّفس؛ لأنّ الموقف يستدعي ذلك، والفكرة التي تحملها الآية تحتاج إلى ذلك، فهي أصوات تتميز بوضوح سمعي عال من الناحية النطقية لتسهيل وتجسيد المعنى الذي يرام إبلاغه للمتلقي، لأنّ الآية فيها ما يدعو إلى القوة والصرامة، مع السهولة النطقية وشدة التأثير على السامع.

---

(1) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص24.

(2) المرجع السابق، ص91.

الصفير:

لغةً: "الصفير من الصوت بالدواب إذا سقيت صفر يصفر تصفيرًا"(1).

اصطلاحًا: كانَ سيبويهِ قد ذكرَ هذا المصطلحَ عَرَضًا من دونِ الإشارةِ إلى تعريفِه(2).

وهو آليةٌ نطقيةٌ درجة الانفتاح معها أضيق من آلية الرخاوة، وهذا يؤّدي إلى ارتفاع في صوت الحفيف الحادث عن الاحتكاك حتى يغدو صوتًا يشبه الصفير الحاد، والأصوات العربية الحادثة بهذه الألية هي:**(السين والزاي والصاد)**(3). وهي ذات صفات خاصة تجعل منها عائلة واحدة تتسم بصفة الاحتكاك، وتحدث صفيرًا لضيق في مخرجها مما يعطيها سمة القوة والوضوح السمعي "فالصفير صفة قوة في الصوت لا يشركها في نسبته غيرها من الأصوات"(4). فتلفت الانتباه، ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني ما يلي:

مثل قال تعالى: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾(الكهف: 40).

وردت هذه الآية في سورة الكهف، في قصة الرجل الكافر صاحب الجنتين ونصح الرجل المؤمن له. وهلا حين دخَلْتَ حديقتك فأعجبتك حَمِدت الله، وقلت: هذا ما شاء الله لي، لا قوة لي على تحصيله إلّا بالله. إن كنت تراني أقل منك مالًا وأولادًا، فعسى ربي أن يعطيني أفضل من حديقتك، ويسلبك النعمة بكفرك، ويرسل على حديقتك عذابًا من السماء، فتصبح أرضًا ملساء جرداء لا تثبت عليها قدم، ولا ينبت فيها نبات، أو يصير ماؤها الذي تُسقى منه غائرًا في الأرض، فلا تقدر على إخراجه.

اشتملت الكلمات (فعسى، ويرسل، حسبانًا، السماء، فتصبح، صعيدًا، زلقًا)، في الآية على الحروف الصفيرية التي تمثل مراكز صوتية مرتبطة بالموقف الذي لجأ فيه المؤمن إلى ربه القادر على الفصل بين موقف الإيمان والكفر، فظهرت الأصوات الصفيرية في الطلب (فعسى) والنتيجة

---

(1) ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مج4، ج27/ص2460. مادة (ص ف ر)

(2) ينظر: الكتاب، سيبويه، ج4/ص464.

(3) أسرار الحروف، أحمد زرقة، ص93-94.

(4) نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، تامر سلوم، ص18.

(فتصبح صعيدًا زلقًا). ويزيد على ذلك التفخيم الذي يفضي إلى التخويف من عظيم عاقبة أمر الله.

هذا ما يؤكد أن الحروف الصفيرية هي ناتجة عن احتكاك شديد؛ ما يجعلها أكثر بروزًا في النطق، وأشدّ وضوحًا في السمع.

وقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾(البقرة: 35).

وردت هذه الآية في سورة البقرة، في قصة آدم وحواء حين أمرهم الله بالسكن في الجنّة ونهاهم من الاقتراب من الشجرة. وقال الله: يا آدم اسكن أنت وزوجك حواء الجنة، وتمتعا بثمارها تمتعًا هنيئًا واسعًا في أي مكان تشاءان فيها، ولا تقربا هذه الشجرة حتى لا تقعا في المعصية، فتصيرا من المتجاوزين أمر الله.

الحروف الصفيرية في الآية (الشين والزاي والسين)، فتشكل محور ربط مع العناصر الرئيسة في العبارة، فالشين في (شئتما) ذات ملمح فيه تفش وتشتت بالإضافة إلى الصفير، وهذا حال آدم وحوا وصراعهم مع الشيطان، فهو على غير بينة مهتز متشتت الفكر، والسين (اسْكُنْ) السكون والطمأنينة؛ ولذا جاء التعبير بلفظ (وَزَوْجُكَ)، يبدأ بحرف الزاي وفيه سمة التأكيد على المودة والمحبة بينهما، فيظهر الانسجام العميق بين اللفظ والمعنى، والوضوح السمعي القوي لكل متدبر ومتأمل في نص الآية القرآنية.

احتوت الآيات على أصوات صفيرية، وإنّ أول شيء يتبادر للذهن عند الحديث عن الصفير هو (الإنذار)، ومما يؤكد ذلك أنّ النّاس قد اتخذوا من أصوات الصفير نذيرًا ينبههم عند الخطر، فالأصوات الصفيرية لم ترد دون دلالة، وإنّما جاءت لتناسب طبيعة هذه الأفكار التي تحتاج إلى أصوات تحمل صفة القوة والوضوح؛ ولأنّها تمنح أصواتها ظهورًا سمعيًا مرتفع الوتيرة، وتمنح الألفاظ التي تصاحبها رنينا وإيقاعًا يلفت الأذهان إليها، ويجذب السمع نحوها، وكأنها تهب تلك الألفاظ أذهانًا صاغيةً وأسماعًا طائعةً؛ لأنّها أشد جذبًا للإسماع من الأصوات الأخرى[1].

---

(1) ينظر: سورة طه دراسة أسلوبية، علاء الدين الغرايبة، ص69.

والأصوات الصفيرية أندى في السمع نتيجة الاحتكاك الشديد الذي يصاحب هذه الأصوات أثناء نطقها، وأفكار السورة تحتاج إلى أصوات تمتاز بالوضوح السمعي؛ لتكون أقرب للفهم ولتكون حجة على سامعها.

هذه بعض الملامح الصوتية الملازمة للأصوات المفردة، من خلال سياقاتها وفاعليتها في نقل المعنى الصوتي.

أنصاف الحركات (أشباه الصوائت):

يطلق على الأصوات التي يقترب عضو النطق فيها من عضو نطق آخر دون أن يصل هذا الاقتراب بينها حد الاحتكاك، بالأصوات التقاربية، ويطلق بعض اللغويين على هذا النوع من الأصوات الصوت المستمر غير الاحتكاكي.

وما يهمنا الحديث عنه هو مصطلح الأصوات ذات التقارب الضيق (أنصاف الحركات)، فهذا المصطلح يطلق على الأصوات التي تبدأ أصوات النطق بها من منطقة حركة من الحركات، ثم تنتقل من هذا المكان بسرعة ملحوظة إلى مكان حركة أخرى، ولأجل هذه الطبيعة الانتقالية، وقصرها، وقلة وضوحها في السمع إذا قيست بالحركات الصرفة، عدت هذه الأصوات أصواتًا صامتةً، لا حركات، بالرغم من التشابه الواضح بينها وبين الحركات، وفي اللغة العربية تنطبق هذه الصفة على صوت (الواو، والياء) وَلَدْ، بَيْت(1).

ومن أمثلة ذلك في القصص القرآني ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَقالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ*يا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جاءَنا قالَ فِرْعَوْنُ ما أُرِيكُمْ إِلاَّ ما أَرى وَما أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشادِ*وَقالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزابِ*مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبادِ*وَيا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ*يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ما لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ*وَلَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّناتِ فَما زِلْتُمْ فِي شَكٍّ

(1) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر، ص165.

مِمَّا جاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إذا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتابٌ*الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾(غافر 28-35).

وردت هذه الآيات في سورة غافر، في قصة الرجل المؤمن الذي يكتم إيمانه، ودفاعه عن موسى- عليه السلام- أمام فرعون وقومه، حيث قال لهم: كيف تستحلون قتل رجل لا جرم له عندكم إلّا أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبراهين القاطعة من ربكم على صدق ما يقول؟ فإن يك موسى كاذبًا فإنّ وبال كذبه عائدًا عليه وحده، وإن يك صادقًا لحقكم بعض الذي يتوعدكم به، إن الله لا يوفق للحق من هو متجاوز للحد، بترك الحق، والإقبال على الباطل. يا قوم لكم السلطان اليوم ظاهرين في أرض (مصر) على رعيتكم من بني إسرائيل وغيرهم، فمَن يدفع عنّا عذاب الله إن حلَّ بنا؟ قال فرعون لقومه مجيبًا: ما أريكم- أيّها النّاس- من الرأي والنّصيحة إلّا ما أرى لنفسي ولكم صلاحًا وصوابًا، وما أدعوكم إلّا إلى طريق الحق والصواب. وقال الرجل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه واعظًا ومحذرًا: إنّي أخاف عليكم إن قتلتم موسى، مثل: يوم الأحزاب الذين تحزَّبوا على أنبيائهم، مثلَ: عادة قوم نوح وعاد وثمود ومَن جاء بعدهم في الكفر والتكذيب، أهلكهم الله بسبب ذلك. وما الله سبحانه يريد ظلمًا للعباد، فيعذبهم بغير ذنب أذنبوه. تعالى الله عن الظلم والنقص علوًا كبيرًا. ويا قوم إنّي أخاف عليكم عقاب يوم القيامة، يوم ينادي فيه بعض النّاس بعضًا; من هول الموقف ذلك اليوم. يوم تولون ذاهبين هاربين، ما لكم من الله من مانع يمنعكم وناصر ينصركم. ومَن يخذله الله ولم يوفقه إلى رشده، فما له من هاد يهديه إلى الحق والصواب. ولقد أرسل الله إليكم النبيَّ الكريم يوسف بن يعقوب- عليهما السلام- من قبل موسى، بالدلائل الواضحة على صدقه، وأمركم بعبادة الله وحده لا شريك له، فما زلتم مرتابين مما جاءكم به في حياته، حتى إذا مات ازداد شككم وشرككم، وقلتم: إنّ الله لن يرسل من بعده رسولًا، مثل: ذلك الضلال يُضِلُّ الله كل متجاوز للحق، شاكٍّ في وحدانية الله تعالى، فلا يوفقه إلى الهدى والرشاد الذين يخاصمون في آيات الله وحججه لدفعها من غير أن يكون لديهم حجة مقبولة، كَبُر ذلك الجدال مقتًا عند الله وعند الذين آمنوا، كما خَتَم بالضلال وحَجَبَ عن الهدى قلوب هؤلاء المخاصمين، يختم الله على قلب كل مستكبر عن توحيد الله وطاعته، جبار بكثرة ظلمه وعدوانه.

عند النظر في الآيات السابقة نلاحظ أنّ صوتي اللين (الواو، والياء) لهما ظهور بارز في جميع الآيات من حيث الأصوات اللغوية المذكورة، حيث ورد صوت الواو سبعًا وعشرين (27) مرة، وورد صوت الياء أربعًا وثلاثين(34) مرة، ولهذا دلالة كبيرة وواضحة في القصة القرآنية،

فالقصة حوار استخدم فيه أسلوب النداء، والواو والياء أصوات مد، فهناك نداء بين موسى- عليه السلام- وقومه يحذرهم ويخوفهم، ويدعو الله لهم، وأكثر من استخدام الأصوات التي فيها الطبيعة المدية كالواو والياء حتى يصل صوته إليهم، ويسمعوه ويقبل دعاءَه لهم في دعائه ومناجاته.

فصوت الواو والياء يتميزان عن غيرهما من الأصوات الساكنة بأنّهما أكثر الصوامت وضوحًا في السمع لإبراز الدلالات المختلفة، وإبراز المعاني الجمالية التي يحملها النص، فطبيعة الأفكار تتطلب أصواتًا تكون واضحة في السمع، أو تتميز بالوضوح السمعي من غيرها.

المطلب الثاني:

قضية الوضوح السمعي في الصوائت (الحركات)

الحركات هي القسم الثاني لأصوات اللغة، وقد يطلق عليها أحيانا الصوائت أو الأصوات الصائتة ((Vowels، في مقابل القسيم الأول وهو الأصوات الصامتة (consonants)[1].

ويمكن تسمية القسم الأول بالأصوات الساكنة، والثاني بأصوات اللين، إلّا أَنَّ الاسم المشهور الذي يطلق على هذين الصنفين في اللسانيات الحديثة هي الأصوات الصامتة والأصوات الصائتة، وينبني هذا التصنيف على معايير تتعلق بطبيعة هذه الأصوات وخواصها المميزة لها، وذلك بالتركيز على معيارين مهمين، هما:

- وضعُ الوترين الصوتين، حيث يكون غالبًا في وضع الدبدبة عند النطق بالحركات.
- مرور الهواء من الحلق والفم أو الأنف حرًا طليقًا[2]، عند النطق بالصوائت.

فالصوائت هي القسم الثاني الرئيس لأصوات اللغة، وتتميز بنطق مفتوح وغياب أي عائق، كما أنها، مصوتة أو رنانة أكثر من السواكن (الصوامت)؛ أي: أنّها أقوى الأصوات وضوحًا في السمع[3].

الصوائت أو الحركات، هي تلك الأصوات التي يندفع الهواء عند النطق بها (من الرئتين مارًا بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائل تعترضه، فتضيق مجراه كما يحدث مع الأصوات الرخوة، أو تحتبس النّفس ولا تسمح له بالمرور كما يحدث مع الأصوات الشديدة. فالصفة التي تختص بها أصوات اللين هي كيفية مرور الهواء في الحلق والفم وخلو مجراه من حوائل وموانع)[4].

(1) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص135.

(2) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر، ص149-150.

(3) ينظر: المرجع السابق، ص217-218.

(4) ينظر: علم الأصوات، مالبرج برتيل، ص29.

عرف اللغويون العرب الصوائت منذ زمن بعيد؛ حيث كانت تستخدم دون رمز يثبت وجودها، وكان القارئ يدركها من خلال فهمه للنّص أو السياق، وتؤكد معرفتهم لهذه الأصوات، منذ أن كانت اللغة العربية في صورتها المنطوقة قبل الكتابة.

الصوائت بخلاف الصوامت هي أصوات أُخْلِي سبيل الهواء أثناء النطق بها، الأمر الذي جعلها تتميز بمجموعة من الخصائص من بينها:

أ) الوضوح التام بحيث لا تخفى عند النطق، وتسمع بكامل صفاتها.
ب) تشيع في اللغات، كما أنّ أي انحراف عن أصول النطق بها يبعد المتكلم عن الطريقة المألوفة بين أهل هذه اللغة.
ت) مجهورة دائمًا[1].

وهي ستة في العربية، ثلاثة طويلة سماها القدامى (أصوات المد) (الألف، الواو، الياء)، وثلاثة قصيرة (الفتحة، الضمة، الكسرة).

فقد استعمل علماء اللغة المحدثون مصطلحات أخرى فضلًا عن المصطلحات التي استعملها علماء العربية القدامى للدلالة على الحركات، وهي: الأصوات الصائتة، وأصوات اللّين، والأصوات المتحركة، فنجد الدكتور كمال بشر قد أطلق تسمية (الصائت) على هذه الأصوات، وحدد هذا المصطلح فقال[2]: "هو الصوت المجهور الذي يحدث في أثناء النطق به أَنْ يمر الهواء حُرًّا طليقًا خلال الحلق والفم دون أن يقف في طريقه أي عائق أو حائل، ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقًا من شأنه أن يحدث احتكاكًا مسموعًا". ويسمي الدكتور إبراهيم أنيس الأصوات الصائتة (أصوات اللّين) فقال[3]: "وأصوات اللين في اللغة العربية هي ما أصطلح القدماء عليه بالحركات من فتحة، وكسرة، وضمة وكذلك ما سموه بألف المد، وياء المد، وواو المد"، إذ أطلق مصطلح أصوات اللين على الحركات القصيرة وعلى الحركات الطويلة.

---

(1) ينظر: في الأصوات اللغوية، غالب فاضل المطلبي، ص3.

(2) علم الأصوات، كمال بشر، ص217.

(3) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص28، وينظر: المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، ص42.

بينما أطلق عليها تمّام حسان اسم (حروف العلة)(1)، ويتفق معه في ذلك الدكتور أحمد مختار عمر إذ أشار إلى بعض اختلافات اللغويين في تعريف العلة فيسوق على ذلك بعض التعريفات:(2)

1) إنّها تعديلات للصوت المنطوق لا تتضمن غلقًا ولا احتكاكًا ولا اتصالًا من اللسان أو الشَّفَتين.
2) صوت مجهور ينبعث الهواء في أثناء تشكيلة في تيار تتابع خلال الحلق والفم ولا يوجد معه عائق أو تضييق يسمح بوجود احتكاك.

من خلال التعريفات ومعايير التصنيف السابقة للأصوات، والتي باستعمالها يمكن أن نقسم الأصوات اللغوية إلى صوائت وصوامت، فإنّ الصائت هو الصوت المجهور، ومعناه تذبذب الأوتار الصوتية حال النطق بها، وصفتها الثانية أن يخرج صوت الحركة حرًا طليقًا من دون عائق يعترض هذا الصوت أو يغيره تغيرًا كبيرًا تدركه حاسة السمع بوضوح.

والحركات في اللغة العربية (ثلاث بالتسمية: الفتحة والكسرة والضمة، ولكنّها ست في القيمة والوظيفة، وعلاماتها (َ، ُ، ِ) كما في نحو: كَبير، كِبار، كُبراء، وقد تكون طويلة، وهي المعروفة حينئذ بأصوات المد في القديم، وهي الفتحة الطويلة، نحو: قال، والياء وهي الكسرة الطويلة في مثل القاضي، والواو وهي الضمة الطويلة في نحو: يدعو) (3)، وتشتق الحركات الطويلة وهي حروف المد من القصيرة، فهي ليست سوى امتداد صوتي لها، وهي: (ا، و، ي).

ومن الأوائل الذين عنوا بالحركات (الصوائت) بالشكل الدقيق حسب كمال بشر، نجد دانيال جونز، الذي بدأ عمله بالنظر إلى عضوين مهمين في تكوين الصوائت، وهما الشفتان واللسان باعتبارهما العضوين المتدخلين في تعديل شكل مجرى الهواء الصاعد من الرئتين. وقد نظر إلى اللسان باعتبار علاقته بالحنك الأعلى من حيث الارتفاع والانخفاض، ثم تحديد الجزء الذي يحدث فيه الارتفاع والانخفاض من اللسان، كما نظر إلى الشفتين من حيث ضمهما وانفراجهما، ومن حيث استقرارهما في وضع محايد.

---

(1) ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص 108.

(2) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص 137.

(3) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر، ص 225–226.

من تعريفنا للصائت بأنه مجهور ينتج أنّ كل الأصوات غير المجهورة (أي المهموسة) تُعدُّ صامتة، وذلك مثل السين والشين والفاء...إلخ. كما ينتج من تعريفنا للصائت بأنّه المجهور الذي لا يعترض مجرى الهواء عند نطقه في الحلق والفم اعتراضًا تامًا أو ناقصًا محدثًا لاحتكاك مسموع، أنّ كل الأصوات التي يعترض فيها مجرى، وكذلك ما يعترض مجرى الهواء في تكوينه في الحنجرة، مثل: (همزة القطع)، وأنّ كل الأصوات التي لا يمر الهواء في نطقها من الفم –مجهورة أم مهموسة– تدخل في باب الصوامت كذلك وذلك كـ (الميم)، وأنّ همزة القطع مثلًا خارجة من الصوائت، ويصدق عليها أنّها صامت لأنّه يحدث في نطقها أنّ الهواء يعترض اعتراضًا تامًا في الحلق (في الحنجرة)، وأنّ كل الأصوات التي يحدث في نطقها احتكاكًا مسموعًا كـ (الفاء والسين والزاي) تندرج تحت الصوامت. إذًا كل الأصوات المهموسة تدخل تحت طبقة الصوامت، أما المجهورة فبعضها وهو الذي لا يحدث في نطقه اعتراض كامل لمجرى الهواء، أو تضييق له يحدث احتكاكًا يدخل تحت الصوائت، وسائرها ينطوي تحت الصوامت وأي صوت (في الكلام الطبيعي) لا يصدق عليه هذا التعريف يُعدُّ صوتًا صامتًا[1].

الحركات الطويلة (أشباه الصوائت):

أشباه الصوائت هي التي يطلق عليها في العربية بحروف العلة وهي أصوات المد ألفًا أو واو أو ياء (وهي الحركات الطويلة) كما تطلق على ما شابهها، وهما الواو والياء المعتلتان، وهما المقصودتان هنا بتعبير أصوات العلة وبعبارة أدق، صوتي العلة، ولذلك سميت بأشباه الصوائت.

وقد أدرك العرب القدامى هذه الحقائق من خلال توصلهم إلى مخارجها وسماتها المشتركة مع الحركات القصيرة (الصوائت)، وهذا ما يتبين لنا من خلال هذا النّص لابن سينا[2]: "وأما الألف المصوتة وأختها الفتحة، فأظنّ أنّ مخرجهما مع إطلاق الهواء سلسًا غير مزاحم، وأمّا الواو المصوتة وأختها الضمة، فأظن أن مخرجهما مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى فوق، وأما الياء المصوتة وأختها الكسرة فأظنّ أنّ مخرجهما مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى الأسفل...، ثم أمر هذه الثلاثة على مشكل، ولكنّي أعلم يقينًا

---

(1) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، ص149.

2 ينظر: أسباب حدوث الحروف، لأبي علي الحسين بن عبد الله ابن سينا، ص84.

أنّ الألف الممدودة المصوتة تقع في ضعف، أو أضعاف زمان الفتحة، وأنّ الفتحة تقع في أصغر الأزمنة التي يصح فيها الانتقال من حرف إلى حرف".

وهذه الحقائق برهان عبقرية هؤلاء العظماء، بالنّظر إلى زمانهم وما أتيح لهم من الإمكانيات مقارنة مع ما توصلوا إليه من حقائق علمية مهمة.

تكون هذه الأصوات صائتة إذا سكنت وجانست الحركة السابقة لها، كقولنا: بَاع، يِبيع، يقُول، فكل من الألف، والياء، والواو، وردت ساكنة بعد حركة من جنسها، أمّا الألف فلا تكون إلّا صائتًا طويلًا، بعكس الواو والياء، اللذين يتخذان في حالات معينة شكل الصوامت، كالواو، في قولنا مثلا: وَلَد، يَوم، والياء في قولنا: يَلبَسُ، يُسافر، بَيْتٌ.

حين تحدث الخليل عن أصوات اللغة العربية ميز طائفة من الأصوات وهي: "الألف والواو والياء، حيث أطلق عليها مصطلح الحروف الهوائية أو حروف الجوف"(1)، وعدّها هوائية ليس لها حيز تنتسب إليه، فكثيرًا ما تجده يقول: الياء والواو والألف هوائية في حيز واحد إلّا أنّها لا يتعلق بها شيء، وأيضًا قوله إنّها سميت هوائية لأنّها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدارج اللهاة، وإنّما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلّا الجوف، وكان يقول كثيرًا: الألف اللينة والواو والياء هوائية(2).

"يقال للياء والواو والألف أحرف الجوف، أو الحروف الضعيفة الهوائية، وسميت جوفًا لأنّه لا أحياز لها كسائر الحروف التي لها أحياز، إنما تخرج من هواء الجوف فسميت مرة جوفا ومرة هوائية وسميت ضعيفة لانتقالها من حال إلى حال عند التصرف باعتلال"(3)، ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آَزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آَلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ *وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ *فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأي كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآَفِلِينَ *فَلَمَّا رَأي الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ *فَلَمَّا رَأي الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا

(1) ينظر: العين، الخليل، ج1/ص57.

(2) ينظر: في الأصوات اللغوية، غالب فاضل المطلبي، ص70.

(3) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مج6، ج52/ص4744،

أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ*إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ*وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ*وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ*الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ*وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ*وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ*وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ*وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ*وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ*ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ*أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ*أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ*وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ*وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ*وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ*وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أول مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ*إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾(الأنعام: 74-95)

وردت هذه الآيات في سورة الأنعام، في قصة إبراهيم – عليه السلام – حين حذَّر أباه آزر من عبادة الأصنام، وأنّ الله بصَّره بما في السموات والأرض من عجائب وبدائع وأسرار؛ ليستدل بها على وجود الله –سبحانه وتعالى– ويكون من أصحاب اليقين، فلما ستره الليل بظلامه رأي كوكبًا – وكان قومه يعبدون الكواكب والأصنام – فأراد أن يرشدهم إلى الله بالنظر والدليل فقال: هذا ربِّي، فلما أفل قال: لا أحب الأفلين ولا أعبدهم، فلما بزغ القمر قال: هذا ربِّي، فلما غاب قال: لئن لم يهدني ربِّي إليه لأكونن من الضالين، فلما رأي الشمس طالعة قال: هذا ربِّي، هذا

أكبر، فلما غربت قال: يا قوم إنِّي بريء مما تشركون، وأعلن تمسكه بخالق السموات والأرض وبالدين الحق. وتتحدث الآيات عن المؤمنين الذين لم يخلطوا إيمانهم بشرك أو كفر، وأنّ لهم الأمن والطمأنينة، وأنّهم المهتدون. ومنهم (إبراهيم) – عليه السلام – الذي أعطاه الله الحجة على قومه. ثم ذكرت أنّ الله –سبحانه وتعالى– وهب لـ (إبراهيم) – عليه السلام – (إسحاق) بعد أن كبر سنه ومن ذريته (يعقوب) وهم جميعًا من المهتدين، وكذلك كان (نوح) – عليه السلام – ومن ذريته المهتدين: (داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط، ولكلٍّ منهم فضل وخصوصية. وهؤلاء الذين أنعم الله عليهم بالرسالة والحكم والنبوة، فعلى الرسول –صلى الله عليه وسلم– وأمّته أن يقتدي بهداهم فيبلغ قومه أنّه لا يريد أجرًا على إبلاغه إياهم هذا القرآن.

ثم تبيِّن الآيات حال الكافرين الذين أنكروا ما أنزل الله على رسوله؛ لأنهم لم يعظموا الله ولم يعرفوه حق المعرفة، وترد عليهم قولهم: ﴿مَا أَنزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ﴾ بإنزال الله –سبحانه وتعالى– التوراة على (موسى) –عليه السلام– وتقرر أن القرآن مبارك مصدِّق لما تقدمه من الكتب؛ لإنذار أهل مكة ومن حولها والعالم كله. وبينت الآيات أنّ أشد ظلم من يكذب على الله ويدّعي أنّه أوحي إليه أو أنّه سيُنْزِل مثل ما أنزل الله. ثم تصوِّر حال الظالمين وهم في شدائد الموت وأهواله يساقون للعذاب المهين.

احتوت الآيات السابقة على الحركات (الفتحة، الكسرة، الضمة) بنوعيها القصير والطويل، حيث بلغت الفتحة القصيرة أربعمائة وتسعة وتسعين (499) صوتًا، بلغت الضمة القصيرة مائة وأربعة وثلاثين (134) صوتًا، وبلغت الكسرة القصيرة مائة وستة وأربعين (146) صوتًا، ولهذا دلالته في الوضوح السمعي للآيات، فالآيات تتحدث عن فكرة أساسية، هي فكرة (العقيدة)، ونشر الدين الإسلامي، وهذه السورة مكية، وهي في مجملها تتحدث إلى المشرك، وتخاطبه؛ لتؤثر فيه، وتحاول أن تقنعه بهذا الدين الجديد الذي جاء به موسى– عليه السلام– لفرعون، وعندما تتحدث هذه الآيات إلى المشرك فهي تعبر عن الحالة النفسية التي يعيشها وهو يسمع هذا الدين الجديد، وكيف تبدأ نفسه تتردد بين قبول هذا الوضع الجديد، أو رفضه؟ وكل ما سبق ما كان ليبرز لولا توظيف الحركات توظيفًا دلاليًا، ينسجم ومضمون الآيات فالحركات ينسجم كمها الصوتي، واتساع مخرجها، ووضوحها السمعي القوي، وامتدادها مع أهمية هذا الموضوع الذي تدعو إليه الآيات؛ وهو موضوع (العقيدة)، والهواجس، والعواطف النفسية التي تسيطر على الإنسان الذي يسمع بهذا

الدين لأول مرة، وكيف سيكون الرد عليه؛ لذلك جاء تكرار الحركات بنوعيها: القصيرة، والطويلة؛ لتتناسب وعاطفة السامع[1].

وقد ذكر إبراهيم أنيس أنّ (نسبة شيوع الفتحة في اللغة العربية حوالي (460) في كل ألف من الحركات قصيرها وطويلها، في حين أنّ الكسرة حوالي (184)، والضمة (146))[2]، وهذا ما ظهر في الآيات السابقة، فأكثر الحركات المستخدمة في هذه الآيات هي حركة الفتحة بنوعيها: القصير، والطويل، ثم الكسرة، والضمة بنوعيها، ومرد تفوق الفتحة بنوعيها على بقية الحركات يعود إلى أنّ الفتحة هي أخف الحركات تليها الكسرة، ثم الضمة، وتتصف حركة الفتحة في اللغة العربية بأنّها حركة تميل إلى الاتساع. ولا تكون الشفتان عند النطق بوضع استدارة[3].

فطابع الاتساع النطقي الممتد في الفتحة، يساعد بلا شك في إثراء الطابع الموسيقي العام لهذه الآيات، ولم يكن هذا الطابع الموسيقي، إلّا لتوافق مضمون الآيات؛ الذي تغلب عليها الفتحة؛ لأنّه يدور حول أمر خطير عظيم وهو (العقيدة)، حيث بلغت الضمة القصيرة مائة وأربعة وثلاثين (134) صوتًا، وبلغت الكسرة القصيرة مائة وستة وأربعين (146) صوتًا.

وإنّ أكثر الحركات الطويلة ذكرًا هي الفتحة الطويلة حيث بلغت مائة واثنين وسبعين (172) صوتا، وهي تُعدُّ من أخف الحركات وأقواها إسماعًا، فهي الحركة التي وصفت بالمتسعة؛ لاتساع مخرج هواء الصوت؛ ولأنّ اللسان يكون مستويًا في قاع الفم، مع انحراف قليل في أقصاه نحو أقصى الحنك، فينطلق الهواء من الرئتين، ويهز الأوتار الصوتية وهو مار بها [4]، فهي باتساعها وجهرها ووضوحها السمعي تفتح المجال أمام الرسول الكريم- صلى الله عليه وسلم- لنشر الدعوة الإسلامية، وكذلك تعطي السامع مجالًا للتفكير، والتدبر بكل ما تمليه عليه الآيات، ثم يأخذ القرار بشأن إسلامه، أو كفره.

ويلي الفتحة الطويلة، الكسرة الطويلة حيث بلغت أربعة وخمسين (54) صوتًا، وهي حركة أمامية ضيقة، تكون الشفتان فيها في حالة انفراج، وتراجع نحو الخلف[5]، والكسرة الطويلة تأتي

(1) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص159.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص159.

(3) ينظر: السابق، ص195.

(4) ينظر: المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب، ص92.

(5) ينظر: علم الأصوات العربية، محمد جواد النوري، ص192.

بعد الفتحة الطويلة حيث بلغت تسعة وأربعين (49) صوتًا، وهي تمتاز بالسهولة النطقية والوضوح السمعي، والحركات تتدرج في الوضوح السمعي، بالتسلسل الآتي: الفتحة الطويلة، فالكسرة الطويلة، فالضمة الطويلة، فالفتحة القصيرة، فالكسرة القصيرة، فالضمة القصيرة[1].

ثم تأتي الضمة بنوعيها: القصير، والطويل في المرتبة الأخيرة، وهذا يتناغم مع الوضوح السمعي والنشاط النطقي للحركات خفةً، وثقلًا؛ ذلك لأنّ نشاط أعضاء النطق مع الفتحة قليل جدًا قياسًا على الكسرة التي يصاحبها ارتفاع مقدم اللسان وانفراج الشفتين، وفي الضمة يتضاعف الجهد بارتفاع مؤخر اللسان، وتراجعه للخلف قليلًا، فضلًا عن جهد ضم الشفتين الأقوى من انفراجهما، والضمة تدل على الحزن والقوة، والضم يؤدي إلى الاجتماع، وكأنّ الآيات تدعو المشركين إلى الانضمام، والاجتماع حول العقيدة الإسلامية، والدين القويم، لما يعود ذلك عليهم بالقوة والنفع، والآيات تنذر المشرك إنَّ لم يلتزم بالدين القويم، فإنّه سيحزن، ويشقى في حياته، فطريق الهداية، والاجتماع حول الدين القويم، يزيل الهم والحزن، ويجعل الانسان قويًا مستعصمًا بحبل الله عز وجل[2].

وهكذا نرى أنّ الحركات التي تمتاز بجهرها، وعدم احتكاكها، ووضوحها السمعي تسهم في إبراز الدلالات المختلفة، فالحركات لها دلالاتها الخاصة في النّص، ولا يمكن دراسة النصوص التي تحتوي على الأصوات الصامتة بمعزل عن الحركات، إذ إنّ دراسة دلالات الأصوات الصامتة دون النظر إلى الحركات، يجعل الدلالة ناقصة؛ إذ لا تظهر الأصوات بشكل واضح إلّا في الحركات، فالحركة تضفي معاني للأصوات، تساعد في إبراز المعاني الجمالية التي يحملها النّص.

---

(1) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص293.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص161.

المبحث الثاني

المماثلة الصوتية والإدغام

تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض في المتصل من الكلام فحين ينطق المرء بلغته نطقًا طبيعيًا لا تكلف فيه، نلاحظ أنّ أصوات الكلمة الواحدة قد يؤثر بعضها ببعض ,كما نلاحظ أن اتصال الكلمات في النطق المتواصل قد يخضع أيضًا لهذا التأثر على أنّ نسبة التأثر تختلف من صوت إلى آخر، والأصوات في تأثرها تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينهما ,ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات أو المخارج ويمكن أن يسمى هذا التأثر بالانسجام الصوتي.

ولقد اتخذ اللغويون من الأصوات وصفاتها دليلًا يستدلون به على فصاحة الألفاظ وأصالتها، أو غرابتها عن لغتهم فوجدنا النحاة يعللون ويفسرون ما يطرأ على أبنية الصيغ والتركيب من تغير وتبدل بما توجبه قوانين الصوت ونظمه فهذه القوانين تجبر البناء اللغوي على التبدل والتغير في بعض الأحيان.

المماثلة من الظواهر اللغوية التي تمثل ملمحًا صوتيًا مهمًا في بناء الكلمة العربية وتناسق أصواتها، وتؤدي ظاهرة المماثلة في اللغة العربية دورًا مهمًا في اختصار الجهد بالنسبة للمتكلم في انتقالها من وضع لآخر ومن مخرج لآخر.

المماثلة لغةً:

مأخوذة من كلمة: مِثْلَ كلمة تسوية، ويقال هذا مِثلهُ كما يقال يشبِهُهُ وشَبْهَهُ بمعنى والمَثَلُ: الشَبَه، والمُماثَلة لا تكون إلّا في المتفقين، تقول: نحوُه كنحوِه وفقهُه كفقهِه ولونُه كلونِه وطعمُه كطعمِه، فإذا قيل: هو مِثْله على الإطلاق فمعناه أنّه يسدُّ مسدَّه[1].

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مج5، ج5/ص3563.

اصطلاحًا:

المماثلة هي أن يلتقي في الكلام صوتان من مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين – فيحاول أحدهما أن يجذب الأخر ناحيته، ويجعله يتماثل معه قي صفاته كلها أو في بعضها. ومصطلح المماثلة مصطلح حديث، وهو ترجمة للفظة الأجنبية (Assimilation) ويحوي هذا المصطلح تحت عنوانه كل أنواع التأثيرات بين الأصوات، عدا المخالفة[1].

وعرفها بعضهم بقولهم[2]: (هي تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إما تماثلًا جزئيًا أو كليًا). أي المقصود بالتماثل الجزئي حين لا يتطابق الصوت مع الآخر كأن نكتب حرف ونلفظ صوتا آخر يكون من مخرجه مثل لفظ النون ميما في كلمة انبعث.

أما التماثل الكلي يكون له تأثر كبير بين الأصوات وبحيث يتطابق الصوتان، مثل: الشمس ال+ شمس اش+ شمس، هنا يكون تغير اللام إلى شين التي بعدها يكون التماثل التام.

يقول دانيال جونز [3]: "هي استبدال صوت بآخر تحت تأثير صوت ثالث يكون مجاورًا له في الكلمة أو في الجملة".

وهي بهذا المفهوم ظاهرة عامة في اللغات جميعًا، ويمكن أن تسمى بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة[4]، ولأنّ الأصوات في تماثلها تهدف إلى نوع من التوافق والانسجام بين الأصوات المتنافرة في المخارج والصفات.

فإذا اجتمع في الكلام صوتان من مخرج واحد، أو من مخرجين متقاربين وكان أحدهما مجهورا والآخر مهموسًا، مثلًا حدث بينهما شد وجذب كل واحد منهما يحاول أن يجذب الآخر إليه ويجعله يتماثل معه في صفاته[5].

---

(1) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز الصيغ، ص279.

(2) النظام الصوتي لغة العربية دراسة وصفية وتطبيقية، حامد بن سعد الشنبري، ص63.

(3) معجم الصوتيات مرتب على الأقباء، رشيد عبد الرحمان العبيدي، ص193.

(4) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص145.

(5) أصوات اللغة، محمود عكاشة، ص81.

1. المماثلة عند علماء العربية القدامى:

من خلال الاطّلاع على الكتب الصوتية العربية رأينا أنّ هناك علاقة وثيقة بين دراسات اللغويين العرب القدامى الأوائل لظاهرة المماثلة، والتي أشاروا إلى أنّها تدل على فهمهم واستيعابهم لأصوات لغتهم، وهي ظاهرة التي سماها سيبويه وما جاء بعده بالمضارعة حينًا آخر، وإنّما دعاهم إلى أن يقربوها ليعني يقربوا الصاد من الزاي.

مصطلحات المماثلة وظواهرها في التراث اللساني العربي:

في دراستنا للتغيرات الصوتية الناجمة عن تجاوز الأصوات المتماثلة أو المتجانسة أو المتقاربة في كلمة صوتية واحدة، نجد أنفسنا أمام العديد من المصطلحات التي شاعت في كتب التراث منذ فترة مبكرة جدًا، على يد الرواد الأوائل للدرس الصوتي، من أمثال: الخليل وسيبويه ومن نحا نحوهما من اللغويين والنّحاة والقراء، لذا فإنّه ليس في إمكان الدارس الحديث للأصوات العربية أن يغفل نتائج تلك الدراسات القيمة التي عالجها القدماء، وأطلقوا عليها تسميات متعددة، ومن ثم فأنّنا سنحاول فيما يلي إلقاء الضوء على هذه المصطلحات لنتبين المراد منها، ونحدد علاقتها بما يطلق عليه في الدرس الصوتي الحديث مصطلح المماثلة أو التماثل(1).

1/ المماثلة بمعنى المضارعة:

عقد سيبويه (ت 180 هـ) عنوانا تضمن هذا المصطلح سماه(2): "هذا باب الحرف الذي يضارع به حرفًا من موضعه، والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه، فأمّا الذي يضارع به الحرف الذي من مخرجه فالصاد الساكنة إذا كانت بعدها الدال وذلك، نحو: مصدر وأصدر والتصدير"(3).

---

(1) النظام الصوتي للغة العربية (دراسة وصفية تطبيقية)، حامد بن أحمد بن سعد الشنبري، ص48.

(2) بحوث في اللسانيات (الدرس الصوتي العربي، المماثلة والمخالفة)، بن يشوجيلالي، ص57.

(3) الكتاب، سيبويه، ج4/ص477.

2/ المماثلة بمعنى المقاربة أو التقريب:

تعرض الفراء (ت 207 هـ) لظاهرة المماثلة في أماكن عديدة من كتابه معاني القرآن، أثناء تفسيره بعض الألفاظ القرآنية، معبرًا عنها بالمقاربة(1)، حيث يقول(2): "فأمل الذين يقولون يدّخر ويدّكر، ومدّكر، فإنّهم وجدوا التاء إذا سكنت واستقبلتها ذال تخلت التاء في الذال فصارت ذالًا، فكرهوا أن تصير التاء ذالًا فلا يعرف الافتعال من ذلك، فنظروا إلى حرف يكون عدلًا بينهما في المقاربة فجعلوه مكان التاء ومكان الذال".

3/ المماثلة بمعنى المشاكلة:

استعمل أبو سعيد السيرافي(ت368هـ) لفظ المشاكلة للدلالة على المماثلة، ومثل لها بصيغة افتعل حين تكون فاؤها صوتًا من الأصوات المستعلية فقد ذكر أنّه (3) إذا بنيت افتعل وفاء الفعل حرف من حروف الاستعلاء لما فيه من الاستعلاء والإطباق، وذلك افتعل مما فاء الفعل منه صاد أو ضاد أو ظاء؛ لأنّ هذه الحروف مطبقة مستعلية و ليس في التاء إطباق ولا استعلاء فاختاروا حرفًا من محرج التاء مستعليًا وهو الطاء فجعلوه مكان التاء(4).

4 /المماثلة بمعنى الإبدال أو القلب:

يطلق سيبويه في مواطن أخرى من الكتاب لفظ الإبدال للدلالة على المماثلة، وهو عنده لون من التقريب بين الأصوات ليتم التجانس والتماثل، ومن ذلك إبدال الصاد زايًا خالصة في النحو (الَتصدير) و(الَفصد) و(أصدرت) فقالوا فيها: (تزدير) و(الَفزد) و(ازدرت)، وقد علل ذلك قائلًا (5): (وإنّما دعاهم إلى أن يقربوها ويبدلوها أن يكون عَمَلُهم على وجهٍ واحدٍ و ليستعملُوا ألسنتهم في ضرب واحد)(6)، والذي يقصده سيبويه بأن يكون عملهم من وجه واحد، إبدال الصاد

(1) بحوث في اللسانيات، بن يشو جيلالي، ص61.
(2) معاني القرآن، الفراء، ج1/ ص215.
(3) السيرافي النحوي، ص575، وينظر: بحوث في اللسانيات، بن يشو جيلالي، ص 69.
(4) ما ذكر الكوفيون من الإدغام، السيرافي النحوي، ص575.
(5) بحوث في اللسانيات، جيلالي بن يشو، ص71.
(6) الكتاب، سيبويه، ج4/ص478.

زايًا لأنّها أختها في مجموعة الأصوات الصفيرية، والفرق بينهما أَنَّ الصاد مهموسة والزاي مجهورة أبدلت زايًا، لتناسب أو تُماثل الدال في الجهر.

5/ المماثلة بمعنى الإمالة:

الإمالة لغةً: من الميل وهو العدول إلى الشيء والإقبال عليه وكذلك الميلان ومال الشيء يميل ميلًا ومِمالًا ومميلًا وتميالًا [1].

والإمالة ظاهرة صوتية تهدف إلى نوع من المماثلة بين الحركات وتقرب بعضها من بعض، وهي وسيلة من وسائل تيسير النطق، وبذل أقل مجهود، إذ الغرض منها في الأعم الأغلب تحقيق الانسجام الصوتي الذي يعد ضربا من المماثلة، وقد صرح بذلك ابن يعيش الذي يقول[2]: "هو تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل"[3].

المماثلة عند المحدثين:

إنّ تعريفات القدماء للمثالة لا تختلف في مضمونها عما أقره المحدثون، وما أضافوه من هذا الموضوع لم يكن مسألة مصطلحات علمية حديثة من شأنها توضيح الظاهرة أكثر، وتجسيدها في اللغة المنطوقة بدقة وموضوعية.

فقد عرفها إبراهيم أنيس بقوله[4]: "والأصوات في تأثرها تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينهما، ليزداد مع مجاوراتها قربها في الصفات أو المخارج، ويمكن أن يسمى هذا التأثر بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة".

(1) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج6، ج48، مادة (م ي ل)ص4309.
(2) بحوث في اللسانيات، جيلالي بن يشو، ص84.
(3) شرح المفصل، ابن يعيش، ج9/ص54.
(4) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص149.

وقد عدّها رمضان عبد التواب من مظاهر الانسجام الصوتي بقوله[1]: "تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض عند النطق بها فيحدث عن ذلك من التوافق والانسجام بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو الصفات".

ويعرّفها أحمد مختار على أنّها: "تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إمّا تماثلًا جزئيًا أو كليًا"[2].

ويرى الدكتور عبد العزيز مطر أنّ المماثلة هي: "تأثر الأصوات المجاورة بعضها ببعض، تأثرًا يؤدي إلى التقارب في الصفة أو المخرج، تحقيقًا للانسجام الصوتي وتيسيرًا لعملية النطق واقتصادًا في الجهد العضلي"[3].

الإدغام

إنّ ظاهرة الإدغام من أبرز الظواهر اللهجية التي تميزت بها القبائل العربية بعضها عن بعض. فالقبائل التي عرفت بالإدغام هي تميم وطيء وأسد وبكر بن وائل وتغلب وقيس[4]. وهي قبائل عربية اشتهرت بالإدغام بوصفة ظاهرة لهجية هي تلك التي تميل إلى الخفة والسرعة. في كلامها[5] وقيل: الإدغام يرجع إلى اختلاف مواضع النبر [6].

الإدغام لغةً واصطلاحًا:

لغةً: دغم الغيث الأرض يدغمها وأدغمها: إذا غشيها وقهرها، والإدغام إدخال اللجام في أفواه الدواب، وأدغم الفرس اللجام أدخله فيه [7].

---

(1) التطور اللغوي، رمضان عبد التواب، ص30.

(2) دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص283.

(3) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، عبد العزيز مطر، ص245.

(4) في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص٧٣. قضايا.

(5) الخصائص، ابن جني، ج٢/ص١٤٠.

(6) اللهجات العربية ٧٣.

(7) ينظر: لسان العرب، مج2، ج16، مادة (د غ م)، ص1391.

والإدغام هو إدخال الشيء في الشيء، ومنه جاء إدغام الحرف في الحرف [1].

اصطلاحًا:

عرفه ابن جني بقوله[2]: "هو تقريب صوت من صوت".

أو هو إدخال حرف في حرف آخر من جنسه، بحيث يصيران حرفًا واحدًا مشددًا، مثل: مدّ يمدّ مدًّا، وأصلها: (مدد يمدد مددا) وحكم الحرفين في الإدغام أن يكون أولهما ساكنًا والثاني متحركًا دون فاصل بينهما[3].

وقد قال سيبويه في تعليل هذه الظاهرة[4]: "يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم في موضع واحد ثم يعودوا له، فلما صار ذلك تعبًا عليهم أن يداركوا في موضع واحد ولا تكون مهملة، كرهوه وأدغموا التكون دفعة واحدة، إذ كان أخف على ألسنتهم".

يقول إبراهيم أنيس[5]: "الإدغام عبارة عن فناء الصوت الأول في الثاني، بحيث ينطق بالصوتين صوتًا واحدًا كالثاني".

فالإدغام عبارة عن حذف للحركة من الصوت الأول وقلبًا له لمثل الثاني، ثم نطقًا للصوتين معًا من موضع واحد.

يقول ابن جني في باب الإدغام[6]: "قد ثبت أنّ الإدغام المألوف المعتاد إنّما هو تقريب صوت من صوت، وهو في الكلام على ضربين، أحدهما أن يلتقي المثلان على الأحكام التي يكون عنها الإدغام فيدغم الأول في الآخر...، وأن يلتقي المثلان على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام، فيقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه فتدغمه فيه، فهذا حديث الإدغام الأكبر، وأما الإدغام الأصغر فهو تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام، وهو ضروب فمن ذلك الإمالة،

---

(1) ينظر: العين، الفراهيدي، ج2/ ص32.

(2) ينظر: الخصائص، ابن جني، ص75.

(3) ينظر: جامع الدروس العربية، الغلاييني، ج3/ص530.

(4) ينظر: الكتاب، سيبويه، ج3/ص530.

(5) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص188.

(6) الخصائص، ابن جني، ج 2/ص139.

وإنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت...ومن ذلك أن تقع فاء افتعل صادًا أو ضادًا أو طاءً أو ظاءً فتقلب تاؤه طاءً وذلك، نحو: اصطبر، واضطرب، واطّرد، واظطلم فهذا التقريب من غير إدغام".

ومما سبق يتبين لنا أنّ الإدغام إدغام أكبر يتحقق فيه فناء حرف في آخر لاشتراكهما في المخرج والصفة، وهذا هو الإدغام الكامل أو التام، وإدغام أصغر يتجاور فيه الحرفان المتقاربان من دون إدغام، ويسمى هذا بالإدغام الناقص، وهذا ما يؤدي إلى تخفيف نطق الألفاظ الثقيلة بإدغام أصواتها المتقاربة، مثال ذلك ما نجده في الفعل (اصطبر) ذو الأصل الثلاثي (صبر) والميزان الصرفي له (افتعل)، إذ الأصل فيه (اصتبر) ولأجل إحداث الانسجام الصوتي فقد حوّلِت التاء المرققة في (اصتبر) إلى أختها الطاء المفخمة بتأثير من الصاد المشتركة معها في صفات كالإطباق مثلًا فتحقق الانسجام الصوتي المقصود.

أسباب الإدغام:

فمن الأسباب التي تؤدي إلى الإدغام الثقل الذي ورد في نطق بعض الأصوات، فقد مالوا إلى الخفَّة والسهولة والتَّيسير في نطق الأصوات، إذ إنّ الصوت خلال نطقه، متكررًا يكون مكروهًا، فعمدوا إلى الإدغام؛ لأنّه أخف على ألسنتهم(1).

وهو ما يتفق عليه المحدثون في قضية السهولة والتَّيسير(2)، التي بدت واضحة في المتكلمين في الأصوات التي نطقوا بها، والخفَّة والتَّيسير.

شروط الإدغام:

1. أن يتفق الحرفان في المخرج والصفات معا. وهو التماثل الكلي في نحو الباءين في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾(البقرة: 60)، وفي نحو الدالين في شدّ و مدّ.

---

(1) الكتاب، سيبويه، ج4/ص414.

(2) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص145.

2. أن يتفق الحرفان في المخرج ويختلفان في بعض الصفات الأساسية مثل الدال والتاء فهما من مخرج واحد ولكنهما يختلفان في صفتي الجهر والهمس فقط. مثل قوله تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: 256)، وبهذا يحصل الإدغام وكأنّه في صوتين متماثلين ويؤدي هذا إلى الاقتصاد في المجهود العضلي ويكون عمل اللسان واحدًا، ويتحقق الانسجام الصوتي في الكلمة أو الكلمتين[1].

3. أن يتقارب الحرفان المدغمان في المخرج والصفات مثل. اللام والراء في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾(الإسراء: 80)؛ وذلك لأنّ مخرجهما قريبان. وكذلك متقاربان في الصفات الأساسية كالجهر والتوسط والرخاوة والاستفال والانفتاح والإذلاق.

4. قد يتقارب الحرفان المدغمان في المخرج ويتباعدان في الصفات الأساسية مثل الدال والسين نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾(المجادلة: 1) مخرج الدال من طرف اللسان مع ما يقابله من أصول الثنايا العليا والسين تخرج من طرف اللسان وأطراف الثنايا. إلّا أنّهما يتباعدان في الصفات الأساسية. فالدال مجهورة وشديدة وغير صفيرية. والسين مهموسة ورخوة وصفيرية. ولكنّ الإدغام حدث بفقد الدال جهرها وشدتها ثم انتقلت إلى مخرج السين وتماثلت معها ثم كان الإدغام. وخاصة أنّ الدال كان أوّل الحرفين وكانت ساكنة لا شيء يفصل بينها وبين السين وهو الأصل في الإدغام.

5. وقد يتباعد الحرفان في المخرج ويتقاربان في الصفات الأساسية، مثل: الذال والجيم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة: 125) فالأول يخرج من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا والجيم من وسط اللسان مع ما يقابله من الحنك الأعلى. وجاز الإدغام لأنهما يشتركان في بعض الصفات، وهي: الجهر والرخاوة والاستفال والانفتاح مع اتساع مخرج الجيم نحو مخرج الذال[2].

(1) الإدغام عند علماء العربية في ضوء البحث اللغوي الحديث، عبدالله بو خلخال، ص١٣.

(2) المرجع السابق، ص14-15.

6. وقد يتباعد الحرفان في المخرج والصفات، ومع ذلك يحدث الإدغام بغرض الخفة والانسجام والإيجاز. وذلك في مثل إدغام الواو في التاء في، نحو: اتّعد واتّصل وأصلهما: أو تعد واوتصل من افتعل، ولكنّ الواو لسكونها وضعفها انقلبت إلى تاء وأدغمت في تاء الافتعال طلبًا للخفة والتيسير في النطق[1].

أنواع الإدغام:

قسم العلماء الإدغام إلى نوعين هما: الإدغام الكبير والإدغام الصغير:

الإدغام الكبير: هو أن يكون الأول من الحرفين متحركًا[2]. وبمعنى آخر هو أن يتحرك الحرفان معًا في الأصل سواء كانا متماثلين أو متقاربين نحو قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾(البقرة: 185)، فالراءان متحركتان. والإدغام يتطلب الحرف الأول ساكنًا والثاني متحركًا. فيكون العمل فيه تسكين الحرف الأول أولًا ونقل حركته إلى الساكن قبله ثم إدغامه في الثاني. وسمي هذا الإدغام كبير لكثرة العمل فيه والتغيير[3]. وهناك من يرد سبب هذه التسمية؛ لأنّ فيه عملين هما الإسكان والإدراج[4].

الإدغام الصغير: هو الذي يكون فيه أوّل المثلين ساكنًا والثاني متحركًا، وهذا القسم واجب الحدوث دائمًا سواء أوقع في الكلمة الواحدة، مثل: العَدْدُ العدُّ، أو وقع في كلمتين مثل. احبسْ سعيدًا احبسَّ عيدًا [5].

وسمي هذا الإدغام صغيرًا؛ لقلة العمل فيه وهو إدغام الأوّل في الثاني فقط[6].

وينقسم الإدغام بحسب الصفة إلى:

---

(1)الإدغام عند علماء العربية في ضوء البحث اللغوي الحديث، عبدالله بو خلخال، ص15.

(2) شرح طيبة النشر في القراءات العشر، للجزري، ص٥٤.

(3) المرجع السابق، ص15.

(4) المفصل في النحو والصرف، عزيز خليل محمود، ص٧٤.

(5) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الأنطاكي. ص١٢٤.

(6) شرح طيبة النشر في القراءات العشر، للجزري، ص15.

1. **إدغام المتماثلين**. وهو التقاء حرفين متماثلين الأوّل ساكن والثاني متحرك، فيدغم الأوّل في الثاني ليصبحا حرفًا واحدًا مشددًا. وفي كلمتين، مثل: إذ ذهب التي تقرأ اذّهب، أو في كلمة واحدة، نحو: يدركْكُم وتُقرأ يدركُّم.

ويحدث بين الأصوات المتجاورة المتحدة في المخرج، وفي جميع الصفات سواء كانت هذه الأصوات في كلمة واحدة، أم في كلمتين متجاورتين، وقد أطلق سيبويه على هذه الأصوات بـ (الأصوات المتماثلة)[1] فالتماثل هو أن يتَّحد الصوتان مخرجًا وصفةً، كالباء في الباء، والكاف في الكاف[2]، ويقع في الأصوات المتجاورة[3] فإدغام المثلين إنّما هو بين الصوتين اللذين يلتقيان فينطقان من موضع واحد، بحيث يرتفع اللسان بهما ارتفاعة واحدة، فعملية هذا الإدغام حذف الحركة والنطق بالصوتين على صورة الصوت الواحد المضعف[4].

وإدغام المثلين أقرب ما يكون في باب المماثلة التَّامة، إذ إنّ المثلين يكون فيهما تقارب صوتي كلي، فيصبح الصوتان متشابهين في صفاتهما كافة[5].

إدغام المتجانسين:

وهو التقاء الحرفين اللذين اتفقا مخرجًا واختلفا صفة هذه الحروف هي: (التاء الساكنة مع الطاء، والتاء الساكنة مع الدال، والتاء الساكنة مع الظاء، وتظهر هذه التاء مع بقية الحروف، والدال مع التاء ومع الضاد ومع الظاء مثل: فقد ظلم تُقرأ فقظّلم، الذال مع التاء ومع الظّاء مثل: أذ ظلمتم تُقرأ اظّلمتم، والطاء الساكنة مع التاء مثل: بسَطْت تُقرأ بسَتَّ مع بقاء صفة الإطباق وتظهر عند بقية الحروف)[6].

---

(1) الكتاب، سيبويه، ج1/ص437.

(2) جهد المقل، المرعشي، ص182.

(3) أثر القراءات في النحو، شاهين، ص131.

(4) المرجع السابق، ص242.

(5) المماثلة في اللغتين العربية والإنكليزية، (دراسة تقابلية)، رحيم، ص89.

(6) مختصر في التجويد على رواية ورش أبي سعيد، عبد الباسط طاهري، ص ١١٥-١١٧.

إدغام المتقاربين:

وهو تقارب الحرفين مخرجًا وصفةً، وكان الأول منهما ساكنًا فيجب إدغام الأوّل في الثاني بدون غنّة.

أنواع المماثلة:[1]

أولاً: التأثر المقبل الكلي في حالة الاتصال:

مثل: (ادَّعى)، وأصلها (ادْتَعى)، فهنا تأثرت التاء بالدال قبلها.

في هذه الحالة يتأثر الصوت بالصوت الذي قبله مباشرة فيتحول إلى نفس الصوت السابق، من أمثلته تأثر تاء الإفتعال دائما بالدال أو بالطاء قبلها فتقلب دالًا أو طاء، مثل: ادترك = ادّرك، ادتهن = ادّهن، اطتلب = اطّلب.

هنا يتأثر الصوت اللاحق بالصوت السابق. من أمثلة المماثلة في آيات القصص القرآني:

مماثلة الطاء للتاء:

أحطتُ – أحتّ

في قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾(النمل: 22).

ورد هذا الفعل في سورة النمل، في قصة الهدهد وسيدنا سليمان- عليه السلام-، فمكث الهدهد زمنًا غير بعيد ثم حضر فعاتبه سليمان- عليه السلام- على مغيبه وتخلُّفه، فقال له الهدهد: علمت ما لم تعلمه من الأمر على وجه الإحاطة، وجئتك من مدينة (سبأ) بـ(اليمن) بخبر خطير الشأن، وأنا على يقين منه.

---

(1) لحن العوام، أبو بكر الزبيدي، ص124.

حوط: حاطَه يَحُوطُه حَوْطًا وحِيطةً وحِياطةً: حَفِظَه وتعَهَّده، أَحَطْتُ بما لم تُحِطْ به؛ أَي علمته من جميع جهاتِه. وأَحاطَ به: عَلِمَه وأَحاطَ به عِلْمًا[1].

مخرجه التاء من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا[2]، وعلماء الدرس الصوتي الحديث بينوا مخرجه بأنّه أسناني لثوي [3]، وتحدث عملية نطق صوت التاء بالتصاق مقدمة اللسان باللثة والأسنان العليا مع ارتفاع الطبق ليسد المجرى الأنفي، وعدم ذبذبة الأوتار الصوتية، مع بقاء مؤخرة اللسان في وضع أفقي، ثم يزال السد بانخفاض مقدمة اللسان فيندفع الهواء المحبوس إلى الخارج [4].

تخرج التاء في اللفظ طاء (أحطت هنا تنطق أحطّ وتتأثر هنا التاء في فعلت بالطاء قبلها، والكل الذي حدث هنا هو تخلص الطاء من إطباقها، فتماثل الَحرفان كل المماثلة مما وفر سياقا ملائما الذي يدفع إلى دمجهما في عملية النطقية واحدة)[5].

وهذا الفعل الماضي عندما أسند إلى تاء المتكلم، والذي يجب سكون ما قبلها وهو حرف (الطاء) أدى إلى حدوث قضية صرفية صوتية، وهي: التقاء ساكنين (سكون الطاء لمجاورته لتاء المتكلم، وسكون الألف المنقلبة عن واو- والألف ساكن أبدي- ما أدى إلى حذف الألف منعًا لالتقاء الساكنين، فأصبح الفعل (أحطت).

ونظرًا للمماثلة الصوتية بين الطاء والتاء، ومجاورتهما لبعضهما أدى إلى تأثر الطاء بالتاء وهذا تأثر رجعي. وهو إدغام متجانسين حيث أُدغمت التاء في الطاء للتخفيف.

أَحَطْتُ» ماض وفاعله.

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مج2، ج13/ص1052.

(2) الكتاب، سيبويه، ج4/ص433.

(3) العين، الخليل، ص64.

(4) مدخل إلى علم اللغة محمود فهمي حجازي، ص44.

(5) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، فوزي الشايب، ص192.

مماثلة التاء للطاء:

(اطّلع):

في قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾(لكهف: 18).

ورد هذا الفعل في سورة الكهف، في قصة أهل الكهف، وتظن –أيها الناظر– أهل الكهف أيقاظًا، وهم في الواقع نيام، ونتعهدهم بالرعاية، فنُقَلِّبهم حال نومهم مرة للجنب الأيمن ومرة للجنب الأيسر؛ لئلا تأكلهم الأرض، وكلبهم الذي صاحَبهم مادٌّ ذراعيه بفناء الكهف، لو عاينتهم لأدبرت عنهم هاربًا، ولَمُلِئَتْ نفسك منهم فزعًا.

طلع: طَلَعَتِ الشمس والقمر والفجر والنجوم تَطْلُعُ طُلُوعًا ومَطْلَعًا ومَطْلِعًا، فهي طالِعةٌ. طْلَعْتُك طِلْعَه أَي أَعْلَمْتُكَه؛ الطِّلع، بالكسر: اسم من اطَّلَعَ على الشيء إِذا عَلِمَه. وطَلَعَ على الأَمر يَطْلُع طُلُوعًا واطَّلَعَ عليهم اطِّلاعًا واطَّلَعَه وتَطَلَّعَه: عَلِمَه، وطالَعَه إِياه فنظر ما عنده[1].

الذي حدث هنا تأثر تاء الافتعال بالطاء المطبقة، الأمر الذي جعل التاء تفقد وقفتها؛ لأنّها توجد صعوبة في النطق؛ ولأنّ الصوت يتميز بالصفة التفخيمية، فصوت الإطباق أقوى الأصوات نطقًا، وهنا غلب صوت الطاء من باب التأثير التقدمي على صوت التاء المهموسة، حيث أبدلت التاء طاءً فأصبح الفعل (اطْطَلع)، وأصله (اطتلع) وقد أدغمت الطاءان وعوض عنهما بطاء مشددة؛ ليصبح الفعل(اطّلع) بصوت الطاء المدغمة للمماثلة الصوتية، وزيادة في التخفيف على الناطقين بها.

اطَّلَعْتَ» ماض فاعله مستتر والتاء للتأنيث.

(1) لسان العرب، ابن منظور، مج4، ج30/ص2689.

مماثلة الطاء للصاد:

(اصطبر)

في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةً لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ﴾(القمر: 27).

ورد هذا الفعل في سورة القمر، في قصة سيدنا صالح– عليه السلام– وقومه والنّاقة، إنّا مخرجو النّاقة التي سألوها من الصخرة؛ اختبارًا لهم، فانتظر– يا صالح– ما يحلُّ بهم من العذاب، واصطبر على دعوتك إياهم وأذاهم لك.

صَبَرَ: يَصْبِرُ صَبْرًا، فهو صابِرٌ وصَبَّار وصَبِيرٌ وصَبُور، والأُنثى صَبُور أَيضًا، بغير هاء، وجمعه صُبُرٌ، وتَصَبَّر واصْطَبَرَ: جعل له صَبْرًا[1].

اصْطَبَرْتُ ولا تقول اطَّبَرْتُ؛ لأَنّ الصاد لا تدغم في الطاء، فإِن أَردت الإِدغام قلبت الطاء صادًا وقلت اصَّبَرْتُ[2].

الذي حدث هنا هو تأثيرر الصوت السابق على اللاحق؛ لأنّ صوت الصاد يتميز بالصفة التفخيمية، فأثر بشكل مباشر على الَحرف الذي يليه وهو التاء لمجاورته له فأصبح مفخمًا مطبقًا. الطاء بدل من تاء الافتعال، وهو من باب التأثير التقدمي.

فتأثير تاء الافتعال بالطاء المطبقة، جعل التاء تفقد وقفتها لأنّها توجد صعوبة في النطق؛ ولأنّ الصوت يتميز بالصفة التفخيمية، فصوت الاطباق أقوى الأصوات نطقًا، وهنا غلب صوت الطاء من باب التأثير التقدمي على صوت التاء المهموسة، حيث أبدلت التاء طاءً فأصبح الفعل (اصْطَبر)، وأصله (اصتبر) والطاء بدل من تاء الافتعال؛ ليصبح الفعل (اصْطَبر) للمماثلة الصوتية، وزيادة في التخفيف على الناطقين بها.

(اصْطَبِرْ): أمر معطوف على ارتقبهم والفاعل مستتر.

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مج4، ج30/ ص2392.

(2) المرجع السابق، نفسه.

ثانيًا: التأثر المقبل الكلي في حالة الانفصال:(1)

مثل: (خَيْزَرَان) في لهجة الأندلس العربية في القرن الرابع الهجري، وأصلها (خَيْزُرَان).

في هذه الحالة يتأثر الصوت بالصوت الذي يسبقه، ولكن يفصله فاصل من صوت صامت أو صائت فيتحول إلى صوت مماثل بالصوت السابق، ومن أمثلته: روى أبو بكر الزبيدي[2] أنّ عوام الأندلس في القرن الرابع الهجري، كانوا يقولون: خيزَران وسيكَرَان– وهو نبت تدوم خضرته في القيظ– بدلًا من: خيزُران وسيكُران، ومنه (فيهُ، عليهُ) أصبحت (فيهِ، عليهِ) تحولت الضمة في الضمير (هـ) إلى كسرة (هـ) لتماثل الكسرة الطويلة قبلها في الأولى، ولتماثل الياء قبلها في الثانية(3).

في هذه الَالة يتأثر الصوت بالصوت الذي يسبقه، ولكن يفصله فاصل، وفي هذا النوع من المماثلة، لم نعثر على أية أمثلة في آيات القصص القرآني؛ ومنها: على وزن فيعلان، كخيزران، وسيكران.

ثالثًا: التأثر المقبل الجزئي في حالة الاتصال: (4)

مثل: (اضطجع)، وأصلها (اضتجع).

الذي حدث هنا تأثر تاء الافتعال بالضاد المطبقة، الأمر الذي جعل التاء تفقد وقفتها؛ لأنّها توجد صعوبة في النطق؛ فصوت الإطباق أقوى الأصوات نطقًا، وهنا غلب صوت الطاء من باب التأثير التقدمي على صوت التاء المهموسة، حيث أبدلت التاء طاءً فأصبح الفعل (اضْطَجع)، وأصله (اضتجع)؛ ليصبح الفعل(اضطَجع)، أبدلت التاء طاء لتصبح المماثلة الصوتية بصوتين مطبقين الضاد والتاء زيادة في التخفيف على الناطقين بها.

(1) لحن العوام، الزبيدي، ص124.

(2) أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الإشبيلي (316 هـ – 379 هـ) أندلسي من أعلام اللغويين العرب، **وفيات الأعيان** وأنباء أبناء الزمان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر **ابن خلكان**، ج4/ص374.

(3) مجلة الممارسات اللغوية، صلاح يوسف عبد القادر، ص16.

(4) لحن العوام، الزبيدي، ص124.

ويكون ذلك بأن يتأثر الصوت بصوت سابق عليه يماثله في القرابة من حيث المخرج أو في بعض الصفات الصوتية، فيتحول الصوت اللاحق إلى صوت آخر قريب الشبه في المخرج أو في الصفات، ومن أمثلته: روى أبو الطيب اللغوي[1](ت351هـ) أنَّه يقال في (نشْز) (نشْس)، كما يقال في (رجل جبْس) للرجل الدنيء (رجل جبْز)، ففي المثال الأول تأثرت الزاي المجهورة بالشين المهموسة قبلها، فقلبت إلى نظيرها المهموس وهو السين وفي المثال الثاني تأثرت السين المهموسة بالباء المجهورة قبلها فقلبت إلى نظيرها المجهور وهو الزاي.

إنّ هذا النوع من المماثلة كان قليل الاستعمال ولم نعثر على أية أمثلة في آيات القصص القرآني ولم نجد له سوى مثالين في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾(النساء: 34)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(المجادلة: 11).

فهنا في كلمة (نُشُوزَهُنَّ – انشُزُوا) تأثرت الزاي المجهورة بالشين المهموسة قبلها فقلبت إلى نظيرها المهموس هو السين.

رابعًا: التأثر المقبل الجزئي في حالة الانفصال: (2)

مثل: (أخرص)، وأصلها (أخرس)، ومثل (رفص)، وأصلها (رفس).

ويكون ذلك بأن تتأثر الأصوات اللاحقة، بما قبلها من أصوات، غير المتصلة بها مباشرة حيث يفصل بينهما فاصل ويتم التحول في ضوء القرابة من حيث المخرج والاتفاق في الصفة الصوتية ومن أمثلة ذلك: تأثر السين المهموسة بالراء المجهورة قبلها، فتقلب إلى نظيرها المجهور وهو الزاي في كلمة: (مهراس)، التي صارت: مهراز في لهجة الأندلس العربية القرن السادس للهجري.

(1) أبو الطيب عبد الواحد بن علي العسكري الحلبي اللغوي (ت 351هـ) هو أديب ولغوي ونحوي وشاعر عاش في العصر العباسي، الأعلام، للزركلي، ج4/ ص176.

(2) لحن العوام، الزبيدي، ص124.

إنّ هذا النوع من المماثلة كان قليل الاستعمال ولم نعثر على أية أمثلة في آيات القصص القرآني.

مماثلة السين للزاي:

(رِجْس – رِجْز)

في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾(الأنفال: 11).

ورد هذا الاسم في سورة الأنفال، في قصة غزوة بدر، إذ يُلْقي الله عليكم – النبي – عليه الصلاة والسلام– وأصحابه النّعاس أمانًا منه لكم من خوف عدوكم أن يغلبكم، وينزل عليكم من السحاب ماء طهورًا، ليطهركم به من الأحداث الظاهرة، ويزيل عنكم في الباطن وساوس الشيطان وخواطره، وليشدَّ على قلوبكم بالصبر عند القتال، ويثبت به أقدام المؤمنين بتلبيد الأرض الرملية بالمطر حتى لا تنزلق فيها الأقدام.

رجس: الرِّجْسُ: القَذَرُ، وقيل: الشيء القَذِرُ. ورَجُسَ الشيءُ يَرْجُسُ رَجاسَةً، وإِنه لَرِجْسٌ مَرْجُوس، وكلُّ قَذَر رِجْسٌ. ورجل مَرْجوسٌ ورِجْسٌ: نِجْسٌ، ورَجِسٌ: نَجِسٌ[1].

هنا تأثرت السين المهموسة بالراء قبلها إلى نظيرها المجهور وهو الزاي في كلمة رجس التي صارت في القرآن الكريم رجز وهنالك يتم تحول حرف من نفس الصفة الصوتية.

المماثلة الصوتية هنا ناتجة عن اشتراك صوتين في صفة واحدة، وهي صفة الرخاوة والاحتكاك، فالزاي مجهورة احتكاكية، والسين مهموسة احتكاكية، ونظرًا لاشتراكهما في صفة الرخاوة غلب صوت الزاي لجهرها على صوت السين لهمسها، وهذا من باب المجاورة للتخفيف.

خامسا: التأثر المدبر الكلي في حالة الاتصال: [2]

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مج3، ج18/ص1590.

(2) لحن العوام، الزبيدي، ص124.

مثل نُطقنا لكلمة (عَبَدْتُ): (عَبَتُّ).

ويكون ذلك بأن يتأثر الصوت بما يليه مباشرة من الأصوات فيتحول إلى نفس الصوت، ثم يدغم فيه ومن أمثلته: تأثر النون في (إن) و(أن) و(من) و(عن) بالميم واللام التي تليها، فتقلب ميمًا أو لامًا نحو: (إمّا) و (أمّا) و (ألّا) و(ممّا) و(عمّا).

وروى لنا اللغويون في (وَتِد): ودّ، وقالوا: (الأصل: وتد وهي اللغة الحجازية الجيدة، ولكنّ بني تميم يسكنون التاء ويدغمونها في (الدّال) وهذا النوع موجود بكثرة في القرآن وفي لغة العرب، نحو: واثّاقلتم من تثاقلتم، وادّاركوا من تداركوا[1].

مماثلة التاء للطاء:

(يَطَّيَّرُواْ): تطَّير يتطَّيَّر يتطَّيَّر

يطَّيَّر، اطَّيَّر، فهو مُطَّيِّر، والأمر منه: اطَّيَّر.

في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بموسى وَمَن مَّعَهُ ألا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ الله ولكن أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(الأعراف: 131).

ورد هذا الفعل في سورة الأعراف، في قصة سيدنا موسى- عليه السلام- مع فرعون وقومه، فإذا جاء فرعونَ وقومَه الخِصْبُ والرزقُ قالوا: هذا لنا بما نستحقه، وإن يُصِبْهم جدب وقحط يتشاءموا، ويقولوا: هذا بسبب موسى- عليه السلام- ومَن معه. ألا إنَّ ما يصيبهم من الجدب والقحط إنّما هو بقضاء الله وقدره، وبسبب ذنوبهم وكفرهم، ولكنّ أكثر قوم فرعون لا يعلمون ذلك؛ لانغمارهم في الجهل والضلال.

طير: الطائرُ يَطِيرُ طَيْرًا وطَيرانًا وطَيْرورة؛ وأَطارَه وطيَّره وطارَ بِه وقد تَطَيَّر به، والاسم الطيَرَةُ والطِّيْرَةُ والطُّورةُ. والطائرُ الحَظُّ من الخير والشر[2].

(1) مجلة الممارسات اللغوية، صالح يوسف عبد القادر، ص18.

(2) لسان العرب، ابن منظور، مج4، ج31/ص2737.

الطاء هي النظير المطبق للتاء المنفتحة المحذوفة، والفارق بينهما هو فارق في ملمح واحد فقط، الإطباق في الطاء أو الانفتاح في التاء، وأثناء المماثلة الصوتية فالمتوقع هو أن يتسرب الملمح (ظهري حلقي) من الطاء إلى التاء فيتماثل الصامتان في كل شيء ثم بعد ذلك يتم دمجهما في بعض لنطق سليم [1].

يَطَّيَّرُوا: فعل مضارع مجزوم بحذف النون جواب الشرط، والواو فاعل.

(اطَّيَّرْنَا):

في قوله تعالى:﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ ۚ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ۖ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾(النمل: 47).

ورد هذا الفعل في سورة النمل، في قصة سيدنا صالح- عليه السلام- مع قومه، قال قوم صالح له: تَشاءَمْنا بك وبمن معك ممن دخل في دينك، قال لهم صالح: ما أصابكم الله مِن خير أو شر فهو مقدّره عليكم ومجازيكم به، بل أنتم قوم تُخْتَبرون بالسراء والضراء والخير والشر.

الطاء هي النظير المطبق للتاء المنفتحة المحذوفة، والفارق بينهما هو فارق في ملمح واحد فقط، الإطباق في الطاء أو الانفتاح في التاء وأثناء المماثلة الصوتية، فالمتوقع هو أن يتسرب الملمح (ظهري حلقي) من الطاء إلى التاء فيتماثل الصامتان في كل شيء ثم بعد ذلك يتم دمجهما في بعض لنطق سليم[2].

(اطَّيَّرنا): ماضٍ وفاعله.

مماثلة التاء للسين:

(تساقط، يتسَّاقط): يتسَّاقط، يسَّاقط، اسَّاقط، فهو مسّاقط. والأمر منه: اسَّاقط.

في قوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾(مريم: 25).

---

(1) التناغم والمماثلة في اللسانيات التوليدية، أحمد طيبي، ص4.

(2) المرجع السابق، ص4.

ورد هذا الفعل في سورة مريم، في قصة ميلاد مريم لسيدنا عيسى عليهما السلام- وحَرّكي جذع النخلة تُسَاقِطْ عليك رطبًا غَضًّا جُنِيَ مِن ساعته.

سقط: السَّقْطةُ: الوَقْعةُ الشديدةُ. سقَطَ يَسْقُطُ سُقوطًا، فهو ساقِطٌ وسَقُوطٌ: وقع[1].

امتد في هذه المماثلة ملمحًا (مستمر) مع (صفيري) من السين إلى التاء، ذلك أن تجاورهما متلاصقين، يجعل نطقهما صعبًا [2].

«تُساقِطْ» مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب والفاعل مستتر.

مماثلة الدال للتاء: عَبَّدْتُ- عَبَّتُّ- عَبَّدْتَّ- عَبَّتُّ، تنطق عبت.

في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾(الشعراء: 22).

ورد هذا الفعل في سورة الشعراء، في قصة ذكر الله تعالى مخبرًا عن قول نبيه موسى- عليه السلام- لفرعون، وتلك تربية فرعون إياه، يقول: وتربيتك إياي، وتركك استعبادي، كما استعبدت بني إسرائيل نعمة منك تمنها عليّ بحقّ، أي: وتلك نعمة تمنها عليّ أن عبدت بني إسرائيل وتركتني، فلم تستعبدني.

عبد: عَبَّدْتُ وعَبَّدَه واعْتَبَده واستعبده؛ اتخذه عَبْدًا[3].

(عَبَّدْتَ) ماضٍ وفاعل.

(أَرَدْت): أَرَدْت- أَرْت- أَرَدْتُ- أَرَتُّ

في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(هود: 34).

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مج3، ج23/ص3037.

(2) مجلة الممارسات اللغوية، صالح يوسف عبد القادر، ص18.

(3) لسان العرب، ابن منظور، مج4، ج23/ص2776. مادة (ع ب د).

ورد هذا الفعل في سورة هود، في قصة سيدنا نوح– عليه السلام– مع قومه، قال نوح لقومه: إن الله وحده هو الذي يأتيكم بالعذاب إذا شاء، ولستم بفائتيه إذا أراد أن يعذبكم؛ لأنه سبحانه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء. ولا ينفعكم نصحي واجتهادي في دعوتكم للإيمان، إن كان الله يريد أن يضلَّكم ويهلككم، هو سبحانه مالككم، وإليه تُرجَعون في الآخرة للحساب والجزاء.

رود: أراد يريد إرادة، وأَراد الشيءَ: شاءَه؛ وأَرَدْتُه بكلِ ريدَة أَي بكل نوع من أَنواع الإِرادة[1].

(أَرَدْتُ): ماضٍ وفاعله.

في الآيات السابقة الدال والتاء صامتان طرفيان أسنانيان متقاربان جدًا، إلى درجة أنّ الذي يفصل بينهما هو صفة الجهر فقط التي في الدال ووجودهما متجاورين بهذه الكيفية، لا تقبله قوانين التأليف بين الأصوات، لأنّه يشكل صعوبة في نطقهما، لذلك تطرق أهل اللغة العربية إلى معالجة هذا الوضع عن طريق المماثلة التامة بينهما ثم جعلوها في مخرج واحد تسهيلًا لجريان الأصوات في عملية النطق [2].

فالفعل (عبدت– أردت) عند إسنادهما إلى تاء المخاطبين، وهو من باب التأثير الرجعي يتأثر صوت الدال المجهور الاحتكاكي بصوت التاء المهموس الشديد؛ فتنطق الدال تاء من باب المماثلة الصوتية؛ ليصبح الصوتان مهموسين تخفيفًا عند القراءة.

مماثلة الثاء للتاء:

(لبِثْتَ – لَبِتُّ)

في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾(البقرة: 259).

---

(1) المرجع السابق، مج3، ج20/ص1772. مادة(رود)

(2) التناغم والمماثلة في اللسانيات التوليدية، أحمد طيبي، ص57.

ورد هذا الفعل في سورة البقرة، في قصة الرجل الصالح من بني إسرائيل حين مرَّ على قرية قد تهدَّمت دورها، وخَوَتْ على عروشها. هل رأيت -أيّها الرسول- مثل الذي مرَّ على قرية قد تهدَّمت دورها، وخَوَتْ على عروشها، فقال: كيف يحيي الله هذه القرية بعد موتها؟ فأماته الله مائة عام، ثم ردَّ إليه روحه، وقال له: كم قدر الزمان الذي لبثت ميتًا؟ قال: بقيت يومًا أو بعض يوم، فأخبره بأنّه بقي ميتًا مائة عام، وأمره أن ينظر إلى طعامه وشرابه، وكيف حفظهما الله من التغيُّر هذه المدة الطويلة، وأمره أن ينظر إلى حماره كيف أحياه الله بعد أن كان عظامًا متفرقة؟ وقال له: ولنجعلك آية للناس؛ أي: دلالة ظاهرة على قدرة الله على البعث بعد الموت، وأمره أن ينظر إلى العظام كيف يرفع الله بعضها على بعض، ويصل بعضها ببعض، ثم يكسوها بعد الالتئام لحمًا، ثم يعيد فيها الحياة؟ فلما اتضح له ذلك عِيانًا اعترف بعظمة الله، وأنّه على كل شيء قدير، وصار آية للناس.

لبث: اللَّبْثُ وَاللَّبَاثُ: الْمُكْثُ، لَبِثَ لُبْثًا وَلَبْثًا وَلُبَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ جَائِزٌ. وَتَلَبَّثَ تَلَبُّثًا (1).

هنا تأثرت الثاء بالتاء بعدها فتصبح تاء. تجاوزت الثاء والتاء وهو تجاوز ثقيل بسبب الاشتراك في المخرج الطرفي، تُحاول أن تتجاوزه اللغة بطرقها المختلفة ومن بينها المماثلة التامة التي تنتهي بالإدغام، لأنّه لا يسير وفق قاعدتها العامة عندما ترى أنّ التأليف الحسن بين الأصوات هو ما جمع بين تلك التي تباعدت مخارجها. ففي هذه المماثلة التامة بين الثاء والتاء، تخلي الثاء عن استمراريتها، فوافقت التاء كل الموافقة، ما أدى إلى نطقهما بشكل تزامني عن طريق دمج أولهما في الثاني (2).

وهذا من باب التأثير الرجعي مع كون الصوتان مهموسين، إلّا أنّ الأوّل احتكاكي والثاني شديد؛ لذلك غلب الثاني وهو التاء الشديد على الأوّل وهو التاء المهموس.

(لَبِثْتَ): فعل ماضٍ وفاعل.

---

(1) لسان العرب، مج6، ص3982.

(2) التناغم والمماثلة في اللسانيات التوليدية، أحمد طيبي، ص56.

مماثلة الذال للتاء:

(اتَّخَذْتُمُ): اتَّخذْت – اتّخت

في قوله تعالى: ﴿إِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾(البقرة: 51).

ورد هذا الفعل في سورة البقرة، في قصة بني إسرائيل واتباعهم للسامري في ظل غياب سيدنا موسى- عليه السلام- عنهم لأربعين ليلة بأمر من الله ليعطيه الله عند انقضائها التوراة ليعلموا بها ثم اتخذوا العجل الذي صاغه لهم السامري إلهًا بعد ذهاب سيدنا موسى- عليه السلام- إلى ميعاده مع الله.. واذكروا نعمتنا عليكم يا بني إسرائيل حين واعدنا موسى أربعين ليلة لإنزال التوراة هدايةً ونورًا لكم، فإذا بكم تنتهزون فرصة غيابه هذه المدة القليلة، وتجعلون العجل الذي صنعتموه بأيديكم معبودًا لكم من دون الله – وهذا أشنع الكفر بالله- وأنتم ظالمون باتخاذكم العجل إلهًا.

أخذ: الأَخْذ: خلاف العطاء، وهو أَيضًا التناول. أَخذت الشيء آخُذُه أَخذًا: تناولته؛ وأَخَذَه يأْخُذه أَخْذًا، الليث: يقال اتخَذَ فلان مالًا يَتَّخِذه اتِّخاذًا، وتَخِذَ يَتْخَذُ تخَذًا، وتَخِذْتُ مالًا؛ أَي: كسَبْتُه[(1)].

هنا تتأثر الذال بالتاء في كلمة (اتختم) بعدها فتصبح تاء وسبب ذلك التأثر، أنّهما متناسبان في قرب المخرج، وذلك أيضًا كون التاء في بداية المقطع والذال في نهاية المقطع.

فالفعل (اتخذ) حدثت فيه مماثلة صوتية، حيث أبدلت الهمزة الأصلية في أخذ إلى تاء من باب التأثير الرجعي، فأصبح الفعل (اتتخذ) وأصله (اءتخذ) على وزن افتعل، ونظرًا للمجاورة الصوتية بين صوتين (الهمزة والتاء) وصعوبة النطق بهما لصفة الشدة فيهما، أبدلت الهمزة الأصلية في أخذ إلى تاء تخفيفًا على الناطقين، فأصبح الفعل بتائين، ثم أدغمت الأولى في الثانية وعوض عنهما بالشدة، فنقول (اتّخذ)، وهناك قضية صوتية أخرى في الفعل ذاته عند إسناده إلى تاء المخاطبين، وهو من باب التأثير التقدمي حيث تأثر صوت الذال المجهور الاحتكاكي بصوت

(1) لسان العرب، مج1، باب الهمزة، ص36.

التاء المهموس الشديد؛ لتنطق الذال تاء من باب المماثلة الصوتية؛ ليصبح الصوتان مهموسين تخفيفًا عند القراءة.

(اتَّخَذْتُمُ): فعل ماضٍ وفاعل.

سادسًا: التأثر المدبر الكلي في حالة الانفصال: [1]

مثل نطقنا: (فِهِم، فِرِح) في (فَهِم، فَرِح).

ويكون ذلك بأن يتأثر الصوت بالصوت الذي يليه ولكن مع وجود فاصل بينهما، ويتم هذا التأثر بسبب تقارب المخرج أو بالاتفاق في صفات الأصوات، ومن أمثلته: تطور كسرة الميم إلى فتحة في صيغتي اسم الآلة: مِفعَل و مِفْعَلة وذلك مطرد تمام الاطراد في لهجة الأندلس العربي في القرن الرابع الهجري، إذ تتأثر حركة الميم بحركة العين، وذلك من نوع التأثر المدبر الكلي في حالة الانفصال، مثل: مَقْود، ومَسَنّ، ومقنع للثوب الذي يغطي به الرأس، ومطرد للرمح الصغير، وقد استمر [2] ذلك في القرون التالية، فقد روى لنا ابن هشام اللخمي [3](ت 577 هـ) أنّ الأندلسيين كانوا يقولون: مصيدة ومطرقة ومغرفة، مشرط، ومنجل ومنبر ومكنسة ومروحة وملعقة.

وهذا النوع يكون تأثر بالصوت الذي يليه، ولكن مع وجود فاصل بينهما، وفي هذه الَحالة أيضا لم نعثر في آيات القصص القرآني على أيّة أمثلة في هذا المثال في صيغتي اسم الآلة، مفعل ومفعلة؛ لأنّ القرآن الكريم لا يحمل هذا النوع من المماثلة.

(1) لحن العوام، الزبيدي، ص124.

(2) مجلة الممارسات اللغوية، صالح يوسف عبد القادر، ص18.

(3) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم بن خلف اللخمي الإشبيلي (ت 577هـ). ولد في سبتة بالمغرب وأقام بها طويلا يدرس العلوم. هو نحويٌّ وشاعر من المغرب الإسلامي، يعدُّه المؤرِّخون ضمن رجال المدرسة النحوية في المغرب الإسلامي والأندلس.

سابعًا: التأثر المدبر الجزئي في حالة الاتصال: (1)

مثل قولنا: (يِجْدِب) بالجيم القاهرية في (يَكْذِب).

يحدث ذلك بأن يتأثر الصوت بالصوت الذي يليه مباشرة، فيتحول الصوت السابق إلى صوت قريب من الصوت اللاحق، سواء من حيث المخرج أو من حيث الصفات، ومن أمثلة ذلك: تأثر النون الساكنة بالباء التالية لها، فتقلب إلى صوت من مخرج الباء وهو صوت الميم، إذ هو شفوي كالباء، وهذا هو ما سماه علماء القراءات العرب بالإقلاب، في مثل قوله تعالى: ﴿من بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ ﴾(آل عمران: 119) وقوله تعالى: ﴿ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (آل عمران: 19) وقوله: ﴿ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾(الشمس: 12) وفي عصرنا الحاضر تقول العامة يسحف بدلًا من يزحف، فقد تأثرت الزاي في هذا المثال، وهي صوت مجهور بالحاء التالية لها، وهي صوت مهموس فقلبت الزاي إلى نظيرها المهموس وهو السين. ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني ما يلي:

مماثلة التاء للزاي:

(ازْدُجِرَ): زَجَر – ازْدُجِر اتزجر مزدجر.

كقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾(القمر: 9).

ورد هذا الفعل في سورة القمر، في قصة تكذيب نوح– عليه السلام– من قِبَل قومه، حين كذب كفار قريش سيدنا محمد– عليه الصلاة والسلام– كذَّبت قبل قومك –أيها الرسول– قوم نوح فكذَّبوا عبدنا نوحًا. فذكر تبارك وتعالى حال المكذبين لرسوله، وأن الآيات لا تنفع فيهم، ولا تجدي عليهم شيئًا، أنذرهم وخوفهم بعقوبات الأمم الماضية المكذبة للرسل، وكيف أهلكهم الله وأحل بهم عقابه. فسيدنا نوح أوّل رسول بعثه الله إلى قوم يعبدون الأصنام، فدعاهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، فامتنعوا من ترك الشرك، ولم يزل نوح يدعوهم إلى الله ليلًا ونهارًا، وسرًا وجهارًا، فلم يزدهم ذلك إلّا عنادًا وطغيانًا، وقدحًا في نبيهم، وكذبوا في ذلك، وقلبوا الحقائق الثابتة شرعًا وعقلًا، فإنّ ما جاء به هو الحق الثابت، الذي يرشد العقول النيرة المستقيمة، إلى الهدى والنور والرشد، وما هم عليه من جهل وضلال مبين، فزجره قومه وعنفوه عندما دعاهم إلى الله تعالى،

(1) لحن العوام، الزبيدي، ص124.

فلم يكفهم –قبحهم الله– عدم الإيمان به، ولا تكذيبهم إياه، حتى أوصلوا إليه من أذيتهم ما قدروا عليه، وهكذا جميع أعداء الرسل، هذه حالهم مع أنبيائهم.

هنا الزاي جاورت التاء مجاورة مباشرة مع اختلاف صفتيهما، فالزاي مجهورة والتاء مهموسة وتقاربهما مخرجا، فتأثرت التاء بالزاي، لأنّ التاء باكتسابها للجهر قلبت إلى نظيرها المجهور، أي: الدال فتصبح ازدجر، وجب في المماثلة الصوتية أن يقلب أحدهما إمّا صوتين مجهورين وإمّا مهموسين؛ لأنّ الزاي أقصى مراحل الرخاوة، والتاء من الأصوات الشديدة، فالفرق بينهما كبير.

زجر: الزَّجْرُ: المَنْعُ والنهيُ والانْتِهارُ. زَجَرَهُ يَزْجُرُه زَجْرًا وازْدَجَرَهُ فانْزَجَرَ وازْدَجَرَ [1].

ونظرًا لقوة الزاي ولجهرها وامتداد النفس والصوت بهما استدعت الدال المجهورة بدلًا من المهموسة، فأبدلت التاء دالًا فأصبحت الكلمة (ازدجر)، أي أصبح الصوتان الزاي والدال مجهورين لتخفيف النطق بهما، وهذا من باب التأثير التقدمي.

مماثلة السين للطاء:

(بَسْطَةً):

كقوله تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(الأعراف: 69)

ورد هذا الاسم في سورة الأعراف، في قصة سيدنا هود– عليه السلام– وهدايته لقومه–حين اتهموه بالسذاجة والكذب، وهل أثار عجبكم أن أنزل الله– تعالى– إليكم ما يذكركم بما فيه الخير لكم، على لسان رجل منكم، تعرفون نسبه وصدقه؛ ليخوّفكم بأس الله وعقابه؟ واذكروا نعمة الله عليكم إذ جعلكم تخلفون في الأرض مَن قبلكم من بعد ما أهلك قوم نوح، وزاد في أجسامكم قوة وضخامة، فاذكروا نِعَمَ الله الكثيرة عليكم؛ رجاء أن تفوزوا الفوز العظيم في الدنيا والآخرة.

بسط: البَسْطُ: نقيض القَبْضِ، بسَطَه يبسُطه بَسْطًا فانبسَط وبَسَّطَه فتبَسَّط[2].

(1) لسان العرب، مج3، باب الزاي، ص1813.

(2) المرجع السابق، مج1، ج4/ص282.

هنا تأثرت السين بالطاء مباشرة، ولذا اتصلت مباشرة بالصوت المفخم؛ لأنّها ساكنة؛ ولأنّ السين حرف مستقل تفخم السين إذا جاورت الأصوات المفخمة وهي الطاء. حيث تأثر صوت السين بتفخيم صوت الطاء من باب التأثير الرجعي، حيث أدى إلى تفخيم صوت السين لمجاورتها لصوت الطاء نطقًا ومخرجًا، حتى تكون أكثر انسجامًا صوتيًا، وأخف نطقًا على الألسنة.

بسطة: مفعول به ثانٍ للفعل زاد أو هي تمييز.

ثامنًا: التأثر المدبر الجزئي في حالة الانفصال: [1]

مثل: (زعتر) في (سعتر)، و(صور) في (سور).

يحدث ذلك بأن يتأثر الصوت بالصوت الذي بعده، بشرط أن يفصل بينهما صوت آخر، فيتحول الصوت إلى صوت آخر قريب من الصوت الذي بعده في المخرج أو في الصفات الصوتية الأخرى، ومن أمثلته: روى ابن هشام اللخمي أنّ الناس كانوا في الأندلس والمغرب في القرن السادس الهجري يقولون في سرداب، زرداب،[2] ومن أمثلته في آيات القصص القرآني ما يلي:

مماثلة السين للقاف:

تفخيم السين لا يقتصر على تأثيرها بالطاء فقط، وإنّما تفخم تحت تأثير الأصوات المفخمة التالية كلها من بينهما الغين والخاء والقاف.

(يُسَاقُونَ):

في قوله تعالى: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (الأنفال: 6).

(1) لحن العوام، الزبيدي، ص124.

(2) المدخل إلى تقويم اللسان، لابن هشام اللخمي (ت 577هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ص316، وينظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، فوزي الشايب، ص235.

ورد هذا الفعل في سورة الأنفال، في قصة جدال فريق من المؤمنين لسيدنا محمد– عليه الصلاة والسلام– في القتال، يجادلك –أيها النبي– فريق من المؤمنين في القتال مِن بعد ما تبيَّن لهم أنّ ذلك واقع، كأنّهم يساقون إلى الموت، وهم ينظرون إليه عِيانًا.

سوق: السَّوق: معروف. ساقَ الإبلَ وغيرَها يَسُوقها سَوْقًا وسِياقًا، وهو سائقٌ وسَوَّاق[1].

والسين غير مستعل (مستفل)، إلّا أنّها أخت الصاد المستعلية، فقربت السين من القاف بأن قلبت إلى أقرب الحروف من مخرج السين الصفيرية، وهو الصاد [2]، حتى تكون أكثر انسجامًا صوتيًا، وأخف نطقًا عند المتكلمين، وهذا من باب التأثير الرجعي؛ حيث تأثر صوت السين بصوت القاف المجاور له.

(يُساقُونَ): مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل.

ومما سلف نخلص إلى ضرورة وجود علاقة صوتية بين صوتين كي يتحقق التأثير والتماثل، ولكن شرط هذه العلاقة أمران:

- الأول: تقارب المخرج أو اتحاده.
- الثاني: كون الصوتين من مجموعة واحدة من الصوامت أو الحركات.

إلى هنا قمنا بإيراد هذه الأنواع من المماثلة في آيات القصص القرآني من نوع إلى آخر منها ما كان أكثر شيوعًا، مثل: التأثر المدبر الكلي في حالة الاتصال، والتأثر المقبل الكلي في حالة الاتصال، منها ما كان قليل، الورود، مثل: التأثر المقبل الجزئي في حالة الانفصال، والتأثر المدبر الجزئي في حالة الاتصال، وحالة الانفصال وكما انعدمت في حالتي التأثر المقبل الكلي في حالة الانفصال، والتأثر المدبر الكلي في حالة الانفصال.

فالمماثلة من الظواهر الصوتية الضاربة جذورها في أعماق الدراسات العربية، اهتم بها العرب النحاة والصرفيون وأهل القراءات المختلفة، فرصد مظاهرها وأوجهها المختلفة، ووضعوا لها الكثير من الضوابط والقواعد، إلّا أنّهم لم يعالجوها معالجة شاملة مستقرة، بل كانت جزئياتها على

(1) لسان العرب، ابن منظور، مج3، ج24/ص2150.

(2) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، فوزي الشايب، ص235.

أبواب متفرقة منها ما كان مبثوثا ضمن بحوثهم لظواهر الإبدال والإعلال والإمالة وغيرها من المسائل الصوتية والصرفية والنحوية.

يقول الدكتور رمضان(1): "ونحب أن نشير في نهاية حديثنا عن قانون المماثلة إلى شيء مهم، وهو أنّ الصوت لا يمكن أن ينقلب إلى صوت آخر بعيد عنه في المخرج جدًّا، فلا ينقلب صوت من أصوات الشفة أو الأسنان مثلًا إلى صوت آخر من أصوات الحلق، وكذلك العكس.

ومن أمثلة الإدغام في آيات القصص القرآني ما يلي:

إدغام التاء في التاء:

(تَزَكَّى): في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلى أَنْ تَزَكَّى﴾(النازعات: 18).

ورد هذا الفعل في سورة النازعات، في قصة موسى– عليه السلام– حين أرسله الله– سبحانه وتعالى– لهداية فرعون، حين ناداه ربه بالوادي المطهَّر المبارك (طوى)، فقال له: اذهب إلى فرعون، إنّه قد أفرط في العصيان، فقل له: أتودُّ أن تطهِّر نفسك من النقائص وتحليها بالإيمان، وأُرشدك إلى طاعة ربك، فتخشاه وتتقيه؟ أي هل لك في خصلة حميدة، ومحمدة جميلة، يتنافس فيها أولو الألباب، وهي أن تزكي نفسك وتطهرها من دنس الكفر والطغيان، إلى الإيمان والعمل الصالح؟

زكا: الزَّكاةُ: الصلاحُ. ورجل تقيٌّ زَكِيٌّ أَي زاكٍ من قوم أَتْقياء أَزْكِياء، وقد زَكا زَكاء وزُكُوًّا وزَكِيَ وتَزَكَّى، وزَكَّاه الله، وزَكَّى نفسَه تَزْكِيةً: مدَحها(2).

قرأ ابن كثير ونافع والحضرمي وعباس عن أبي عمرو (إلى أن تزّكّى) بتشديد الزاي.

وقرأ الباقون (إلى أن تزكى) خفيفة الزاي.

---

(1) سر الصناعة، ابن جني، ج1/ص193، وينظر:لحن العامة والتطور اللغوي، رمضان عبد التواب، ص45.
(2) لسان العرب، ابن منظور، مج3، ج21/ص1849.

قال أبو منصور: من قرأ (تزّكى) بتشديد الزاي أراد: (تتزّكى)، وأدغم الثانية في الزاي وشدّدها. ومن قرأ (تزكّى) فإنه حذف التاء الثانية، وبقيت الزاي خفيفة) [1].

أي قوله بعد وصولك إليه هل لك رغبة إلى التزكي وهو التطهر من الشرك، وأصله تتزكى فحذفت إحدى التاءين. وقرأ الجمهور (تزكى) بالتخفيف. وهذا الإدغام من باب إدغام المتماثلين.

تَزَكَّى: مضارع منصوب بأن والفاعل مستتر.

(تَدَارَكَهُ): في قوله تعالى:﴿لوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾(القلم: 49).

ورد هذا الفعل في سورة القلم، في قصة يونس– عليه السلام–، فاصبر –أيها الرسول– لما حكم به ربك وقضاه، ومن ذلك إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم، ولا تكن كصاحب الحوت، وهو يونس –عليه السلام– في غضبه وعدم صبره على قومه، حين نادى ربه، وهو مملوء غمًّا طالبًا تعجيل العذاب لهم، لولا أن تداركه نعمة مِن ربه بتوفيقه للتوبة وقَبولها لَطُرِح مِن بطن الحوت بالأرض الفضاء المهلكة، وهو آتٍ بما يلام عليه، فاصطفاه ربه لرسالته، فجعله من الصالحين الذين صلحت نياتهم وأعمالهم وأقوالهم.

قرأ الجمهور (تداركه) على صيغة الماضي، وقرأ الحسن وابن هرمز والأعمش بتشديد الدال، والأصل تتداركه بتاءين مضارعًا فأدغم، وتكون هذه القراءة على حكاية الحال الماضية[2].

ولعل الراجح قراءة الجمهور لأنها تتماشى مع معنى القصة القرآنية، فحرف التاء حرف مهموس، يوحي بالرقة والرحمة التي أنزلها الله– سبحانه وتعالى – على سيدنا يونس– عليه السلام– ونجاه من الكرب والغم. وهذا الإدغام من باب إدغام المتماثلين.

(تَدارَكَهُ): مضارع منصوب بأن ومفعوله.

---

(1) معاني القراءات وعللها، ج3/ص120–119.

(2) مختصر الشواهد، ص160، فتح القدير، ص1521.

إدغام النون في النون:

مخرج النون من حافة اللسان من أدناه إلى منتهى طرفه ما بينهما وبين ما يليه من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا[1]، وهو من الأصوات الذلقية[2]، والنطق بهذا الصوت يتم من خلال اندفاع الهواء من الرئتين محركًا الوترين الصوتيين ثم يتخذ مجراه في الحلق أولًا حتى إذا وصل إلى أقصى الحلق هبط أقصى الحنك الأعلى فيسد بهبوطه فتحة الفم ويتسرب الهواء من التجويف الأنفي محدثًا في أثناء مروره نوعًا من الحفيف لا يكاد يسمع، وطرف اللسان يلتقي بأصول الثنايا العليا[3]، فهو صوت مائع يتصف بسهولة النطق.

(أَتُحَاجُّونِّي):

في قوله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾(الأنعام: 80).

ورد هذا الفعل في سورة الأنعام، في قصة سيدنا إبراهيم- عليه السلام- وجدال قومه في توحيد الله وبراءته من الأصنام، وكان جدالهم إياه قولُهم: إنَّ آلهتهم التي يعبدونها خير من إلهه، وجادله قومه في توحيد الله تعالى قال: أتجادلونني في توحيدي لله بالعبادة، وقد وفقني إلى معرفة وحدانيته، فإنّ كنتم تخوفونني بآلهتكم أن توقع بي ضررًا فإنّني لا أرهبها فلن تضرني، إلّا أن يشاء ربي شيئًا. وسع ربي كل شيء علمًا. أفلا تتذكرون، فتعلموا أنّه وحده المعبود المستحق للعبودية؟ أي في كونه لا شريك له ولا ند ولا ضد.

حجج: والحُجَّة: البُرْهان؛ وقيل: الحُجَّة ما دُوفِعَ به الخصم، ورجل مِحْجاجٌ؛ أَي: جَدِلٌ.

والتَّحاجُّ: التَّخاصُم؛ وجمع الحُجَّةِ: حُجَجٌ وحِجاجٌ. وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجًا: نازعه الحُجَّةَ.

وحَجَّه يَحُجُّه حَجًّا: غلبه على حُجَّتِه[4].

(1) الكتاب، سيبويه، ج4/ص433.

(2) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص54.

(3) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص58.

(4) لسان العرب، ابن منظور، مج2، باب الحاء، ص778.

اختلف القراء في قراءة أتحاجوني: فقرأ نافع بتخفيف نون (أتحاجوني). وقرأ الباقون بتشديدها بإدغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع خفف فحذف إحدى النونين(1).

من قرأ (أتحاجّونّي) بتشديد النون فالأصل: أتحاجونني بنونين، أدغمت إحداهما في الأخرى وشددت، ومن خفف النون فإنّه يحذف إحدى النونين استثقالًا للجمع بينهما، وهما لغتان، وأجودهما تشديد النون.

لعل الراجح قراءة الجمهور بتشديد النون وبإدغام نون الجمع في نون الوقاية. وهذا الإدغام من باب إدغام المتماثلين.

(أَتُحاجُّونِّي): الهمزة للاستفهام، تحاجوني: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والنون للوقاية والياء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والواو فاعل.

(تُبَشِّرُونَ):

في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾(الحجر: 54).

ورد هذا الفعل في سورة الحجر، في قصة سيدنا إبراهيم- عليه السلام- وتبشير الملائكة له بولَدٍ قد قضى اللهُ أنَّه كائِنٌ بلا شَكٍّ، قال إبراهيم متعجبًا: أبشَّرتموني بالولد، وأنا كبير وزوجتي كذلك، فبأي أعجوبة تبشّرونني؟ أي: قال إبراهيمُ للملائكةِ مُتعَجِّبًا: أبشَّرتُموني بولدٍ مع كِبَرِ سِنِّي.

فبم تبشرون استفهام تعجب، كأنّه عجب من حصول الولد له مع ما قد صار إليه من الهرم، الذي جرت العادة بأنّه لا يولد لمن بلغ إليه، والمعنى: فبأي شيء تبشرون، فإنّ البشارة بما لا يكون عادة لا تصح.

بشر: البِشْرُ: الطَّلاقَةُ، وقد بَشَرَه بالأَمر يَبْشُرُه، بالضم، بَشْرًا وبُشُورًا وبِشْرًا، وبَشَرَهُ به بَشْرًا؛ وبَشَّرَهُ وأَبْشَرَهُ فَبَشِرَ به، وبَشَرَ يَبْشُرُ بَشْرًا وبُشُورًا. يقال: بَشَرْتُه فَأَبْشَرَ واسْتَبْشَر وتَبَشَّرَ وبَشِرَ(2).

(1) معاني القراءات وعللها، ج1/ص367.

(2) لسان العرب، ابن منظور، مج1، ج4/ص287.

اختلف القراء في قراءة (تُبَشِّرُونَ): فقرأ نافع تبشرون بكسر النون والتخفيف وإبقاء الكسرة لتدل على الياء المحذوفة. وقرأ ابن كثير وابن محيصن بكسر النون مشددة على إدغام النون في النون، وأصله تبشرونني. وقرأ الباقون تبشرون بفتح النون. اجتمع صوتان من نفس الجنس فادغموا الأولى في الثانية[1].

وهما لغتان، وأجودهما تشديد النون.

ولعل الراجح قراءة الجمهور تبشرون بفتح النون لأنها أنسب إلى معنى القصة القرآنية.

وهذا الإدغام من باب إدغام المتماثلين.

(تُبَشِّرُونَ): مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل.

إدغام الياء في الياء:

الياء صوت شجري، مخرجه من وسط اللسان وما يليه من الحنك الأعلى[2]، ويحدث هذا الصوت باندفاع الهواء من الرئتين إلى مخرج الصوت، فترتفع اللهاة لتغلق مجرى الأنف، ويرتفع وسط اللسان إلى الأعلى دون أن يلامس الطبق، وفي هذه الحالة يتذبذب الوتران الصوتيان[3].

(بَغِيًّا):

في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ (مريم: 20).

ورد هذا الاسم في سورة مريم- عليها السلام- في قصة نزول المَلَك عليها، قالت

مريم- عليها السلام- للمَلَك: كيف يكون لي غلام، ولم يمسسني بشر بنكاحٍ حلال، ولم أكُ زانية؟

---

(1) فتح القدير، للشوكاني، ص764.

(2) الكتاب، سيبويه، ج4/ص433.

(3) في صوتيات اللغة العربية، محيي الدين رمضان، ص116.

بغا: بَغَتِ الأَمة تَبْغِي بَغْيًا وباغَتْ مُباغاة وبِغاء، بالكسر والمدّ، وهي بَغِيٌّ وبَغُوٌّ: عَهَرَتْ وزَنَتْ[1].

بغا: أصله بغوي على فعول قلبت الواو ياء ثم أدغمت في الياء للتخفيف، وكسرت الغين للمناسبة[2].هذا الإدغام من باب إدغام المتماثلين.

(بَغِيًّا): خبر كان منصوب.

وقد ورد هذا الإدغام في القصص القرآني في:

إدغام التاء في الطاء:

إنّ التاء والطاء من مخرج واحد، فاتفقا في المخرج وتقاربا. وصفة الصوت الأول مهموس شديد، وصفة الصوت الثاني مجهور شديد، واتفق الصوتان في الشدة والرخاوة، والمدغم مهموس والمدغم فيه مجهور، فتنازل الصوت الأول عن صفة واحدة وهي: الهمس[3]. وأدغمت التاء في الطاء حيث جعل التاء طاء(طط) فأدغم الطاء الأولى فيها، وهو من إدغام الثاني في الأول؛ أي: قلب جنس الأول إلى الثاني[4]، وهي من الإدغام الكبير، وأدغمت التاء في الطاء لقوة الحرف الثاني، وهو الطاء ويعد إدغامًا متجانسًا صغيرًا. فالتاء إذا جاورت حرفًا من حروف الإطباق فتبين خلصها من الإطباق، وإلا صارت طاء- حيث تمتاز الطاء بالإطباق- فإذا جاورها إطباق شابهتها شائبة لذلك. ويفرق بينهما بالهمس في التاء، وإطباق في الطاء، والحرفان من مجموعة الأصوات الأسنانية اللثوية الغارية، فوجه الشبه بين الصوتين (ت ط) أنّ مخرجيهما يكاد ينحصر بين أوّل اللسان (بما فيه طرفه) والثنايا العليا (بما فيها أصولها ورغم تقارب المخارج واتحادها تجمع بينهما صفة الشدة، حيث ينحبس الهواء عند المخرج فإذا انفصل العضوان المكونان للصوت سمع ما يشبه الانفجار، ما يميز هذه الأصوات بالشدة ففي التاء لا يتحرك الوتران الصوتيان، بل يتخذ الهواء مجراه في الحلق والفم حتى ينحبس بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا فإذا انفصلا انفصالًا تامًا فجائيًا سمع ذلك الصوت الانفجاري. والتاء تتكون كما تتكون الطاء غير أنّ وضع

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مج1، ج4/ص323.

(2) فتح القدير، للشوكاني، ص886.

(3) الإدغام الكبير، للداني، ص١١٢.

(4) الدراسات الصوتية، ص٤٢٠.

اللسان مع الطاء مختلف، فاللسان يتخذ شكلًا مقعرًا مطبقًا على الحنك الأعلى ويرجع إلى الوراء قليلًا، والطاء أحد حروف الإطباق والطاء القديمة صوت مجهور تخالف التي ننطق بها الآن، فهي قديمًا تشبه نطق الضاد التي نعرفها حاليًا، والطاء كما تنطق الآن صوتًا مهموسًا ونظيرها غير المطبق هو التاء.

ومسوغ الإدغام هنا أدغم صوامت نطقية بعضها مع بعضًا(1).

(يطيروا):

في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾(الأعراف: 131).

ورد هذا الفعل في سورة الأعراف، في قصة موسى– عليه السلام– مع فرعون وقومه، فإذا جاء فرعونَ وقومَه الخِصْبُ والرزقُ قالوا: هذا لنا بما نستحقه، وإن يُصِبْهم جدب وقحط يتشاءموا، ويقولوا: هذا بسبب موسى ومَن معه. ألا إنَّ ما يصيبهم من الجدب والقحط إنّما هو بقضاء الله وقدره، وبسبب ذنوبهم وكفرهم، ولكنّ أكثر قوم فرعون لا يعلمون ذلك؛ لانغمارهم في الجهل والضلال.

طير: الطائرُ يَطِيرُ طَيْرًا وطَيرانًا وطَيْرورة؛ وأَطارَه وطيَّره وطارَ بِه وقد تَطَيَّر به، والاسم الطيَرَةُ والطِّيْرَةُ والطُّورةُ. والطائرُ الحَظُّ من الخير والشر(2).

أي يتشاءموا بموسى– بموسى عليه السلام– ومن معه من المؤمنين به، والأصل يتطيروا أدغمت التاء في الطاء، وقد كانت العرب تتطير بأشياء من الطيور والحيوانات، الطير جمع طائر في قول صاحب الكتاب: اسم للجمع، بمنزلة الجامل والباقر غير مكسَّر.

(1) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص١٥٤.

(2) لسان العرب، ابن منظور، مج4، ج31/ص2737.

وروى قطرب (ت206هـ) في كتابه الكبير أنّ الطير قد تكون واحدًا، كما أنّ الطائر الذي يقرأ به الجماعة واحد، وعلى أنّه قد يكون الطائر جِمَاعًا بمنزلة الجامل والباقر[1]. وهذا الإدغام من باب إدغام المتجانسين.

(يَطَّيَّرُوا) فعل مضارع مجزوم بحذف النون جواب الشرط.

(اسطاعوا)

في قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾(الكهف: 97).

أصله استطاعوا، فلما اجتمع المتقاربان، وهما التاء والطاء خففوا بالحذف. قال ابن السكيت: يقال: ما أستطيع، وما أسطيع، وما أستيع. وبالتخفيف قرأ الجمهور، وقرأ حمزة وحده (فما اسطاعوا) بتشديد الطاء كأنّه أراد استطاعوا فأدغم التاء في الطاء وهي قراءة ضعيفة الوجه. وقرأ الأعمش فما استطاعوا على الأصل، ومعنى (أن يظهروه) أن يعلوه: أي فما استطاع يأجوج ومأجوج أن يعلوا على ذلك الردم لارتفاعه وملاسته (وما استطاعوا له نقبًا) يقال نقبت الحائط: إذا خرقت فيه خرقًا فخلص إلى ما وراءه. ما قدروا أن يعلوا عليه لارتفاعه وانملاسه، وما استطاعوا أن ينقبوه من أسفله لشدته وصلابته. وهذا الإدغام من باب إدغام المتجانسين.

إدغام الباء في الميم:

الباء صوت مجهور. يتكون من خلال مرور الهواء أولًا في الحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين. ثم يتخذ مجراه بالحلق. ثم الفم حتى يُحبس عند الشفتين. منطبقتين انطباقًا كاملًا. فإذا انفرجت الشفتان سمعنا ذلك الصوت الانفجاري الذي يسمى بالباء. فعند النطق بالباء تنطبق الشفتان أولًا حين انحباس الهواء عنهما، ثم تنفرجان محدثتين صوت الباء[2].

والميم صوت مجهور لا هو بالشديد ولا الرخو، وهو من الأصوات المتوسطة. ويتكون هذا الصوت من خلال مرور الهواء بالحنجرة أولًا، فيتذبذب الوتران الصوتيان، فإذا وصل مجراه إلى الفم هبط أقصى الحنك فسد مجرى الفم. فيتخذ الهواء مجراه في التجويف الأنفي. محدثًا مروره

(1) المحتسب، ابن جني، ج1/ص257.

(2) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص٤٧.

نوعًا من الحفيف لا يكاد يسمع. وفي أثناء تسرب الهواء من التجويف الأنفي تنطبق الشفتان تمام الانطباق. ولقلة ما يسمع للميم من حفيف. عدت الميم من درجات الأصوات الوسطى بين الشدة والرخاوة[1]، حدث الإدغام هنا لتقارب الأصوات من خلال المماثلة التي تهدف إلى تقريب الأصوات، بتحول صوت الباء إلى ميم.

(ارْكَبْ مَعَنَا):

في قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾(هود: 42).

ورد هذا النوع من الإدغام في سورة هود، في قصة هداية سيدنا نوح- عليه السلام- لابنه وحمله معه على السفينة لينجو من الهلاك والغرق، كانت السفينة تجري بسيدنا نوح- عليه السلام- ومن آمن معه في موج يعلو ويرتفع حتى يصير كالجبال في علوها، ونادى نوح ابنه -وكان في مكانٍ عَزَل فيه نفسه عن المؤمنين- فقال له: يا بني اركب معنا في السفينة، ولا تكن مع الكافرين بالله فتغرق.

ركب: رَكِبَ الدابَّة يَرْكَبُ رُكُوبًا: عَلا عليها، وكلُّ ما عُلِيَ فقد رُكِبَ وارْتُكِبَ[2].

اختلف القراء في قراءة (اركب معنا): فقرأ حمزة وحده: (اركب معنا) مظهرًا.

وقرأ أبو عمرو والكسائي وحفص (اركب معنا) بإدغام الباء في الميم لتقاربهما في المخرج، وهو الاختيار؛ لأن الميم أخت الباء يخرجان من بين الشفتين والأول ساكن، فكما يفتح إظهار: (ودت طائفة) و(قد تبين الرشد) للاختيار بين الطاء والذال والتاء، كذلك يفتح بيان الباء مع الميم)[3].

---

(1) المرجع السابق، ص48.

(2) لسان العرب، ابن منظور، مج3، ج19/ص1712.

(3) إعراب القراءات السبع وعللها، ج1/ص282.

ولعل الراجح قراءة (اركب معنا) بالإدغام لأنّ الميم حرف قوي فيه جهر وشدة فأدغمت فيها الباء إلى حرف أقوى منها بكثير؛ لأنّك تبدل من الباء عند الإدغام ميمًا. وأيضًا فإنّهما اشتركا في المخرج من السفتين. وهذا الإدغام من باب إدغام المتجانسين.

(ارْكَبْ): أمر فاعله مستتر (مَعَنا) ظرف مكان متعلق باركب ونا مضاف إليه.

إدغام السين في الشين:

إدغام السين في الشين صفة الصوت الأول مهموس رخو، وهو صوت لثوي استمراري صفيري مهموس[1]، وصفة الصوت الثاني مهموس رخو وهو صوت غاري استمراري صفيري متفشٍ[2]، وهذا الإدغام فيه نوع من التكافؤ. فالصوتان متساويان في القوة، الأوّل به قوة الصفير والثاني به قوة التفشي. والتفشي أقوى من الصفير فأدغم السين في الشين[3]، والسين من مجموعة الأصوات الأسلية – الصفيرية–، فعند النطق بها تقترب الأسنان العليا من السفلى. فلا يكون بينهما إلّا منفذ ضيق جدًا وهي عالية الصفير. حيث يندفع الهواء مارًا بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين. ثم يأخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى المخرج. وهو عند التقاء طرف اللسان بالثنايا السفلى أو العليا بحيث يكون بين اللسان والثنايا مجرى ضيق جدًا يندفع من خلاله الهواء. فيحدث ذلك الصفير العالي[4]، فعند النطق بالشين يندفع الهواء منه إلى الرئتين مارًا بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق ثم الفم مع مراعاة أنّ منطقة الهواء أوسع، فإذا وصل إلى نقطة التقاء أوّل اللسان وجزء من وسطه بوسط الحنك الأعلى يترك بين العضوين فراغًا ضيقًا. واللسان يرتفع نحو الحنك الأعلى كما أنّ الأسنان العليا تقترب من السفلى [5].

---

(1) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص٦٧.

(2) المرجع السابق، ص69.

(3) الإدغام الكبير، للداني، ص١٤٨.

(4) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص67.

(5) المرجع السابق، ص68.

(الرَّأْسُ شَيْبًا):

في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾(مريم: 4).

ورد هذا النوع من الإدغام في سورة مريم، في قصة دعاء سيدنا زكريا– عليه السلام– وتضرعه إلى الله، قال: رب إنّي ضعف العظم جميعه مني وانتشر الشيب في شعري كما ينتشر شعاع النّار في الحطب، وإنّي أريد أن أدعوك ولم أكن من قبل محرومًا من إجابة الدعاء خائبًا فيما مضى فلا تخيبني فيما يأتي.

أُدغمت السين في الشين، لبيان غاية الخضوع والتذلل وإظهار الضعف والقصور عن نيل مطالبه، وبلوغ مآربه. وهذا الإدغام من باب إدغام المتجانسين.

الرَّأْسُ: فاعل.

شَيْبًا: تمييز.

إدغام اللام في الراء:

(وَقُلْ رَبِّ):

في قوله تعالى: ﴿اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾(الإسراء: 24).

ورد هذا النوع من الإدغام في سورة الإسراء، في قصة ذكر القيام بحق الوالدين، وكُنْ على أمك وأبيك ذليلًا متواضعًا رحمةً بهما، واطلب من ربك أن يرحمهما برحمته الواسعة أحياءً وأمواتًا، كما صبرا على تربيتك طفلًا ضعيف الحول والقوة.

وتُقرأ (وقرّب) حرفا اللام والراء متقاربان في المخرج والصفة، فكلاهما يمتاز بالتوسط، والتوسط: اعتدال الصوت عند النطق بحروفه، لعدم كمال انحباس الصوت كما في الشدة، وعدم

كمال جريانه كما في الرخاوة. والأول ساكن والثاني متحرك، فيدغم الأول في الثاني بدون غنة. وهذا الإدغام من باب إدغام المتقاربين.

(وَقُلْ): الواو عاطفة وأمر فاعله مستتر والجملة معطوفة.

(رَبِّ): منادى بأداة نداء محذوفة وهو منصوب على النداء وياء المتكلم المحذوفة مضاف إليه.

إدغام القاف في الكاف:

(نَخْلُقْكُمْ):

في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾(المرسلات: 20).

ورد هذا النوع من الإدغام في سورة المرسلات، في قصة خطاب الله للكفار وبيان الحجج الدالة على توحد الربوبية التي تقضي بوجود يوم الفصل الذي فيه جزاء المكذبين، ألم نخلقكم– يا معشر الكفار– من ماء ضعيف حقير وهو النطفة، فجعلنا هذا الماء في مكان حصين، وهو رحم المرأة، إلى وقت محدود ومعلوم عند الله تعالى؟ فقدرنا على خلقه وتصويره وإخراجه، فنعم القادرون نحن.

والخَلِيقةُ: الخَلْقُ والخَلائقُ، يقال: هم خَلِيقةُ الله وهم خَلْق الله، وهو مصدر، وجمعها الخلائق(1).

وتُقرأ. نخلكُّم. حرف اللام والراء متقاربان في المخرج والصفة، كلاهما يمتاز بالشدة، والشدة: احتباس جريان الصوت عند النطق بالحرف، لقوة الاعتماد على المخرج. والأول ساكن والثاني متحرك، فيدغم الأول في الثاني بدون غنة. وهذا الإدغام من باب إدغام المتقاربين.

نَخْلُقْكُمْ: مضارع مجزوم بلم، والكاف مفعول به، والفاعل مستتر.

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مج2، ج15/ص1244.

إدغام التاء في الشين:

ففي التاء حرف يتصف بالشدة، والشدة احتباس جريان الصوت عند النطق بالحرف، لقوة الاعتماد على المخرج. لا يتحرك الوتران الصوتيات. بل يتخذ الهواء مجراه في الحلق والفم حتى ينحبس بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا فإذا انفصلا انفصالًا تامًا فجائيًا سمع ذلك الصوت الانفجاري.

وصفة الصوت الشين مهموس- الهمس: جريان النّفس عند النطق بحروفه، لضعف الاعتماد على المخرج- ورخو وهو صوت غاري استمراري صفيري متفش [1].

(يَشَّقَّقُ):

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(البقرة: 74).

ورد هذا النوع من الإدغام في سورة البقرة، في قصة تحذير الله لليهود وتوبيخهم على عنادهم وكفرهم، ثم قست قلوبكم أيّها اليهود صلبت عن قبول الحق، ولكنّكم لم تنتفعوا بذلك؛ إذ بعد كل هذه المعجزات الخارقة اشتدت قلوبكم وغلظت، فلم يَنْفُذ إليها خير، ولم تَلِنْ أمام الآيات الباهرة التي أريتكموها، حتى صارت قلوبكم مثل الحجارة الصمَّاء، بل هي أشد منها غلظة؛ لأنّ من الحجارة ما يتسع وينفرج حتى تنصبَّ منه المياه صبًا، فتصير أنهارًا جاريةً، ومن الحجارة ما يتصدع فينشق، فتخرج منه العيون والينابيع، ومن الحجارة ما يسقط من أعالي الجبال مِن خشية الله تعالى وتعظيمه. وما الله بغافل عما تعملون.

شقق: الشَّقُّ: مصدر قولك شَقَقْت العُود شَقًّا والشَّقُّ: الصَّدْع، شَقَّه يَشُقُّه شَقًّا فانْشَقَّ وشقَّقَه فتَشَقَّقَ[2].

---

(1) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص٦٩.

(2) لسان العرب، ابن منظور، مج4، ج26/ص2300.

وأصل (يشقق) يتشقق أدغمت التاء في الشين، وقد قرأ الأعمش يتشقق على الأصل [1].

فالتاء والشين متقاربات في المخرج، فالتاء لثوي أسناني والشين شجري أو غاري[2] إلّا أنّ الشين فيه صفة الصفير أكثر قوة تمكنه من السيطرة على التاء فالاحتكاكي أقوى من الانفجاري[3].

علة هذا الإدغام التخلص من توالي المثلين، ثم للمماثلة ثم الإدغام. وهذا الإدغام من باب إدغام المتقاربين.

يَشَّقَّقُ: مضارع، فاعله مستتر.

إدغام التاء في الظاء:

(تَظَاهَرُونَ):

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(البقرة: 85).

ورد هذا الفعل في سورة البقرة، في قصة انقسام اليهود، وتعاون كل فريق منهم مع العرب ضد الفريق الآخر من اليهود. ثم أنتم يا هؤلاء -اليهود- يقتل بعضكم بعضًا، ويُخرج بعضكم بعضًا من ديارهم، ويَتَقَوَّى كل فريق منكم على إخوانه بالأعداء بغيًا وعدوانًا. وأن يأتوكم أسارى في يد الأعداء سعيتم في تحريرهم من الأسر، بدفع الفدية، مع أنه محرم عليكم إخراجهم من ديارهم. ما أقبح ما تفعلون حين تؤمنون ببعض أحكام التوراة وتكفرون ببعضها! فليس جزاء مَن يفعل ذلك منكم إلّا ذُلًا وفضيحةً في الدنيا. ويوم القيامة يردُّهم الله إلى أفظع العذاب في النّار. وما الله بغافل عما تعملون.

---

(1) فتح القدير، للشوكاني، ص68.

(2) الكتاب، سيبويه، ج٤/ص٤٣٤.

(3) علم الأصوات، كمال بشر، ص٣٠٢-٣٠٣.

ظهر: اسْتَظْهَرَ به؛ أَي: استعان. وظَهَرْتُ عليه: أَعنته. وظَهَرَ عَليَّ: أَعانني. وتَظاهرُوا عليه: تعاونوا، وظاهَرَ بعضهم بعضًا: أَعانه، والتَّظاهُرُ: التعاوُن. وظاهَرَ فلان فلانًا: عاونه[1].

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب: (تظّاهرون) مشددة، وقرأ الكوفيون: (تظاهرون) بتخفيف الظاء[2].

من قرأ (تظّاهرون) بالتشديد فالأصل فيه تتظاهرون، فأدغمت التاء في الظاء لقرب المخرجين، وشددت الظاء، ومن قرأ بالتخفيف فالأصل فيه (تتظاهرون) بتاءين أيضًا، فحذفت التاء الثانية لاجتماعهما. لدلالة الأولى عليها. وأصل المظاهرة المعاونة، مشتقة من الظهر؛ لأنّ بعضهم يقوي بعضًا فيكون له كالظهر[3]. وهذا يدل على أَنَّ الإدغام لم يؤثر فيه. وهذا الإدغام من باب إدغام المتقاربين. وتظاهرون: تتعاونون، يقال: ظاهر فلان فلانًا: إذا عاونه.

(تَظاهَرُونَ) فعل مضارع مرفوع بثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل.

إدغام التاء في الزاي:

في إدغام التاء في الزاي إدغام وقفي استمراري فتقلب التاء زايًا لمماثلة الزاي التي قبلها. فصفة الصوت الأول مهموس شديد، وصفة الصوت الثاني مجهور رخو. حيث تنازل الصوت الأول عن الهمس والشدة ليصبح مجهورًا رخوًا[4] وهو إدغام مثلين صغير. وهنا جهر بالتاء أولًا فصارت دالًا، ولِأنّ الزاي مجهورة سمح للهواء معها بالمرور فأصبحت رخوة، ويحدث عند النطق بها صفيرًا كالزاي، وتدغم التاء في الزاي لقرب المخرجين، حيث أدغمت صوامت نطعية مع صوامت صفيرية، وكلتاهما صوتٌ لثويٌّ أسنانيٌّ. الزاي من الأصوات الأسلية الصفيرية، فمجرى هذه الأصوات يضيق جدًا عند مخرجها فتحدث عند النطق بها صفيرًا عاليًا، فعند النطق بها تقترب الأسنان العليا من السفلى، فلا يكون بينهما إلّا منفذ ضيق جدًا وهي عالية الصفير، حيث يندفع الهواء مارًا بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين، ثم يأخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مج4، باب العين، ص2769.

(2) معاني القراءات وعللها، ج1/ص162.

(3) فتح القدير، للشوكاني، ص73.

(4) الإدغام الكبير، للداني، ص١١٢.

إلى المخرج، وهو عند التقاء طرف اللسان بالثنايا السفلى أو العليا بحيث يكون بين اللسان والثنايا مجرى ضيق جدًا يندفع من خلاله الهواء[1].

(تَزَكَّىٰ):

في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾(النازعات: 18).

ورد هذا النوع من الإدغام في سورة النازعات، في قصة موسى- عليه السلام- وهدايته لفرعون، يخبر تعالى رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم عن عبده ورسوله موسى -عليه السلام، أنّه ابتعثه إلى فرعون وأيده الله بالمعجزات، ومع هذا استمر على كفره وطغيانه حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، وكذلك عاقبة من خالفك يا محمد وكذب بما جئت به؛ أي: قل له هل لك أن تجيب إلى طريقة ومسلك تزكى به؛ أي: تسلم وتطيع؛ أي: قوله بعد وصولك إليه هل لك رغبة إلى التزكي وهو التطهر من الشرك، وأصله تتزكى فحذفت إحدى التاءين.

فحرف التاء يمتاز بالشدة، وحرف الزاي يمتاز بالانفتاح/ انفتاح قليل بين اللسان والحنك الأعلى، والإصمات/ خروج الحرف بكلفة وصعوبة.

قرأ نافع وابن كثير ونافع والحضرمي (إلى أن تزّكى) بتشديد الزاي على إدغام التاء في الزاي. وقرأ الباقون (تزكى) بالتخفيف (إلى أن تزكى) خفيفة الزاي.

من قرأ (تزّكى) بتشديد الزاي أراد: (تتزكّى)، وأدغم الثانية في الزاي وشدّدها. معنى قراءة التشديد الصدقة.

ومن قرأ (تزكّى) فإنّه حذف التاء الثانية، وبقيت الزاي خفيفة). ومعنى قراءة التخفيف تكون زكيًا مؤمنًا [2].

حيث إنّ قراءة نافع تفيد معنى الصدقة، وقراءة الباقين بالتخفيف تفيد معنى التزكية، وهذا يدل على أن الإدغام يؤدي إلى تغير المعنى أحيانًا. وهذا الإدغام من باب إدغام المتقاربين.

---

(1) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص67.

(2) معاني القراءات وعللها، ج3/ص120.

(تَزَكَّى) مضارع منصوب بأن، والفاعل مستتر.

(تَزَاوَرُ):

في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾(الكهف: 17).

ورد هذا النوع من الإدغام في سورة الكهف، في قصة فتية أصحاب الكهف، فلما فعلوا ذلك ألقى الله عليهم النوم وحَفِظهم. وترى –أيها المشاهد لهم– الشمس إذا طلعت من المشرق تميل عن مكانهم إلى جهة اليمين، وإذا غربت تتركهم إلى جهة اليسار، وهم في متسع من الكهف، فلا تؤذيهم حرارة الشمس ولا ينقطع عنهم الهواء، ذلك الذي فعلناه بهؤلاء الفتية من دلائل قدرة الله. من يوفقه الله للاهتداء بآياته فهو الموفَّق إلى الحق، ومن لم يوفقه لذلك فلن تجد له معينًا يرشده لإصابة الحق؛ لأنّ التوفيق والخِذْلان بيد الله وحده.

زور: الزَّوْرُ: الصَّدْرُ، والجمع أَزوار. والزَّوَرُ: عِوَجُ الزَّوْرِ وقيل: هو إِشراف أَحد جانبيه على الآخر، زَوِرَ زَورًا، فهو أَزْوَرُ [1].

وقرأ ابن عامر (تزاور) بالتخفيف فالأصل: تتزاور، فحذفت إحدى التاءين استثقالًا للجمع بينهما، وقرأ الباقون بتشديد الزاي فالأصل فيه أيضًا: تتزاور، فأدغمت التاء في الزاي، أي تشديد الزاي وإدغام تاء التفاعل فيه بعد تسكينها، وتزاور مأخوذ من الزور بفتح الواو، وهو الميل، ومنه زاره إذا مال إليه، والزور الميل، فمعنى الآية أنّ الشمس إذا طلعت تميل وتنتحي (عن كهفهم)[2]. وهذا الإدغام من باب إدغام المتقاربين.

(تَتَزاوَرُ): مضارع مرفوع، وفاعله مستتر.

يتبين لنا مما سبق أنّ إدغام المتقاربين للمخرج أو الصفة، جزئيًا أو كليًا، سواء أكان التأثير تقدميًا أو رجعيًا لا يؤدي في أغلبه إلى تغير في المعنى، ولكن التأثير يقتصر على الجانب الصوتي كما بينا.

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مج3، ج21/ص1887.

(2) إعراب القراءات السبع وعللها، ص388. معاني القراءات وعللها، ج2/ص106–107.

المبحث الثالث

ظاهرة المخالفة الصوتية

مفهومها وأقسامها:

لغةً: جاء في مقاييس اللغة: (خلف الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة: أحدها أن يجيء شيءٌ بعد شيء يقومُ مقامه والثاني خلاف قُدَّام والثالث التغير)، فالمقصود هنا المعنى الثالث الذي هو التغيير؛ أي: تغيير بنية الكلمة وذلك من خلال إبدال حرف بحرف آخر[1].

اصطلاحًا:

يعرفها الدكتور أحمد مختار بقوله[2]: "بأنّها تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور، لكنّه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين"؛ أي: إنّها تعني تغيير أحد الصوتين المتماثلين في الكلمة الواحدة إلى صوت آخر مماثل للصوت الأول.

وينظر علماء الدراسات الصوتية إلى ظاهرة المخالفة على أنّها الوضع الأمثل اللازم لإعادة الخلافات بين الأصوات، الأمر الذي لا يمكن الاستغناء عنه في إظهار قيم الفونيمات الاستقلالية وهو أمر ضروري لتحقيق حالة التوازن وتقليل المد التأثيري للمماثلة[3].

يرى الدكتور أنيس أنّ كُلًا من المماثلة والمخالفة تهدف إلى تيسير عملية المخالفة التي تهدف إلى التقليل من الجهد العضلي، فنرى أحد المتماثلين يقلب إلى صوت لين أو ما يشبه أصوات اللين (كاللام، والنون) وفي هذا أقصى مراحل التيسير في الجهد العضلي، فحين نصوغ (افتعل) من الفعل (ظلم) نلحظ أنّ (اظتلم) قد تجاورت فيها الظاء والتاء، وهما مختلفان في الجهر والهمس والشدة والرخاوة، والإطباق، والاستفال فقربت مسافة الخُلف بينهما لتيسير النطق وأصبح الفعل (اظّلم) وهكذا تماثل الصوتان، وهو أقصى ما يصل إليه التيسير في عملية المماثلة، فإذا افترضنا أنّ أحد العرب نطق بهذا الفعل على صور جديدة هي (انظلم) لا يُعدّ الأمر أنّه قد لجأ

---

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس، ص210.

(2) دراسة الصوت اللغوي، ص٣٨4.

(3) الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص٢٩١.

إلى عملية المخالفة ليخالف بين الظائين المتجاورين بأن قلب إحداهما (نونًا) [1]. ليزيد النطق تيسيرًا [2]. فالمخالفة تحدث إذا كان هنالك صوتان متماثلان تمامًا في كلمة من الكلمات. بَيْدَ أنّ الصوتين المتماثلين يتجهان إلى صوتين مختلفين، إذا كانا ثقيلين، كأن يكونا مثلًا شديدين، أو مرققين، أو مفخمين، فيتحول أحدهما إلى عكس الآخر فتنشأ المخالفة بينهما، وبذلك يحدث الانسجام الصوتي، ويسهل النطق في الكلمة، دون بذل مجهود عضلي كبير، وفي ذلك يقول فندريس: "التخالف وهو المسلك المضاد للتشابه في أن يعمل المتكلم حركة نطقية واحدة وكان من حقها أن تعمل مرتين"[3].

درس العلماء القدامى هذه الظاهرة تحت كراهية التضعيف. أو كراهية توالي الأمثال أو كراهية اجتماع المثلين أو المغايرة[4].

وقد تطرق إليها القدامى في أبواب مختلفة ومسميات عديدة، ولم يكن هناك نظام يجمعها أو قالب يحدها، ولا مصطلح واحد لها، لكنّ هذا لا يعني أنّهم لم يعُوا دورها أو ينتبهوا إلى أهميتها، بل كانوا على وعي تام بها، وإن لم يعرفوها كمصطلح فقد عرفوها كظاهرة صوتية تعرض للأصوات في السياق[5]، ومن أمثلتها: حرجل أصل الكلمة حجَّل وجلمد أصله جمّد، وعنكب أصله عكّب وعرقب أصله عقّب قرمط قمّط فلطح فطّح وسماه القدامى كراهية التضعيف.

وخصص ابن جني بابًا وسماه (باب العدول عن الثقيل إلى ما هو أثقل منه لضرب من الاستخفاف)[6]. وقد ذكر ابن جني هذه العلة مرارًا وتكرارًا، محاولًا تحليل القضايا الصوتية في بعض الألفاظ معتمدًا على علة الاستثقال[7].

---

(1) الأصوات اللغوية أنيس، ص213.

(2) الفكر اللغوي عند العرب، ص١٤١.

(3) لحن العامة والتطور اللغوي، ص٤٦.

(4) بحوث في اللسانيات الدرس العربي المماثلة والمخالفة، جيلالي بن يشو، ص155.

(5) دراسة الصوت، أحمد مختار عمر، ص385.

(6) الخصائص، ابن جني، ج٣/ص٢٠.

(7) سر صناعة الاعراب، ابن جني، ج١/١٨-29.

وقد تحدث سيبويه في الكتاب عن ذلك وذكر بعض نماذجها وكيف أُبدلت عن أصلها فقال تقصيتُ من القصة، تسريتُ تظنيتُ من تسررتُ وتظننتُ في باب سماه بــ(هذا باب ما شذ فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف) [1].

أما المحدثون فقد اختلفوا في التسمية والمصطلح. اذ إنّهم وضعوا عدة تسميات للمخالفة، فمنهم من سمّاها بالمفارقة[2]، وسمّاها بعضهم بالتباين[3]، وأيضًا بالمغايرة[4].

يعرفها رمضان عبد التواب بأنّها الطريقة التي من خلالها "يعمد إلى صوتين متماثلين تمامًا في كلمة من الكلمات فيغير أحدهما إلى صوت آخر"[5]، فهي تسعى إلى تخفيض الخلافات بين الفونيمات كلما أمكن ذلك[6].

يمكن تعريفها بأنّها تغيير يطرأ على صوتين متماثلين متجاورين. ويكون ذلك التغيير بالإبدال في الصوامت، أما الحركات فتكون على عكس الحركة المتماثلة، وهي تكمن في التفريق بين الفونيمات، وأبرزها بشكل واضح مستقل [7]، ويكن سببها الميل إلى السهولة والتيسير في النطق، إذ يصعب على اللسان أن يرتفع من مكانه ثم يعود إلى نفس المكان الذي نطق منه لينطق الصوت مرة ثانية. ويقلل من الجهد العضلي[8]. والمخالفة تقع في الصوامت والصوائت المتماثلة والمتقاربة، وتتم من خلال: [9]

1. الحذف: وتميل إلى التخلص من المقطع كاملًا، إذ تعمد المخالفة من خلال الحذف إلى تقليل المقاطع الصوتية التي توجد في اللفظة.
2. الزيادة: وتتم من خلال دخول مقطع آخر إلى اللفظة لا يوجد من قبل.

---

(1) الكتاب، سيبويه، ج4/ص318.

(2) اللغة، جوزيف فندرس، ص٩١.

(3) التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص٧٢.

(4) مدخل إلى علم اللغة، حجازي، ص٨٧.

(5) التطور اللغوي، رمضان عبد التواب، ص57.

(6) يراجع: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص378.

(7) المرجع السابق، ص329-330.

(8) المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، الخليل، ص١٤٢.

(9) المرجع السابق، ص299.

3. الإبدال: وهو تحويل الصوت إلى صوت آخر من الأصوات التي يغلب عليها أن تكون أحد أصوات العلة أو المتوسطة وهي الميم والنون واللام والراء التي تتم المخالفة بها[1].

أسباب المخالفة:

إذا كانت المماثلة تطور يرمي إلى تيسير النطق عن طريق تقريب الفونيمات بعضها من بعض، أو إدغامها لتحقيق الانسجام الصوتي، فإنّ براجشتراسر يفسر حدوث المخالفة في ضوء العّلة النفسية الناتجة عن الخطأ بسبب تتابع الأصوات المتشابهة يقول[2]: "فأما التخالف، فالعّلة فيه نفسية محضة، نظيره الخطأ في النطق، فإنّ النّاس كثيرا ما يخطئون في النطق ويلفظون بشيء غير الذي أرادوه، وأكثر ما يكون هذا إذا تتابعت حروف شبيهة بعضها ببعض؛ لأنّ النّفس يوجد فيها قبل النطق بكلمة تصورات الحركات اللازمة على ترتيبها، ويصعب عليها إعادة تصور بعينه بعد حصوله بمدة قصيرة، ومن هنا ينشأ الخطأ، إذا أسرع الإنسان في نطق جملة محتوية على كلمات تتكرر وتتابع فيها حروف متشابهة، وكثيرًا ما يتسامر الصبيان إلى نطق أمثال هذه الجمل بسرعة وبدون خطأ".

وقد أرجع بعض العلماء حدوث المخالفة أيضًا إلى كراهية توالي الأمثال. إذ يكون اجتماع الأصوات المتماثلة في النطق أو كراهية تكرار الصوت الواحد مرتين متتاليتين أو أكثر[3]، وتوالي مقطعين متماثلين في أول الكلمة أو في وسطها[4]، فالعربية تميل إلى التخلص من المقاطع المكررة[5]، فتعمد إلى تسكين الصوت والتخلص من الحركة، وهذا النوع يؤدي إلى تغيير المقاطع في الكلمة وتقليلها.

---

(1) التطور اللغوي، رمضان عبد التواب، ص٣٧.

(2) التطور النحوي للغة العربية، براجشتراستر، ص34.

(3)دائرة المكتبة الوطنية، عبد القادر مرعي الخليل، ص١٥١.

(4) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص٣٠٠.

(5) الأشباه والنظائر، السيوطي، ج١/ص٢٧.

كما أرجع بعض العلماء حدوثها إلى ما يمكن تسميته بالعامل البلاغي، وذلك إذا تعلقت المخالفة بالحروف المشددة وهذا العامل يكمن في أنّ المتكّلم يرجو أن يؤثر في نفس السامع تأثيرًا زائدًا فلا يكتفي بالضغط على الحرف وتشديده، بل يضيف إليه حرفًا آخرًا لزيادة ذلك التأثير [1].

أنواع المخالفة

1) **المخالفة التقدمية المنفصلة:**

أ- **تكمن المخالفة في الحركات حيث نفسر إعراب جمع المؤنث السالم بالكسر نيابة عن الفتح في حالة النصب.** فالتحريك بالكسر في حالة النصب ليس إلّا مخالفة صوتية مع الفتحة الطويلة قبلها، ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني كثير مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ.

في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾(التحريم: 5).

وردت هذه الجموع في سورة التحريم، في قصة تحريم النبي- صلى الله عليه وسلم العسل على نفسه، حيث إنّ النبي- صلى الله عليه وسلم- كان يدخل على زوجاته بالنّهار ثم يبيت عند صاحبة النوبة، فلاحظت أمّ المؤمنين عائشة-. رضي الله عنها- أنّه يتأخر عند أمّ المؤمنين حفصة- رضي الله عنها- أكثر من غيرها، فسألت عن السبب فعلمت أنّ عندها عسلًا تسقي منه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لأنّه يحبه، فتحركت الغيرة في نفس أمّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها- وفكرت في حيلة لتصرفه عن شرب العسل عند أمّ المؤمنين حفصة -رضي الله عنها- فلا يتأخر عندها، فاتفقت مع أمّ المؤمنين سودة وصفية- رضي الله عنهما- على أنّ النّبي -صلى الله عليه وسلم- حين يأتي إلى كل واحدة منهن ويقترب منها فإنّها تسأله هل أكل من الصمغ ذي الرائحة غير الطيبة؟ حتى يظنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنّ العسل الذي عند حفصة رائحته غير طيبة، وحينها سيمتنع من الشرب منه ولا يتأخر عندها؛ لأنّه -صلى الله عليه وسلم- كان يحرص على طيب ريح فمه، فلما فعلن ذلك دخل -صلى الله عليه وسلم- على حفصة وأرادت أن تسقيه العسل فرفض أن يشرب منه. فنزلت هذه الآيات أن عسى ربُّه إن طلقكنَّ- أيتها الزوجات- أن يزوِّجه بدلًا منكن زوجات خاضعات لله بالطاعة، مؤمنات بالله

(1) التطور النحوي للغة العربية، براجشتراسر، ص2.

ورسوله، مطيعات لله، راجعات إلى ما يحبه الله مِن طاعته، كثيرات العبادة له، صائمات، منهنَّ الثيِّبات، ومنهن الأبكار.

إعراب جمع المؤنث السالم بالكسر نيابة عن الفتح في حالة النصب. فالتحريك بالكسر في حالة النصب ليس إلّا مخالفة صوتية مع الفتحة الطويلة قبلها؛ لأنّ الكسرة حركة ضيقة خلفية، والفتحة حركة متسعة، فوردت المخالفة- كما بينا- بين الألف الطويلة المتسعة قبل التاء، وبين الكسرة أي التنوين على التاء، كي لا تجتمع فتحتان، وقد تكون المخالفة في التنوين في جمع المؤنث، وبين النون في جمع المذكر السالم.

أَزْواجًا: مفعول به ثان.

مُسْلِماتٍ، مُؤْمِناتٍ، قانِتاتٍ، تائِباتٍ، عابِداتٍ، سائِحاتٍ، ثَيِّباتٍ: صفات متعددة لأزواجًا منصوبة.

مثال آخر: (الصَّالِحَاتِ):

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: 9).

ورد هذا الجمع في سورة الإسراء، في قصة مدحه تعالى كتابه العزيز الذي أنزله على رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم- وهو القرآن، بأنّه يهدي لأقوم الطرق، وأوضح السبل وذكر بعض الموضوعات التي تضمنها القرآن، أو جاء القرآن لتقريرها كالهداية، وكذلك البشارة لأهل الإيمان، لما شرح ما فعله في حق عباده المخلصين، وهو الإسراء برسول الله- صلى الله عليه وسلم-، وإيتاء الكتاب لموسى – عليه السلام –، وما فعله في حق العصاة والمتمردين وهو تسليط أنواع البلايا عليهم، كان ذلك تنبيها على أنّ طاعة الله توجب كل خير وكرامة، ومعصيته توجب كل بلية وغرامة، لا جرم أثنى – سبحانه – على القرآن فقال: إنّ هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- يرشد الناس إلى أحسن الطرق، وهي ملة الإسلام، ويبشر المؤمنين الذين يعملون بما أمرهم الله به، وينتهون عمَّا نهاهم عنه، بأنّ لهم ثوابًا عظيمًا، وأنّ الذين لا يصدقون بالدار الآخرة وما فيها من الجزاء أعددنا لهم عذابًا موجعًا في النّار.

صلح: الصَّلاح: ضدّ الفساد؛ صَلَح يَصْلَحُ ويَصْلُح صَلاحًا وصُلُوحًا[1].

الصَّالِحاتِ: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الكسرة؛ لأنه جمع مؤنث سالم.

ب-**ومن صور المخالفة بين الحركات أيضًا: تحريك نون التوكيد الثقيلة بالفتح بعد الكسر،** ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني ما يلي:

(تَرَيِنَّ): في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾(مريم: 26).

ورد هذا الفعل في سورة مريم، في حكاية منه- تعالى- لبقية كلام عيسى لأمّه- عليهما السلام-.

إنّ عيسى- عليه السلام- قال لأمه: لا تحزني يا أماه بسبب وجودي بدون أب، وقرى عينًا، وطيبي نفسًا لذلك، فإمّا ترين من البشر أحدًا كائنًا من كان فسألك عن أمري وشأني فقولي له إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْمًا أي: صمتًا عن الكلام فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا لا في شأن هذا المولود ولا في شأن غيره، وإنّما سأترك الكلام لابني ليشرح لكم حقيقة أمره.

ومنعت مريم- عليها السلام- من الكلام لأمرين: أحدهما: أن يكون عيسى- عليه السلام- هو المتكلم عنها ليكون أقوى لحجتها في إزالة التهمة عنها، وفي هذا دلالة على تفويض الكلام إلى الأفضل.

والثاني: كراهة مجادلة السفهاء، وفيه أنّ السكوت عن السفيه واجب، ومن أذل الناس سفيه لم يجد مسافهًا.

رأي: الرُّؤيَة يقال رَأي رَأْيًا ورُؤْيَةً. الرُّؤيَةُ النَّظَرُ بالعَيْن والقَلْب[2].

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مج4، ج28/ص2479.

(2) المرجع السابق، مج3، باب الراء، ص1537.

(ترين) حذفت منه لام الفعل وعينه وألقيت حركتها على الراء وكسرت ياء الضمير لالتقاء الساكنين.

فَإِمّا تَرَيِنَّ: الفاء استئنافيّة، (إمّا): (إن) حرف شرط جازم، و(ما) زائدة، (ترينّ) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف النون؛ لأنّه من الأفعال الخمسة، والياء ضمير متصل في محلّ رفع فاعل، والنون نون التوكيد، و الفاء عاطفة، و(إن) شرطية، و(ما) زائدة، والفعل المضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف النون، أصله تَرْأَيِين قبل التوكيد، استثقلت الكسرة على الياء، فحذفت؛ فالتقى ساكنان، فحذفت لام الكلمة فصار تَرْأَيْن، نُقلت حركة الهمزة إلى الراء، ثم حذفت الهمزة للتخفيف، فصار تَرَيْن، ثم دخل الجازم فحذفت نون الرفع فصار تَرَيْ، ثم أكد بالنون، فالتقى ساكنان، فحركت الياء بحركة تجانسها، وهي الكسرة، فصار تَرَيِنَّ، فهو مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف النون، والياء فاعل، والنون للتوكيد.

حيث حركت النون في (ترين) التي للتوكيد بالفتحة وليس بالكسرة؛ مخالفة للياء وكسرتها السابقة لها؛ كي لا تجتمع كسرتان، وهما ثقيلتان على النطق، خاصة بعد حذف نون الرفع؛ لأنّه من الأفعال الخمسة.

وإبقاء حركة نون الأفعال الخمسة فتحة؛ لأنّها وقعت بعد ضمة طويلة (تكتبون)، وكسرة طويلة (تكتبين)، وكلاهما مخالف للفتحة، وذلك نحو:

(يَمْتَرُونَ):

في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (مريم34) [1].

ورد هذا الفعل في سورة مريم في قصة وصف الله – سبحانه وتعالى– سيدنا عيسى– عليه السلام للرسول محمد –صلى الله عليه وسلم – ذلك الذي قصصنا عليك من خبر عيسى؛ أي: ذلك الموصوف بتلك الصفات، عيسى بن مريم– عليه السلام–، من غير شك ولا مرية، بل قول الحق، وكلام الله، الذي لا أصدق منه قيلًا، ولا أحسن منه حديثًا، فهذا الخبر اليقيني، عن عيسى– عليه السلام–، وما قيل فيه مما يخالف هذا، فإنّه مقطوع ببطلانه، وغايته أن يكون شكا من قائله

(1)وينظر الأفعال الآتية في الآيات الآتية: (يَسْقُونَ/ القصص: 23) (خَمْسِينَ/ العنكبوت: 14)، (يَهْدُونَ، يُوقِنُونَ/ السجدة: 24).

لا علم له به، ولهذا قال: (الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ)؛ أي: يشكون فيمارون بشكهم، ويجادلون بخرصهم، فمن قائل عنه: إنّه الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، تعالى الله عن إفكهم وتقولهم علوًا كبيرًا.

بقيت حركة نون الأفعال الخمسة فتحة؛ لأنّها وقعت بعد ضمة طويلة وكسرة طويلة وكلاهما مخالف للفتحة.

(يَمْتَرُونَ): مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل.

مثال آخر:(سَيَغْلِبُونَ):

في قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾(الروم: 3).

ورد هذا الفعل في سورة الروم، في قصة الفرس والروم، كانت الفرس والروم في ذلك الوقت من أقوى دول الأرض، وكان يكون بينهما من الحروب والقتال ما يكون بين الدول المتوازنة.

وكانت الفرس مشركين يعبدون النّار، وكانت الروم أهل كتاب ينتسبون إلى التوراة والإنجيل وهم أقرب إلى المسلمين من الفرس؛ فكان المؤمنون يحبون غلبتهم وظهورهم على الفرس، وكان المشركون –لاشتراكهم والفرس في الشرك– يحبون ظهور الفرس على الروم.

فظهر الفرس على الروم فغلبوهم غلبًا لم يحط بملكهم بل بأدنى أرضهم، ففرح بذلك مشركو مكة وحزن المسلمون، فأخبرهم الله ووعدهم أنّ الروم ستغلب الفرس. غَلَبت فارسُ الرومَ في أدنى أرض (الشام) إلى (فارس)، وسوف يَغْلِب الرومُ الفرسَ في مدة من الزمن، لا تزيد على عشر سنوات ولا تنقص عن ثلاث. لله سبحانه وتعالى الأمر كله قبل انتصار الروم وبعده، ويوم ينتصر الروم على الفرس يفرح المؤمنون بنصر الله للروم على الفرس. والله– سبحانه وتعالى– ينصر من يشاء، ويخذل من يشاء، وهو العزيز الذي لا يغالَب، الرحيم بمن شاء من خلقه. وقد تحقق ذلك فغَلَبَت الرومُ الفرسَ بعد سبع سنين، وفرح المسلمون بذلك؛ لكون الروم أهل كتاب وإن حرَّفوه.

بقيت حركة نون الأفعال الخمسة فتحة؛ لأنّها وقعت بعد ضمة طويلة وكسرة طويلة وكلاهما مخالف للفتحة.

غلب: غَلَبه يَغْلِبُه غَلْبًا وغَلَبًا، وهي أَفْصَحُ، وغَلَبةً ومَغْلَبًا ومَغْلَبةً[1].

(سيغلبون) السين للاستقبال، والفعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل.

ج- **إبقاء حركة نون جمع المذكر السالم فتحة في جميع الأحوال** ذلك أنّ نون جمع المذكر السالم تكون مسبوقة دائمًا وأبدًا بضمة طويلة وذلك نحو: الظالمون، وإمّا بكسرةٍ طويلة وذلك نحو:

(الْمُجْرِمِينَ): في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾(الأعراف: 40).

ورد هذا الفعل في سورة الأعراف، في قصة الحق يريد أن يعطي حكمًا جديدًا ويحدد من هو المحكوم عليه ليعرف بجريمته، وهي جريمة غير معطوفة على سابقة لها، وليعرف كل إنسان أنّ هذه جريمة، وأنّ من يرتكبها يلقى حكمًا وعقابًا، وبذلك نعرف من هم الذين لا تفتح لهم أبواب السماء، وبطبيعة الحال نعرف أنّ المقابلين لهم هم الذين تفتح لهم أبواب السماء، إنّهم المؤمنون، وحين تصعد أرواحهم إلى الملأ الأعلى تجد أعمالهم الصالحة تصعد وترتفع بهم إلى أعلى. أما المكذبون فهم لا يترقون بل يهبطون ولا يدخلون الجنّة، وقد علق سبحانه دخول الجنّة بمستحيل عقلًا وعادة وطبعًا.

بقيت حركة نون جمع المذكر السالم فتحة؛ وذلك لأنّ نون جمع المذكر السالم تكون مسبوقة دائمًا وأبدًا بضمة طويلة وذلك نحو: الظالمون، وإمّا بكسرة طويلة؛ ولأن الفتحة التي على نون جمع المذكر السالم غير المضاف هي عوض عن التنوين للإعراب، وقد أبقيت الفتحة لوقوعها بعد صوتي المد الساكنين (الواو والياء) وهما حركتان طويلتان تخالفان الفتحة والألف.

والجُرْمُ: التَّعدِّي، والجُرْمُ: الذنب، والجمع أَجْرامٌ وجُرُومٌ، وهو الجَرِيمَةُ، وقد جَرَمَ يَجْرِمُ جَرْمًا واجْتَرَمَ وأَجْرَم، فهو مُجْرِم وجَرِيمٌ[2].

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مج5، باب الغين، ص3278.

(2) المرجع السابق، مج1، ج7/ ص604.

المجرمين: مفعول به منصوب وعلامة النصب الياء.

مثال آخر: **(الظالمين، كَافِرُونَ):**

في قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾(الأعراف: 44-45).

ورد هذان الفعلان في سورة الأعراف، في قصة ما يجري بين أهل الجنّة والنّار، بعد استقرارهم في الدارين، فقال: سينادي أهل الجنّة أهل النّار، وإنّما ذكر بلفظ الماضي، لتحقيق المعنى، جعل ما سيكون كأنّه قد كان، لأنّه كائن لا محالة، وذلك أبلغ في الردع من الثواب في كتبه، وعلى ألسنة رسله من العقاب، وإنّما أضافوا الوعد بالجنّة إلى نفوسهم، لأنّ الكفار ما وعدهم الله بالجنّة إلّا بشرط أن يؤمنوا، فلما لم يؤمنوا، فكأنّهم لم يوعدوا بالجنّة، وإنّما سألوهم هذا السؤال لأنّ الكفار كانوا يكذبون المؤمنين فيما يدعون لأنفسهم من الثواب، ولهم من العقاب، فهو سؤال توبيخ وشماتة يريد به سرور أهل الجنة، وحسرة أهل النار. قال أهل النار: وجدنا ما وعدنا ربنا من العقاب حقًا، وصدقًا. نادى مناد بينهم أسمع الفريقين أنّ غضب الله، وسخطه، وأليم عقابه على الكافرين، لأنّه وصف الظالمين بقوله يعرضون عن الطريق الذي دل الله سبحانه على أنّه يؤدي إلى الجنّة. وقيل: معناه يصرفون غيرهم عن سبيل الله أي دينه، والحق الذي دعا إليه. ويصلون لغير الله، ويعظمون ما لم يعظمه الله. ويجحدون ويكذبون بيوم القيامة.

كفر: الكُفْرُ: نقيض الإيمان؛ آمنَّا بالله وكَفَرْنا بالطاغوت؛ كَفَرَ يَكْفُر كُفْرًا وكُفُورًا وكُفْرانًا(1).

ظلم: ظَلَمَه يَظْلِمُهُ ظَلْمًا وظُلْمًا ومَظْلِمةً، فالظَّلْمُ مَصْدرٌ حقيقيٌّ، والظُّلمُ الاسمُ يقوم مَقام المصدر، وهو ظالمٌ وظَلوم(2).

كافِرُونَ: خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الواو؛ لأنه جمع مذكر سالم.

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مج1، ج7/ص604.

(2) المرجع السابق، مج5، ج24/ص2757.

الظالمين: اسم مجرور بالياء؛ لأنه جمع مذكر سالم.

2- المخالفة الرجعية المتصلة:

وفيها يؤثر الصوت الثاني في الأول المتصل فيكون الأول هو المخالف ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني ما يلي:

(انتَبَذَتْ):

في قوله تعالى: ﴿اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾(مريم: 16).

ورد هذا الفعل في سورة مريم، في قصة ولادة عيسى- عليه السلام- واذكر - أيها الرسول - في هذا القرآن خبر مريم ليقتدي الناس بها ولتكون معجزة لك، إذ تباعدت عن أهلها، فاتخذت لها مكانًا مما يلي الشرق عنهم.

نبذ: جلس نَبْذةً ونُبْذَةً أَي ناحية. وانتبذ عن قومه: تنحى. وانتبذ فلان إلى ناحية أَي تنحى ناحية[1].

انتبذت التي أصلها اتّبذت. ففي اتّبذت أثر الصوت الثاني على الأول فجعله يخالفه إلى نون، وبالتالي التخلص من التضعيف لتصبح انتبذت. حيث إن صوت الباء صوت مجهور شديد، وصوت التاء قبله صوت مهموس شديد، فالتقى الصوتان في صفة الشدة واختلفا في صفة الهمس والجهر، فأبدلت التاء في (انتبذت) بالنون لنية المخالفة في صفة الشدة والرخاوة مع اتفاق الصوتين (النون والباء) في صفة الجهر.

(انْتَبَذَتْ): ماض مبني على الفتح، والتاء للتأنيث، والفاعل مستتر.

(سُنبُلِهِ):

في قوله تعالى: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾(يوسف: 47).

---

(1) لسان العرب، مج6، باب النون، ص4322.

ورد هذا الفعل في سورة يوسف في قصة يوسف وتأويل رؤيا الملك، قال يوسف لسائله عن رؤيا الملك: تفسير هذه الرؤيا أنّكم تزرعون سبع سنين متتابعة جادّين ليَكْثُر العطاء، فما حصدتم منه في كل مرة فادَّخِروه، واتركوه في سنبله؛ ليتمَّ حفظه من التسوُّس، وليكون أبقى، إلّا قليلًا مما تأكلونه من الحبوب.

سبل: السَّبولة هي سُنْبُلة الذُّرَة والأَرُزّ ونحوه إذا مالت. وقد أَسْبَل الزَّرْعُ إذا سَنْبَل. والسَّبَل: أَطراف السُّنْبُل، وقيل السَّبَل السُّنْبُل، وقد سَنْبَل الزَّرْعُ أَي خرج سُنْبُلة[1].

فكلمة سنبل ناتجة عن طريق عامل المخالفة الصوتية، ففي السابق كانت: (سُبّل) بتشديد الباء ثم تحولت إحدى الباءين نونًا، وذلك من أجل المخالفة والتسهيل، والاقتصاد في الجهد[2]. حيثُ إنَّ الباء المشددة مكونة من صوتين متماثلين، مجهورين شديدين ثقيلين على الناطقين، فجاء إبدال الباء الأولى إلى النون موافقة لصوت الباء في الجهر ومخالفةً لها في الرخاوة والاحتكاك، أو في التوسط؛ لأنّ النون من الأصوات المتوسطة المائعة، خلافًا للباء الشديدة.

(سُنْبُلِهِ): اسم مجرور بالكسرة وهو مضاف والهاء مضاف إليه.

(عِتِيًّا):

في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾(مريم: 40).

ورد هذا الاسم في سورة مريم، في قصة زكريا، قال زكريا متعجبًا: ربِّ كيف يكون لي غلام وأنا في نهاية السن مائة وعشرين سنة، وأنا قد بلغت النهاية في الكبر ورقة العظم، وكانت امرأتي عاقرًا لا تلد، أي: وبلغت امرأته ثمانيًا وتسعين سنة؟

---

(1) لسان العرب/ مج6، باب السين، ص1931.

(2) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبد التواب، ص11. (بتصرف).

عتا: عَتَا يَعْتُو عُتُوًّا استكبر وجاوز الحد، يقال: عتوت يا فلان. عَتَا يَعْتُو عُتُوًّا وعُتيًّا وعتيا[1].

عتِيًّا أصلها عُتُوٌّ تقلب الواوين ياءًا الواو الأولى ياء لمناسبة الكسرة والثانية التي على التاء، وتقلب الواو الثانية ياء لتدغم فيها الياء [2]. ولتناسب الياء الأولى فتصبح الكلمة (عُتيِيا) ثم تدغم الياءان المتماثلتان ويعوض عنهما بالشدة، فنقول (عُتيّا) ثم تقلب الضمة التي على العين إلى كسرة لمجانسة الياء المشددة.

(عِتِيًّا) مفعول به.

(مَّنسِيًّا)

قال تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾(مريم: 23).

ورد هذا الاسم في سورة مريم، في قصة ولادة مريم لعيسى- عليه السلام- جاءَها وجع الولادة فألجأها إلى جذع النخلة لتعتمد عليه فولدت. والحمل والتصوير والولادة في ساعة، فقالت: يا ليتني متُّ قبل هذا الأمر وكنت نسيًا منسيًا شيئًا متروكًا لا يُعْرَف، ولا يُذْكَر، ولا يُدْرَى مَن أنا؟

نسا: والنِّسيْان، بكسر النون: ضدّ الذِّكر والحِفظ، نَسِيَه نِسْيًا. نِسْيانًا ونِسْوةً ونِساوةً ونَساوة؛ الأَخيرتان على المعاقبة. نَسِيت الشيء نِسْيانًا ونَسْيًا ونِسْيًا ونِساوةً ونِسْوةً[3].

منسيًا اسم مفعول أصله مَنْسُوُ جمعه مَنْسُوُوُ تقلب الواوين ياءً فتصبح مَنْسُيٌ ثم تكسر السين لمناسبة الياء المنقلبة عن واو مفعول والمدغمة مع الباء المنقلبة عن لام الكلمة فتصبح (مَنْسِيٌ ثم مَنْسِيًّا) فجاءت المخالفة الصوتية بين الضمة والكسرة وبين الواوين إلى يائين.

مَنْسِيًّا: صفة لنسيًا منصوبة.

---

(1) لسان العرب، مج6، ج49/ ص2804.

(2) المرجع السابق، نفسه.

(3) السابق، مج6، ج49/ ص4415.

3-الإدغام للمخالفة

ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني ما يلي:

(ذُرِّيَّتَهُمْ): في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾(الأعراف: 172).

ورد هذا الاسم في سورة الأعراف، في قصة خلق الله- سبحانه وتعالى- لذرية آدم. واذكر -أيها النبي- إذ استخرج ربك أولاد آدم مِن أصلاب آبائهم، وقررهم بتوحيده بما أودعه في فطرهم من أنّه ربهم وخالقهم ومليكهم، فأقروا له بذلك، خشية أن ينكروا يوم القيامة، فلا يقروا بشيء فيه، ويزعموا أنّ حجة الله ما قامت عليهم، ولا عندهم علم بها، بل كانوا عنها غافلين.

ذرأ: الذُّرِّيَّة: الخَلْق، وقيل: الذَّرْوُ والذَّرَا عددُ الذُّرِّيَّة. الليث: الذُّرِّيَّة تقع على الآباءِ والأَبْناءِ والأولادِ والنِّسَاء[(1)].

في الراء من ذرية آدم هناك احتمالات لأصل هذه الكلمة هي ذرأ وذرو وذري. ولكن ما يعنينا هو ذرر فتشير إلى أنّ ذرّيَّة على وزن فُعَيْلَة إلّا أنّ أصلها ذرّيرة فلما كثرت الراءات أبدلت الراء الأخيرة ياءً وأدغمت الياء وهنا حدث مخالفة بين الراءات إذ أدت هذه المخالفة إلى حدوث الإدغام فأصبحت ذُريَّة.

(ذُرِّيَّتَهُمْ): مفعول به للفعل أخذ.

4-المخالفة بالكمية:

تكون في المقاطع الصوتية ومن أمثلتها ما يحدث لضمير الغائب من تقصير حركته في اللغة العربية بعد المقطع الطويل، وذلك لمخالفة الكمية بين المقطع لكي لا يتوالى مقطعان طويلان يصعب نطقهما مثل. ربَّهُ ربهو – اعْبُدُوهُ اعْبُدُهُو. ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني ما يلي:

(1) لسان العرب، مج3، باب الذال، ص1491.

(بِهِ وَبِدَارِهِ):

في قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ﴾(القصص: 81).

وردت هذه الآية في سورة القصص، في قصة قارون، فخسفنا بقارون وبداره الأرض، فما كان له من جند ينصرونه من دون الله، وما كان ممتنعًا من الله إذا أحلَّ به نقمته.

الهاء في (به)، وفي (بداره) لما كان مقطع الهاء، مثل: لهو من النوع الطويل كرهت العرب أن تلفظ مقطعًا آخر يساويه في الطول، فعملت على المخالفة في الكمية بينهما تيسيرا للنطق؛ أي: تخفيفًا في كمية الصوت والهواء عند النطق بالهاء في كلمة (بداره الأرض)، عن كمية الهواء والصوت في قوله: (به).

5-المخالفة بالحذف

ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني ما يلي:

(الْحُسْنَىٰ):

في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾(الكهف: 88) [1].

ورد هذا الاسم في سورة الكهف، في قصة ذي القرنين، كان ذو القرنين يملك القدرات في القيادة وفي الذكاء وفي قوته الجسدية. وذلك الملك وقع في نفسه أن يأتي الأرض من شرقها لغربها داعيًا للتوحيد. فبلغ قرن الأرض الأيمن والأيسر، مشرقها ومغربها، فسمي ذي القرنين. فأتبع سببًا، وجد طريقًا وأخذ معه كل ما يلزمه وصحب معه كل من يحتاج من جنود وأطباء وقضاة وأهل علم وغيرهم. واتجه إلى مغرب الشمس، وسار حتى وجد الشمس تغرب في عين؛ أي: في ماء، حمئة، أي: حمراء. فظنّ أنّ الشمس تنطفئ ثم تشتعل، ووجد عندها قومًا، وجد أقوامًا يسكنون قرب الساحل، فيهم ناس طغاة يتجبرون، وفيهم ضعفاء ومساكين، وجاء لهم ذو القرنين بجنوده. قلنا: يا ذا القرنين إمّا أن تعذب، وإمّا أن تتخذ فيهم حسنا، أي: إمّا إن تعاقبهم

---

(1) ولمزيد من الأمثلة ينظر الآيات: طه:10، 87، 97، الأعراف:67، يوسف:4.

أو تعفو عنهم. خيره الله بين أمرين، إمّا أن تمسك المجرمين وتعاقبهم، وإمّا أن تصدر عفوًا عامًا أو تحاسبهم على ما فعلوا من أخطاء.

حسن: الحُسْنُ: ضدُّ القُبْح ونقيضه. الأَزهري: الحُسْن نَعْت لما حَسُن؛ حَسُنَ وحَسَن يَحْسُن حُسْنًا فيهما، فهو حاسِنٌ وحَسَن[1].

قرأها حمزة والكسائي وعاصم ويعقوب بنصب (جزاءً) وتنوينه.

والوجه أنّه على تقدير: له الحسنى جزاءً، فالحسنى مبتدأ، والخبر الجار والمجرور الذي تقدم عليه وهو (لَهُ)، و(جَزَاءً) مصدر واقع موقع الحال، والمعنى فله الحسنى مجزيًا بها، و(الحُسْنَى) صفة، وموصوفها الخلال أو المكافأة، والتقدير فله الخلال الحسنى أو المكافأة الحسنى.

وقرأ الباقون (جَزَاءً الحُسْنَى) برفع (جَزَاءً) وإضافته.

والوجه أن (جَزَاءً) مبتدأ، و(لَهُ) خبره تقدم عليه، و(الحُسْنَى) مضاف إليها، وهي صفة الخلال أيضًا، وتقديره: فله جزاء الخلال الحسنى، والخلال ههنا الأعمال الصالحة، وفي القراءة الأولى أنواع الثواب) [2].

جَزاءً: تمييز منصوب.

الْحُسْنى: مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة المقدرة على الألف للتعذر.

مما التزمت العربية حذفه فرارًا من تتابع الأمثال: **حذف نون أفعال الخمسة عند توكيده بنون التوكيد الخفيفة أو الثقيلة:** اذ تحذف نون الفعل بسبب تتابع النونات وهذا اقتصادٌ في الجهد والوقت نحو: ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني ما يلي:

(تَرَيِنَّ):

---

(1) لسان العرب، مج2، ج11/ص877.

(2) الموضح، 491.

في قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (مريم: 26).

ورد هذا الفعل في سورة مريم في حكاية منه- تعالى- لبقية كلام عيسى- عليه السلام- لأمه.

والمعنى: أنّ عيسى- عليه السلام- قال لأمه: فإمّا ترين من البشر أحدًا كائنًا من كان فسألك عن أمري وشأني فقولي له إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْمًا؛ أي: صمتًا عن الكلام فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا، لا في شأن هذا المولود ولا في شأن غيره، وإنّما سأترك الكلام لابني ليشرح لكم حقيقة أمره.

فإمّا ترين من البشر (تَرَيِنَّ) والأصل تَرَيينَنَّ فخولف بين النونين بحذف نون الفعل فصارت تَرَيينَّ فنشأ مقطع طويل وتخلصًا من هذا المقطع اختزلت الحركة الطويلة فتحول بذلك إلى مقطع متوسط مغلق فصار الفعل تَرَيِنَّ.

(تَرَيِنَّ): مضارع مجزوم بحذف النون، والياء فاعل، والنون للتوكيد.

ومن أمثلة الحذف لكراهة توالي الأمثال كذلك إن وأن مع نون الوقاية قبل ياء المتكلم أو ضمير المتكلمين المنصوب نحو إنِّي وهن العظم والأصل إنَّني. ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني ما يلي:

(إنَّا):

في قوله تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾(مريم: 7).

ورد هذا في سورة مريم في قصة زكريا- عليه السلام – بعدما طلب من الله أن يهب له غلام، يقول تعالى ذكره: فاستجاب له ربه، فقال له: يا زكريا إنّا نبشرك بهبتنا لك غلامًا اسمه يحيى. والأصل إنّنا حذفت النون لكراهة توالي الأمثال للمخالفة الصوتية.

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿آتَانِيَ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (مريم: 30).

ورد هذا الفعل في سورة مريم، في قصة ميلاد عيسى– عليه السلام–، قال عيسى وهو في مهده يرضع: إنّي عبد الله، قضى بإعطائي الكتاب، وهو الإنجيل، وجعلني نبيًا. عند التقاء نون الأفعال الخمسة مع نون الوقاية قبل ياء المتكلم تحذف نون الوقاية، نحو: آتَانَنِي بعد الحذف تصبح آتَانِي.

آتانِيَ: ماضٍ مبني على الفتح المقدر على الألف، والنون للوقاية، والفاعل مستتر والياء في محل نصب مفعول به أول.

مثال آخر: (يَأْتِينَا):

في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أولمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (طه: 133).

ورد هذا الفعل في سورة طه، في قصة الكفار المجادلين والمكذبين للرسول محمد– صلى الله عليه وسلم–، يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء المشركون الذين وصف صفتهم في الآيات قبل. هلا يأتينا محمد بآية من ربه، كما أتى قومه صالح بالناقة، وعيسى بإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، يقول الله جلّ ثناؤه: أولم يأتهم بيان ما في الكتب التي قبل هذا الكتاب من أنباء الأمم من قبلهم التي أهلكناهم لما سألوا الآيات فكفروا بها لما أتتهم كيف عجَّلنا لهم العذاب، وأنزلنا بأسنا بكفرهم بها، يقول: فماذا يؤمنهم إن أتتهم الآية أن يكون حالهم حال أولئك.

أتي: الإِتْيان: المَجيء. أَتَيْته أَتْيًا وأُتِيًّا وإِتِيًّا وإِتْيانًا وإِتْيانةً ومَأْتاةً: جِئْته(1).

عند التقاء نون الأفعال الخمسة مع نون الوقاية قبل ضمير المتكلمين المنصوب تحذف نون الوقاية نحو يَأْتِينَنَا بعد الحذف تصبح يَأْتِينَا.

تأْتِينا: مضارع، فاعله مستتر، ونا مفعول به.

(1) لسان العرب، مج1، باب الهمزة، ص21.

فالمخالفة تهدف إلى تيسير جانب الدلالة عن طريق المخالفة بين الأصوات، ولا تلقي بالًا إلى العامل النطقي الذي قد يتأثر نتيجة تباعد أو تخالف الصوتين، وعليه تبين لنا الأمثلة القرآنية المذكورة أنّ ظاهرة المخالفة تعالج مشكلة الثقل في النطق، لأنّ الصوتين يحتاجان إلى جهد عضلي، ما يستدعي التسهيل والتخفيف. والمخالفة تدعو إلى تقريب الأصوات المتباعدة وكلما اقترب صوت من صوت آخر وحدث ثقل في النطق بهما تأتي المخالفة لتباعد بينهما تحقيقا للانسجام الصوتي. فاللغة العربية تميل إلى السهولة واليسر؛ لتتخلص من الأصوات العسيرة النطق. فما تسعى إليه العربية في المقام الأول هو الانسجام الصوتي.

الفصل الثالث

القضايا الصرفيـــــة، وفيه:

- ❖ **المبحث الأول: تصريف الأفعال.**
- ❖ **المبحث الثانـي: الأفعال المزيدة.**
- ❖ **المبحث الثالث تصريف الأسماء.**
- ❖ **المبحث الرابع: المشتقات ويشمل أربعة مطالب:**

المطلب الأول: اسم الفاعل.

المطلب الثانـي: اسم المفعول.

المطلب الثالث: صيغة المبالغة.

المطلب الرابع: اسما الومان والمكان،

- ❖ **المبحث الخامس: الجموع ويشمل ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: جمع المذكر السالم.

المطلب الثاني: جمع المؤنث السالم.

المطلب الثالث: جمع التكسير.

تُعدُّ اللغة العربية من أوسع لغات العالم اشتقاقًا، وأضاءَ علم الصرف هذا الجانب الذي يُثري اللغة العربية بصيغ عدة تؤدي دلالات مختلفة؛ فالمادة اللغوية الواحدة أو الجذر اللغوي نحو (كتب) يُتيح لنا أن نُفرع أو نشتق منه كلمات عدة. كما أن علم الصرف يشغل مرتبة أصيلة في النظام اللغوي وهي المرتبة الثانية بعد علم الأصوات. ويعزز علم الصرف نظرية السهولة في اللغة العربية من حيث الإعلال والإبدال اللذين يؤديان إلى سهولة نطق الكلمة.

تعريف الصرف لغةً واصطلاحًا:

الصرف لغةً:

هو "التغيير والتقليب والتحويل، يقال: "صرفت الصبيان" قلبتهم، وقالوا: صرف الله عنك الأذى، أي حوله. هو رد الشيء من حال إلى حال وهو مصدر صرف من مصروف الزمان وتصاريفه [1]. التغيير. ومنه تصريف الرياح قال تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ ﴾ (البقرة: 164)؛ أي تغييرها وتحويلها من مكان إلى مكان شمالًا مرة. وجنوبًا مرة. ودبورًا أخرى. وصبًا تارة. إلخ[2] وتصريف الأمور، وتصريف الآيات؛ أي: تعيينها في أساليب مختلفة وصور متعددة. ومنه كان الصرف في اللغة التغيير والتقليب على وجوه كثيرة؛ أي: تقلبها.

الصرف اصطلاحًا:

هو تحويل الأصل إلى أمثلة مختلفة لعدة معانٍ مقصودة [3]، وهذا التحول في أبنية الكلم لا إعرابًا ولا بناءً[4].

قال ابن عصفور (ت 669هـ)[5]. التصريف بالمعنى الاصطلاحي ينقسم قسمين:

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مج4، ج27، مادة (ص ر ف)، ص2434-2435.

(2) زاد المسير إلى علم التفسير، ابن الجوزي، ص169.

(3) أبنية الصرف في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، ص23.

(4) التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، ص7.

(5) هو أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد الأشبيلي. المعروف بابن عصفور. فقيه. نحوي. صرفي. لغوي. مؤرخ. شاعر. له عدة مصنفات منها. الممتع في التصريف. وشرح الجمل للزجاجي ت 669هـ. والمقرب في=

الأول: جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعاني، نحو ضرب بتخفيف الراء وضرب بتشديد الراء وتضارب واضطراب، فالكلمة التي هي مركبة من ضاد وراء وباء، نحو: ضرب، وهو المصدر على القول بأنّه أصل الاشتقاق- على رأي البصريين- بسكون الباء قد بنيت منها هذه الأبنية المختلفة لمعانٍ مختلفة.

والثاني: من قسمي التصريف تغيير الكلمة من أصلها، من غير أن يكون ذلك التغيير دالًا على معنى طارئ على الكلمة، نحو تغييرهم قول إلى قال. ألّا ترى أنّهم لم يفعلوا ذلك ليجعلوه دليلًا على معنى خلاف المعنى الذي كان يعطيه قول الذي هو الأصل لو استعمل؟ وهذا التغيير مختصر في النقص، مثل: عدة ونحوه. والقلب، مثل: قال وباع ونحوهما، واتعد واتزن، ونحوهما إلخ [1].

ابن جني: قد أورد فيها تعريفًا واضحًا للتصريف في مؤلفاته، مثل: التصريف الملوكي، والخصائص، والمنصف، الذي جمع فيه جميع الآراء والمسائل التي بحثها المازني، وفي كتابه (الخصائص)، نص على عدد من مباحث الّتصريف، كالتثنية، والجمع، والتصغير، والتكسير، وغير ذلك[2].

من العلماء المتأخرين كابن الحاجب، الذي يقول: التصريف علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب[3]، وأضاف الرضي على هذا التعريف قائلا: إن التصريف علم بأبنية الكلمة، وبما يكون لحروفها من أصالة وزيادة وحذف وصحة وإعلال وإدغام، وبما يعرض لآخرها مما ليس بإعراب ولا بناء من الوقف وغير ذلك [4].

ويتضح لنا من تلك التعريفات أن بعض العلماء قد حرصوا على إظهار الترابط الذي يجمع بين فروع اللغة العربية، وخاصة بين النحو والصرف.

=النحو. وشرح ديوان المتنبي. انظر ترجمته في معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج7/ ص251. والممتع في التصريف، لابن عصفور، ج1/ ص31 فما بعدها.

(1) الممتع في التصريف، لابن عصفور، ج1/ ص31 فما بعدها.

(2) الخصائص، لابن حني، ج1/ص34.

(3) شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الأستراباذي، ج1/ ص1.

(4) المرجع السابق، ج1/ص6.

ومن المحدثين الذين ساروا على نفس أسلوب من سبقوهم، أحمد الحملاوي الذي يرى أن التّصريف بالمعنى العملي هو تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة، لمعانٍ مقصودة كاسمي الفاعل والمفعول، والتثنية والجمع وغير ذلك. وبالمعنى العلمي هو علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب ولا بناء[1]. وقد وافقه على ذلك محمد محي الدين في كتابه (دروس التصريف)[2].

وقال عباس حسن في تعريفه للتصريف: هو التغيير الذي يتناول صيغة الكلمة وبنيتها، وإظهار حروفها من أصالة أو زيادة، أو حذف، أو صحة أو إعلال أو إبدال بالوجوه المتنوعة التي ستجيئ في بابها، أو غير ذلك من التغيير الذي لا يتصل باختلاف المعنى[3].

بهذا نال التصريف نصيبًا كبيرًا من الجهود اللغوية. وهو من أهم ميادين اللغة، وتكمن أهميته في أنّه ميزان العربية وأنّه ميدان رحب وبحر عميق.

ويرى علماء اللغة أنّ نظرتهم إلى علم التصريف قد تغيرت، وأصبح مفهومه عندهم يرتبط بفروع الدراسات اللغوية الحديثة، إلّا أنّنا نجد أنّ علماءنا من المتقدمين، ما زالوا في حاجة للمزيد من الدراسة، والنقد، والتقييم، في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة.

تقع الدارسة الصرفية التحليلية على الكلم من حيث التغيرات التي تصيبه في جميع صيغه، وهذه التغيرات تعطي معنًى صرفيًا مختلفًا، والصرف يختص في تحولات في البنية اللغوية للكلمة من تغيرات تصريفية واضحة ذات دلالة لغوية معنوية خاصة بالكلم. فقد ظهر الترابط بين القراءات القرآنية وبين علم الصرف العربي، من خلال الأبنية الصرفية التي غُذِّيت من قبل القراءات، والتي أدت إلى وظيفة معنوية ظاهرة، فقد بدا الاختلاف في القراءات من خلال الاختلاف في الأبنية الصرفية من قبل القراء، من خلال الحذف والتسكين والإثبات وغيرها من الاختلافات الصرفية.

إنَّ الدرس اللغوي ميدان فسيح وبحر يصعب غوره، وجلّ مباحثه تدور في جوهرها حول نظام اللغة. ويُعدّ علم الصرف من أدق أبواب علم اللغة وأهمها؛ لأنّه علم هيئات الكلمات قبل دخولها في التراكيب، وربما كانت التعقيدات التي عرفها هذا العلم من أكبر التعقيدات التي تعرض

(1) شذا العرف في فن الصرف، الشيخ أحمد الحملاوي، ط6، 1384 هـ – 1965 م، ص 10.

(2) دروس التصريف ومقدمات الصرف، محمد محيي الدين عبد الحميد، ص504.

(3) النحو الوافي، عباس حسن، ج4/ ص562.

للباحث نظرًا لتشعبها وافتراض الدراية بالأصول. ونظرًا لوسع اللغة العربية وصعوبتها. ولكنّ طبيعة الكلام صوتية، وأنه عبارة عن الذبذبات التي تؤدي المعنى، أي أنّه أصوات مجتمعة تُقَوْلِب المعنى المجرد وتوصله إلى المتلقي.

الذي لا شك فيه أنّ الصرف لا غنى عنه في الدرس اللغوي، وفي الدرس العربي على وجه الخصوص... وإذا كان الدرس النحوي يقتضي دروس الصرف، فإِنَّ الصرف لا يمكن فهمه فهمًا صحيحًا دون معرفة القوانين التي يجري عليها علم الأصوات، وهذا ما نحتاجه أثناء تدريسنا لعلم الصرف.

إنّ أساس الدراسة في علم الصرف العربي ـ كما أفادت الدراسات اللسانية الحديثة ـ تنطلق من المفاهيم والنظريات التي يقدمها علم الأصوات العربي بفرعيه: المستوى الصوتي والمستوى الفونولوجي. إلى جانب توضيح أهمية علم الأصوات في فهم الظواهر الصرفية وبيان قيمتها، ومن ذلك ظاهرة الإبدال والإعلال والحذف وغيرها.

فعلم الصرف لا يمكن الإلمام بقواعده دون المعرفة بعلم الأصوات وبالكتابة الصوتية الحديثة ومعرفة قوانين المماثلة والمخالفة وخاصة في موضوعي الإبدال والإعلال، فنحن يجب علينا الإلمام بعلمي الصرف والأصوات فهما مقدمان على علم النحو، لأنّ النحو يبحث في صفة المركب.

المبحث الأول: تصريف الأفعال

نحاول فيما يلي التعرف على بعض القضايا الصرفية الواردة في القصص القرآني، والتي كان للعلماء فيها تفسيرات متعددة؛ وصولًا إلى المعنى المراد والمستفاد من القصة القرآنية

أبنية الفعل:

وضع النحاة للفعل قواعد تضبطه، إذ جعلوا المقياس للفعل الثلاثي الماضي حركة عينه، والتغيير في المضارع، فالفعل الثلاثي الماضي أبنيته ثلاثة، حسب حركة عينه(1).

وقد فصل العلماء الفعل من خلال حركة العين في ماضيه ومضارعه، فعدوها ستَّةَ أبوابٍ، اتفق عليها جميع علماء اللغة فيما بعد، وحرصوا على ذكرها وتوظيفها(2)، فكل هذه الأوزان الفعلية الصرفية تختص بعدة معانٍ، جعِلت لها من الأصل(3).

الفعل من حيث التجريد والزيادة (4):

ينقسم الفعل إلى مجرد ومزيد فيه إذا تتبعنا الأفعال الواردة في اللغة العربية، وجدناها لن تخرج عن أحد أمرين: **الأول:** أن يكون الفعل مجردًا. **الثاني:** أن يكون الفعل مزيدًا فيه.

المجرد (5):

هو ما كانت جميع حروفه أصلية، بحيث لا يسقط حرف منها في جميع تصاريف الكلمة بغير علة تصريفية، وذلك، مثل: ضرب على وزن (ف ع ل)، فهذا الفعل يُعدُّ مجردًا؛ لأنّ جميع حروفه لا يسقط حرف منها في جميع التصاريف، فنقول: ضرب- يضرب- اضرب- ضربًا.

---

(1) شرح التصريف، الثمانيني، ص192.

(2) دقائق التصريف، أبو القاسم المؤدب، ص152. وانظر: تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، الفخري، ص121.

(3) الكتاب، سيبويه، ج4/ص5. وانظر: اللغة معناها ومبناها، تمام حسان، ص138.

(4) تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن، محمد سالم محيسن، ص64.

(5) التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، ص26.

ضارب- مضروب، وهكذا. فنحن نلحظ أنّ: (الضاد- والراء- والباء) التي هي أصول الكلمة موجودة في جميع التصاريف، ولذلك حكمنا على أنَّ (ضرب) مجردة من حروف الزيادة، وهكذا.

المزيد [1]:

هو ما زيد فيه حرف أو أكثر على حروفه الأصلية. ويعرف الحرف الزائد بسقوطه في بعض تصاريف الكلمة مثل: استخرج على وزن (ء س ت ف ع ل) فنحن يمكننا الحكم بأنّ(الهمزة- والسين- والتاء) حروف زائدة على الفعل المجرد، ودليل ذلك سقوط هذه الحروف الثلاثة في بعض تصاريف الكلمة حينما نقول: خرج.

والمجرد ينقسم إلى قسمين: (ثلاثي-ورباعي)، والمزيد ينقسم أيضّا قسمين: (مزيد الثلاثي- ومزيد الرباعي) [2].

المجرد الثلاثي:

وأوزانه على النحو الآتي [3]:

- فَعَلَ، نحو: نَصَرَ.
- فَعُلَ، نحو: ظَرُفَ.
- فَعِلَ، نحو: فَرِحَ.

ثانيًا- أبنية مزيد الفعل الثلاثي: وهو ثلاثة أنواع، وهي [4]:

1) ثلاثي مزيد بحرف.
2) ثلاثي مزيد بحرفين.
3) ثلاثي مزيد بثلاثة أحرف.

---

(1) التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، ص27.

(2) المرجع السابق، ص27.

(3) التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، ص27.

()4المرجع السابق، ص65.

وإليك أبنية كل نوع على حدة:

- **ثلاثي مزيد بحرف وأبنيته كالآتي:**

- (ف عّ ل)، نحو: قطّع–وقدّم.
- (ف ا ع ل)، نحو: قاتل وجاهد.
- (ء ف ع ل)، نحو: أحسن–وأكرم.

- **ولمزيد الثلاثي بحرفين خمسة أبنية:**

- (ء ن فَ عَ لَ)، نحو: انقطع– انكسر.
- (ء ف ت ع ل)، نحو: اجتمع– واكتسب– واستلم.
- (ء ف ع لّ)، نحو: احمرّ– واصفرّ– واخضرّ.
- (ت ف عّ ل)، نحو: تقدّم– وتكسّر– وتعلّم.
- (ت ف ا ع ل)، نحو: تقاتل– تخاصم– وتضارب.

- **ولمزيد الثلاثي بثلاثة أحرف أربعة أبنية:**

- (ء س ت ف ع ل)، نحو: استغفر–واستخرج–واستطعم.
- (ء ف ع و ع ل)، نحو: اخشوشن(1) – واعشوشب(2).
- (ء ف ع وّل)، نحو: اجلوذ (3) – واعلوط(4).
- (ء ف ع الّ)، نحو: احمارّ. واخضارّ. وابياضّ.

---

(1) كثرت خشونته، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مج2، باب الخاء، مادة (خ ش ن)، ص1168.

(2) كثر عشبه، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مج4، ج33، مادة (ع ش ب)، ص2951.

(3) أي أسرع في السير، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مج1، ج9، مادة (ج ل ذ)، ص656.

(4) يقال: اعلوط زيد البعير. اي ركبه بغير خطام، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مج4، ج35، مادة (ع ل ط)، ص3070.

ثالثا-أبنية الفعل الرباعي المجرد، والملحق به:

الفعل الماضي الرباعي المجرد، له بناء واحد، وهو: (فَ ع لَ ل) بفتح ما بعد العين، ويكون لازمًا نحو: حشرَج[1]ودربخ[2]. ومتعديًا نحو: بعثر ودحرَج.

ويلحق بالفعل الرباعي المجرد ثمانية أبنية، أصلها من الثلاثي، فزيد فيه حرف لغرض الإلحاق. والأبنية هي:

- الأول: (ف ع ل ل)، نحو: جلبب. وشملل[3].
- الثاني: (ف و ع ل)، نحو: وهوجل[4].
- الثالث: (ف ع و ل)، نحو: رهوك[5]- وجهور- ودهور.
- الرابع: (ف ي ع ل)، نحو: سيطر [6].
- الخامس: (ف ع ي ل)، نحو: شريف.
- السادس: (ف ن ع ل)، نحو: سنبل[7].
- السابع: (ف ع ن ل)، نحو: قلنس[8].
- الثامن: (ف ع ل ى)، نحو: سلقى، أصلها: استلقى.

(1) غرغر عند الموت، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مج1، ج10، مادة (ح ش ر ج)، ص884.

(2) طأطأ رأسه. وبسط ظهره، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مج2، ج16، مادة (د ر ب خ)، ص1350.

(3) جلببه وشملل؛ أي: ألبسه الجلباب. والشملة، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مج1، ج8، مادة (ج ل ب)، ص650.

(4) هجل بالشيء هجلًا. رمى به، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مج6، باب الهاء، مادة (هـ ج ل)، ص4622.

(5) يقال: رهوك في مشيته؛ أي: أبطأ، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مج3، ج20، مادة (ر هـ ك)، ص1756.

(6) أي: مسلط، سيطر يسيطر وتسيطر يتسيطر، فهو مسيطر ومتسيطر، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مج3، ج23، مادة (س ط ر)، ص2007.

(7) سنبل الزرع: أخرج سنبله، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مج3، ج24، مادة (س ن ب ل)، ص2111.

(8) يقال: قلنسه ألبسه القلنسوة، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مج5، ج42، مادة (ق ل س)، ص3720.

رابعًا-أبنية مزيد الفعل الرباعي، وملحقاته:

مزيد الرباعي على نوعين:

1) رباعي مزيد بحرف.
2) رباعي مزيد بحرفين.

الرباعي المزيد بحرف:

له بناء واحد، وهو: (ت ف ع ل ل)، بزيادة التاء قبل الفاء، نحو: تدحرج-وتبعثر[1]. ويلحق بالرباعي المزيد بحرف واحد سبعة أبنية، أصلها من الثلاثي، فزيد فيه حرف للإلحاق، ثم زيدت عليه التاء، والأبنية هي:

- (ت ف ع ل ل)، نحو: تجلبب- وتشملل.
- (ت م ف ع ل)، نحو: تمندل - وتمسكن.
- (ت ف و ع ل)، نحو: تكوثر - وتجورب.
- (ت ف ع و ل)، نحو: ترهوك[2].
- (ت ف ي ع ل)، نحو: تسيطر- وتشيطن.
- (ت ف ع ي ل)، نحو: ترهيأ[3].
- (ت ف ع ل ى)، نحو: تقلسى[4].

---

(1) بعثر الشيء. فرقه. وبدده.

(2) مشى كأنه يموج في مشيته، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مج3، ج20، مادة (ر ه ك)ص1756.

(3) اضطرب. وتحرك. يقال. ترهيأ في أمره. هم به ثم أمسك وهو يريد أن يفعله.

(4) يقال قلست نفسه قلسًا. غثت. والرجل قلسا. خرج من بطنه طعام أو شراب، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مج5، ج42، مادة (ق ل س)، ص3720.

والرباعي المزيد بحرفين، له بناءان:

- (ء ف ع ن ل ل)، نحو: احرنجم[1] – وافرنقع[2].
- (ء ف ع ل لّ)، نحو: اقشعرّ [3].

ويلحق بالرباعي المزيد بحرفين ثلاثة أبنية، وأصلها من الثلاثي، فزيد فيه حرف الإلحاق، ثم زيد فيه حرفان، والأبنية هي:

- (ء ف ع ن ل ل)، نحو: واقعندد[4].
- (ء ف ع ن ل ى)، نحو: اسلنقى– واحرنبى.
- (ء ف ت ع ل ى)، نحو: استلقى– واجتعبى.

يفهم مما تقدم أنّ أبنية الفعل الثلاثي، والرباعي، سواء كان مجردًا، أو مزيدًا فيه، أو ملحقًا (٣٧) سبعة وثلاثون بابًا. ورد كثيرًا منها في أسلوب القصص القرآني، وقُرِئَ بوجوه متعددة، أو اختلف القراء في قراءة كثير من أبنية الأفعال صرفيًا؛ ولعل ذلك يرجع إلى اختلاف لهجات العرب ولغاتها كما سنرى.

فمن خلال الأوزان اللغوية الثلاثية، التي اعتمدها النحاة، والقراء، فقد وردت بعض الآيات التي تم الاختلاف في قراءتها، وهذا الاختلاف يعود إلى القبائل العربية ولهجاتها والمعنى الذي يصدر من تلك القراءة، وهذا الاختلاف في القراء ة أدى إلى اختلاف في المعنى.

ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني، ما يلي:

---

(1) يقال: احرنجم القوم. والدواب؛ أي: اجتمعوا، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مج2، ج10، مادة (ح ر ج م)، ص824.

(2) يقال فرقع الشيء؛ أي: بدا له دوي. وفرقع أصابعه. ضغط عليها حتى سمع لها صوت.، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مج5، ج38، مادة (ف ر ق ع)، ص3402.

(3) أي أخذته رعده. واطمأن، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مج5، ج40، مادة (ق ش ع)، ص3638.

(4) أصلها من قعد يقال قعد قعودا. جلس من قيام، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مج5، ج41، مادة (ق ع د)، ص3686.

(عسى)

فقد ورد الاختلاف في آيات من القصص القرآني في أبنية الفعل في قراءة الفعل (عسى) في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلا قَلِيلا مِنْهُمْ﴾ (البقرة: 246)

وقد ورد هذا الفعل في سورة البقرة، في قصة الأشراف والوجهاء من بني إسرائيل من بعد زمان موسى– عليه السلام–؛ حين طلبوا من نبيهم أن يولي عليهم ملكًا، يجتمعون تحت قيادته، ويقاتلون أعداءهم في سبيل الله. قال لهم نبيهم: هل الأمر كما أتوقعه إنْ فُرِض عليكم القتال في سبيل الله أنكم لا تقاتلون؛ فإنّي أتوقع جبنكم وفراركم من القتال، قالوا مستنكرين توقع نبيهم: وأي مانع يمنعنا عن القتال في سبيل الله، وقد أَخْرَجَنَا عدوُّنا من ديارنا، وأبعدنا عن أولادنا بالقتل والأسر؟ فلما فرض الله عليهم القتال مع الملِك الذي عيَّنه لهم جَبُنوا وفرُّوا عن القتال، إلا قليلا منهم ثبتوا بفضل الله. والله عليم بالظالمين الناكثين عهودهم.

وقد اختلف القراء في قراءة هذا الفعل من حيث فتح السين أم كسرها، على النحو الآتي:

(عسى): قرأ السبعة عدا نافعًا: (عَسَيْتم) بفتح السين، وقرأ نافع: (عَسِيتم) بكسرها [(1)].

عسى: فعل جامد، معناه: الإشفاق والطمع، وفيه لغتان، فتح السين، وكسرها، والأولى هي اللغة الفاشية. ويدلّ على قوة واشتداد في الشيء، يقال عسا الشيء يعسو: إذا اشتدّ.

عاس: عسا يعسو، وعسى يعسى[(2)].

وقراءة فتح السين: جاءت على الأصل في الفعل، وهو (فَعَلَ)، مثل: رمى، وسعى، وحمى.

---

(1) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، محمد سالم محيسن، ص72.

(2) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مج4، ج33، مادة (ع س ا)، ص2949.

قراءة كسر السين: وأُحْتُج لها بأنّها جاءت على لغة أهل الحجاز [1].

ومع ما تراه من اتفاق القراءتين دلالة، ومع ثبوت الظاهرة اللهجية في قراءة الكسر، فقد علا صوت الاختيار والترجيح حدًا بلغ ردّ إحداهما؛ فأكثر القوم اختاروا قراءة الفتح، لكونها اللغة المشهورة، وعليها أكثر القراء[2]، فقراءة الجمهور (عسَيتم) بفتح السين هي الأغلب والتي تتناسب مع المعنى الذي تطلبه القصة القرآنية، حين أخبر الله–سبحانه وتعالى– بها سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– فقراءة نافع عسيتم بكسر السين على غير قياس، وقرأه الجمهور بفتح السين وهما لغتان في " عسى " إذا اتصل بها ضمير المتكلم أو المخاطب، وكأنهم قصدوا من كسر السين التخفيف بإماتة سكون الياء.

فعسيتم: فعل ناسخ، والضمير اسمه، وجملة "إن كُتب عليكم" معترضة. وجواب الشرط محذوف دلَّ عليه ما قبله، والمصدر "ألا تقاتلوا" خبر عسى.

(يُصْدِرَ)

في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حتى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾(القصص: 23).

وقد ورد هذا الفعل في سورة القصص في قصة موسى– عليه السلام– والتي مفادها أنّ سيدنا موسى– عليه السلام– لما وصل ماء "مدين" وجد عليه جماعة من الناس يسقون مواشيهم، ووجد من دون تلك الجماعة امرأتين منفردتين عن الناس، تحبسان غنمهما عن الماء؛ لعجزهما وضعفهما عن مزاحمة الرجال، وتنتظران حتى تَصْدُر عنه مواشي الناس، ثم تسقيان ماشيتهما، فلما رآهما موسى –عليه السلام– رقَّ لهما، ثم قال: ما شأنكما؟ قالتا: لا نستطيع مزاحمة الرجال، ولا نسقي حتى يسقي الناس، وأبونا شيخ كبير، لا يستطيع أن يسقي ماشيته؛ لضعفه وكبره.

---

(1) انظر: الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، ج2/ص350. الكشف عن وجوه القراءات السبع، القيسي ج1/ص303. البحر المحيط، أبو حيان، ج2/ص570–571.

(2) الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، ج2/ص350، الكشف عن وجوه القراءات السبع، القيسي، ج1/ص303، البحر المحيط، أبو حيان، ج2/ص570–571.

(يُصْدِر): صَدَرَ يَصْدُرُ صُدُورًا وَصَدَرًا، وَقَدْ أَصْدَرَ غَيْرَهُ وَصَدَرَهُ وَالْأَوَّل أَعْلَى[1].

قرأ الجمهور[2] "يُصدِر" بضم الياء وكسر الدال مضارع أصدر المتعدي بالهمزة. وقرأ ابن عامر وأبو عمرو وأبو جعفر بفتح الياء وضم الدال من صدر يصدر لازمًا، فالمفعول على القراءة الأولى محذوف؛ أي: يرجعون مواشيهم.

ولعل القراءة الراجحة هي قراءة الجمهور يُصدِر" بضم الياء وكسر الدال؛ لأنّ قراءتهم للفعل تتماشى مع سياق القصة القرآنية وما تحمله من دلالات.

فيُصْدِرَ: فعل مضارع أصدر المتعدي بالهمزة منصوب بأن مضمرة بعد حتى، «الرِّعاءُ» فاعل، والمصدر المؤول في محل جر بحتى، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما.

(يَزِفُّوْنَ):

في قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلُوْا إِلَيْهِ يَزِفُّوْنَ﴾(الصافات: 94).

ورد هذا الفعل في سورة الصافات في قصة سيدنا إبراهيم – عليه السلام– حين كسر الأصنام فأقبل قومه إليه يَجْرُون؛ أي: يسرعون المشي، فقالوا له: نحن نعبدها وأنت تكسرها؛ أي: يسرعون ويهرعون؛ أي: يريدون أن يوقعوا به، بعدما بحثوا في أمر تكسير الأصنام وعرفوا أنه هو من كسرها.

---

(1) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مج4، ج28، مادة (ص د ر)، ص2413.

( )2البحر المحيط، أبو حيان، ج7/ص113. الحجة، لابن خالويه، ص276. السبعة، لابن مجاهد، ص492. الكشف عن وجوه القراءات السبع، القيسي، ج2/ص172. التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني، ص463. التبصرة، لابن الجوزي، ص297، تحبير التيسير، لابن الجزري، ص497.

اختلف القراء في قراءة قوله: يَزِفوُنَ: تُقرأ بفتح الياء وكسر الزاي، وتخفيف الفاء من وَزَفَ يَزِفُ إذا أسرع مثل وَزَنَ يَزِنُ، وقرأ حمزة الكوفي[1]: (يُزِفُّوْنَ) بضم الياء، وقرأ جمهور القراء[2]: "يَزِفُّوْنَ". وقرأ عبد الله بن يزيد والضحاك ويحيي بن عبد الرحمن، وابن أبي عبلة [3]:"يَزِفوُنَ" قال أبو حيان، وقرئ: (يُزْفُوْنَ) و(يُزَفُّونَ) مبنيًا للمجهول.

توجيه قراءة التخفيف: وقد اختلف في الفعل على قراءة التخفيف، فذهب قوم إلى أنه مضارع وَزَفَ يَزِفُ وَزْفًا ووَزِيْفًا وهو فعل مشتق: أَسْرَعَ، ووَزَفْتُهُ أَزِفُهُ وَزْفًا: استعجلته، لغة يمانية[4].

ويؤيد ذلك ما ذهب إليه بعضهم من أنَّ قراءة كسر القاف[5] في قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِيْ بُيُوْتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الْأُوْلَى﴾ (الأحزاب: 33) أمر من الوقار [6] على زنة عِلْنَ.

ولعل قراءة الجمهور بفتح الياء وتشديد الفاء هي الصحيحة المعروفة من كلام العرب، والذي عليه قراءة الفصحاء من القرّاء. وهي بمعنى يسرعون، وهي تناسب حالهم حين وجدوا أصنامهم مكسرة فأخذوا مسرعين إلى إبراهيم- عليه السلام- لكي يسألوه إن كان هو من كسرها، كي يعاقبوه وينتقموا لأصنامهم.

---

(1) الوافي في شرح الشاطبية، عبد الفتاح القاضي، ص351. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج2/ص357. تقريب النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ص660، و النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج2/ ص357.

(2) الحجة، لابن خالويه، ص302. الكشف عن وجوه القراءات السبع، القيسي، ج2/ص225. السبعة، لابن مجاهد، ص548.

()3 مختصر في شواذ القرآن، ابن خالويه، ص128. المحتسب، ابن جني، ج2/ ص221. 31. إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ط2، بيروت، 1985م.، ج2/ ص758. البحر المحيط، أبو حيان، ج7/ ص351.

(4) جمهرة اللغة، ابن دريد، ج3/ ص13. لسان العرب، ابن منظور، مج1، ج9/ ص355. قرأ بفتح القاف نافع وعاصم وأبو جعفر، وقرأ بكسر القاف بقية العشرة. انظر: النشر في القراءات العشر المتواتر، ابن الجزري، ج2/ ص357.

(5) انظر: الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، ص290. الكشف عن وجوه القراءات السبع، القيسي، ج2/ص197. إعراب القرآن، النحاس، ج2/ ص634.

(6) وذلك بفتح القاف من قر بالمكان.

ويَزِفُّوْن: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل.

(يَعْرِشُونَ):

في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (النحل: 68).

ورد هذا الفعل في سورة الأحزاب، في قصة النحل حين قال سبحانه وتعالى للنبي- صلى الله عليه وسلم-، وأَلْهَمَ ربك -أيّها النبي- النحل بأن اجعلي لك بيوتًا في الجبال، وفي الشجر، وفيما يبني النّاس من البيوت والسُّقُف.

اختلف القراء في قراءة الفعل يعرشون على النحو الآتي:

قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم يعرشون بضم الراء. قال الكسائي: هي لغة تميم. وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة يُعرّشون بتشديد الراء وضم حرف المضارعة. وقرأ الباقون بكسر الراء مخففة[1]؛ أي: ما كانوا يعرشونه من الجنات، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ﴾ (الأنعام: 141)، وقيل: معنى يعرشون يبنون، يقال: عرش يعرش؛ أي: بنى يبني. بنَى الشيءَ. بَنْيًا. وبِناءً، وبُنْيَانًا: أَقامَ جِدارَه ونحوه. يُقال: بَنَى السفينة، وبَنى الخباء[2].

عَرَشَ: عَرَشَ عَرْشًا: إذا بنى بناءً من خشب، ويقال: عَرش البئرَ: إذا طوى أسفلَها بالحجارة، ثم طوى سائرها بالخشب[3].

ولعل قراءة الكسر يعرِشون هي الأنسب للمعنى واللفظ بحيث الأصل الثلاثي: عَرَشَ يَعرِش عَرْشًا، والفعل يعرِش عينه مكسورة على وزن يفعِل، فكان المعنى متفق مع اللفظ؛ أي: أنّ ربك – أيّها النّبي- أَلْهَمَ النحل بأن تتخذ لها بيوتًا في الجبال، وفي الشجر، وفيما يبني النّاس من البيوت والسُّقُف.

---

(1) الحجة، لابن خالويه، ص162. البحر المحيط، أبو حيان، ج4/ص377. الكشف عن وجوه القراءات السبع، ج1/ص475. السبعة، لابن مجاهد، ص292.

()2 لسان العرب، مج1، ج5/ص365. مادة (ب ن ى)

(3) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري، ج7/ص4489.

يَعْرِشُون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل.

(يَصِدُّوْنَ):

في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّوْنَ﴾ (الزخرف: 57).

وقد ورد هذا الفعل في سورة الزخرف، في قصة سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- مع المشركين لما ضرب المشركون عيسى ابن مريم- عليهما السلام- مثلًا حين خاصموا محمدًا - صلى الله عليه وسلم-، وحاجُّوه بعبادة النصارى إياه، إذا قومك من ذلك ولأجله يرتفع لهم جَلَبة وضجيج فرحًا وسرورًا، وذلك عندما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ (الأنبياء: 98)، وقال المشركون: رضينا أن تكون آلهتنا بمنزلة عيسى- عليه السلام-، فالذي يُلْقى في النّار من آلهة المشركين من رضي بعبادتهم إياه.

يصدون؛ أي: يضحكون، ففي قوله: يصدون وجهان متواتران[1].

1) (يَصُدُّوْنَ): قرأ نافع وابن عامر والكسائي وأبو جعفر وخلف.
2) (يَصِدّوْنَ): وقرأ الباقون (يصِدّون) بكسر الصاد.

وإن كان متعديًا وجب ضم عينه في المضارع، نحو: عَبَّ الطائرُ الماءَ يَعُبُّهُ، وقَتَّ الحَدِيْثُ يقَتُّهُ أي نقله على سبيل الإفساد.

الصَّدّ: الإِعْراضُ والصُّدُوف. صَدِّ عنه يَصِدُّ ويَصُدُّ صَدًّا وصُدُودًا: أَعرض[2].

ولعل الراجح قراءة (يصِدّون) بكسر الصاد؛ أي: يضجون؛ لأنّه بمعنى الضجيج بصحبة منه للفعل ولو كان بمعنى الصدود كان الأفصح أن يصحب الفعل عنه لا منه؛ لأنَّ المستعمل من الكلام صد عنه لا صد منه، فلمّا كان الكلام (منه يصدون) دلّ على أنّه عن الصدود بمعزل وأنه بمعنى الضجيج، ولو كان من الصدود لكانت إذا قومك عنه يصدون أو منه يصدون عنك، وهما لغتان لا تختلفان في المعنى والعرب تقول يصُد عني ويصِد عني مثل يشُد ويشِد.

---

(1) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج2/ ص369.

(2) لسان العرب، ابن منظور، مج4، ج27/ ص2409.

ويَصُدُّوْنَ: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون؛ والواو فاعل.

(يبشرك):

في قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران: 39).

ورد هذا الفعل في سورة آل عمران، في قصة سيدنا زكريا –عليه السلام– لما دعا ربّه، وسأل الذرية الطيبة، فاستجاب الله دعاءه، فنادته الملائكة وهو واقف بين يدي الله في مكان صلاته يدعوه: إنّ الله يخبرك بخبر يسرُّك، وهو أنّك سترزق بولد اسمه يحيى، يُصَدِّق بكلمة من الله –وهو عيسى ابن مريم– عليه السلام–، ويكون يحيى سيدًا في قومه، له المكانة والمنزلة العالية، وحصورًا لا يأتي الذنوب والشهوات الضارة، ويكون نبيًّا من الصالحين الذين بلغوا في الصَّلاح ذروته.

واختلف القراء في قراءة يُبَشِّرُكَ [1] فقرأ أهل المدينة يبشّرك بالتشديد. وقرأ حمزة بالتخفيف، والقراءة الأولى وردت كثيرًا في القرآن، ومنه "فبشر عباد" "فبشره بمغفرة" "فبشرناها بإسحاق" "قالوا بشّرناك بالحق" وهي قراءة الجمهور بالتشديد، والثانية لغة أهل تهامة، وبها قرأ أيضًا عبد الله بن مسعود. وهما لُغتان: بَشَرْتُ، وبَشَّرْتُ غير أنّ (بشَّرتُ) أبلغ وأكثر [2].

والقراءتان تؤديان نفس المعنى، ف(يبشْرك) معناه: يسرك ويفرحك. إلّا أنّ قراءة الجمهور أبلغ وهي من البشارة، يقال بشّرته بشارةً بتشديد الشين وتوحي بقرب البشارة منه، وكذلك توحي بعظمة البشارة ومكانة الموهوب، وبالتأكيد عليها وهذا ما يناسب معنى القصة القرآنية، أمّا التخفيف فيوحي بالتراخي وبعد البشارة وهذا لا يناسب معنى القصة القرآنية.

ويبشّرك: مضارع مرفوع، والكاف ضمير في محلّ نصب مفعول به "تلقف"

()1 الحجة، لابن خالويه، ص108–109. السبعة، لابن مجاهد، ص205. تفسير الطبري، ج6/ص368. النشر، لابن الجزري، ج2/ص239.

(2) إعراب القراءات السبع وعللها، لابن خالويه، ج1/ص113.

(تَلْقَفُ):

في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (الأعراف: 117).

ورد هذا الفعل في سورة الأعراف، في قصة سيدنا موسى- عليه السلام- مع فرعون حين أوحى الله سبحانه وتعالى إلى عبده ورسوله موسى -عليه السلام- عندما جاء السحرة بما جاءوا به من السحر في ذلك الموقف العظيم الذي فرَّق الله فيه بين الحق والباطل، وأمره بأن يُلقي ما في يمينه وهي عصاه، فألقاها "فإذا هي"؛ أي: العصا "تلقف ما يأفكون". تبلع ما يلقونه، ويوهمون النّاس أنّه حق وهو باطل.

وقد اختلف القراء في قراءة "تلقف" فقرأ حفص بإسكان اللام وتخفيف القاف من لقف يلقف يلتقم الشيء ويلتهمه، وذلك أن موسى- عليه السلام- لما عاين السحرة وكيدهم وما قد اختلقوه فألقى عصاه فإذا هي حية تبتلع ما صنعوه. وقرأ الباقون بفتح اللام وتشديد القاف من تلقف يتلقف، يقال: لقفت الشيء وتلقفته: إذا أخذته أو بلغته(1).

فلعل قراءة حفص عن عاصم: (تلْقف) بسكون اللام وتخفيف القاف هي الأنسب للمعنى الذي تطلبه القصة القرآنية من تحول العصا، فإذا هي حية تبتلع وتلقف وتلتهم ما صنعوه بسرعة ودون ترك أي أثر له، لكن تَلَقف بفتح اللام توحي بالبطء والتراخي كأنّها تقترب منه رويدًا رويدًا ثم تبدأ ببلعه وأخذه تدريجيًا وهذا ينافي معنى القصة.

وتلقف: فعل مضارع فاعله ضمير مستتر تقديره هي.

(يُسْحِتَكُمْ):

في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾(طه: 61).

---

(1) الحجة، لابن خالويه، ص161. السبعة، لابن مجاهد، ص290. تفسير الطبري، ج7/ص259. النشر، لابن الجزري، ج2/ص371، الكشف، للقيسي، ج1/ص173، التيسير، للداني، ص112.

ورد هذا الفعل في سورة طه، في قصة سيدنا موسى- عليه السلام- حين قال لسحرة فرعون يعظهم: احذروا، لا تختلقوا على الله الكذب، ولا تتصروا ما أنتم عليه من الباطل بسحركم وتغالبون الحق، وتفترون على الله الكذب، فيستأصلكم بعذاب من عنده، ويخيب سعيكم وافتراؤكم، فلا تدركون ما تطلبون من النصر والجاه عند فرعون وملائه، ولا تسلمون من عذاب الله، وكلام الحق لا بُدَّ أن يؤثر في القلوب.

فقد اختلف القراء في قراءة يُسْحِتَكُمْ: السحت الاستئصال، يقال سحت وأسحت بمعنى، وأصله استقصاء الشعر.

فقرأ الكوفيون في رواية حفص وحمزة والكسائي[1]: فيُسحِتكم بضم الياء من أسحت، وكسر الحاء. والوجه أنّه من أسحته يسحته إسحاتًا "فيُسحتكم" بضم حرف المضارعة والوجه أنّه من أسحته يسحته إسحاتًا، وهي لغة بني تميم، وقرأ الباقون ابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبي بكر وأبو عمرو وابن عامر بفتحه من سحت، وهي لغة الحجاز وانتصابه على أنّه جواب للنهي "(فيَسحتكم) بفتح الياء من يسحت. والوجه أنه من سحته يسحته سحتًا إذا استأصله، مثل أسحته، وسحت أكثر اشتهارًا من أسحت[2].

قال أبو جعفر[3]: والقول في ذلك عندنا أنّهما قراءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، غير أنَّ الفتح فيها أعجب إلي لأنّها لغة أهل العالية، وهي أفصح والأخرى وهي الضم في نجد.

ولعل الراجح قراءة الجمهور (فيَسحتكم) بفتح الياء؛ لأنّها تتناسب مع معنى القصة القرآنية فالله سبحانه وتعالى سيسحتهم ويستأصلهم ويخفيهم عن الوجود، وذلك بعد الصبر عليهم لعلهم يرجعوا عما يفترون، وأنّه يعطيهم فرصة للتوبة، أما فيُسحتكم" بضم حرف المضارعة فهو عذاب واقع بهم لا محالة دون إنذار ودون إعطاء فرصة للتوبة والعودة إلى الله.

---

(1) الحجة، لابن خالويه، ج5/ص228.]

(2) الموضح، للكبيسي، ص835-836.

(3) تفسير الطبري، ج18/ص326. الحجة، لابن خالويه، ص242. السبعة، لابن مجاهد، ص419. الكشف، للقيسي، ج2/ص98. التيسير، للداني، ص151. إعراب القراءات السبع وعللها، لابن خالويه، ج2/ص34.

وفَيُسْحِتَكُمْ: الفاء فاء السببية ومضارع منصوب بأن المضمرة بعد فاء السببية والفاعل مستتر والكاف مفعول به.

(وَضَعْتُهَا): في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (آل عمران: 36-37).

ورد هذا الفعل في سورة آل عمران، في قصة أم مريم حين وضعت مريم- عليها السلام- لما تمَّ حملها مولودها قالت: ربِّ إني وضعتها أنثى لا تصلح للخدمة في (بيت المقدس) -والله أعلم بما وضَعَتْ، وسوف يجعل الله لها شأنًا- وقالت: وليس الذكر الذي أردت للخدمة كالأنثى في ذلك؛ لأنّ الذكر أقوى على الخدمة وأقْوَم بها، وإنّي سمَّيتها مريم، وإنّي حصَّنتها بك هي وذريَّتها من الشيطان المطرود من رحمتك.

فقد اختلف القراء في قراءة وضعتها: فقرأ أبو بكر وابن عامر عن عاصم[1] بضم التاء فيكون من جملة كلامها ويكون متصلًا بما قبله، وفيه معنى التسليم لله والخضوع والتنزيه له أن يخفى عليه شيء. وقرأ الجمهور وضعت بتسكين التاء، وقرأ ابن عباس بما وضعت بكسر التاء على أنّه خطاب من الله سبحانه لها؛ أي: إنّك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله فيه من الأمور التي تتقاصر عنها الأفهام وتتضافر عندها العقول.

ولعل الجمهور اختار قراءة وضعتْ بتسكين التاء، وهي تتناسب مع معنى القصة القرآنية، فالتسكين فيه تأدب مع الله والتذلل إليه والتحسر والتحزن، ليس سخطًا بقضائه إنّما رضاء بقضائه، فهي تعلم علم اليقين أنّ الله سبحانه وتعالى يعلم بما وضعت، فأحسن الله لها ولابنتها.

فيكون من كلام الله سبحانه على جهة التعظيم لما وضعته والتفخيم لشأنه والتجليل لها حيث وقع منها، مع أنّ هذه الأنثى التي وضعتها سيجعلها الله وابنها آية للعالمين وعبرة للمعتبرين، ويختصها بما لم يختص به أحدًا.

---

(1) الحجة، لابن خالويه، ج2/ ص268. معاني القراءات، للأزهري، 251/1. الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، ج3/ص31.

وَضَعَتْها: فعل ماض، والتاء للتأنيث، والهاء ضمير متصل مفعول به، والفاعل ضمير مستتر تقديره هي.

(كَفَّلَهَا):

في قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران: 37)؛ أي: ضمها إليه. وقال أبو عبيدة ضمن القيام بها.

(كفلها)(1) اختلفوا في تشديد الفاء وتخفيفها، فقرأ الكوفيون "وكفّلها" بالتشديد؛ أي: جعله الله كافلًا لها وملتزمًا بمصالحها، وقرأ الباقون بالتخفيف على إسناد الفعل إلى زكريا- عليه السلام- ، ومعناه ما تقدم من كونه ضمها إليه وضمن القيام بها. وروى عمرو بن موسى عن عبد الله بن كثير وأبي عبد الله المزني وكفِلها بكسر الفاء. قال الأخفش: لم أسمع كفل. وقرأ مجاهد كفِّلْها بتشديد الفاء المكسورة وإسكان اللام ونصب زكريا- عليه السلام- مع المد. وقرأ حفص وحمزة والكسائي و زكريا- عليه السلام- بغير مد، ومده الباقون.

فمن شدد عدى بالتشديد الفعل إلى مفعولين: مفعوله الأول: الهاء والألف المتصلتان بالفعل. ومفعوله الثاني: زكريا- عليه السلام- والفاعل مستتر تقديره الله. ومن خفف فقد جعل الفعل لزكريا – عليه السلام–فرفعه بالحديث عنه، وجعل ما اتصل بالفعل من الكناية مفعولًا له؛ أي: أنّ الله قبل مريم من أمها فاستجاب الله دعاءها وقبل منها نَذْرها أحسن قَبول، وتولّى ابنتها مريم بالرعاية فأنبتها نباتًا حسنًا، ويسَّر الله لها زكريا –عليه السلام- كافلًا فأسكنها في مكان عبادته، وكان كلَّما دخل عليها هذا المكان وجد عندها رزقًا هنيئًا معدًّا قال: يا مريم من أين لكِ هذا الرزق الطيب؟ قالت: هو رزق من عند الله. إنّ الله –بفضله- يرزق مَن يشاء مِن خلقه بغير حساب.

وَكَفَّلَها زَكَرِيًّا: فعل ماضٍ، والهاء مفعوله الأول، وزكريا مفعوله الثاني، والفاعل مستتر تقديره الله.

(1) تفسير الطبري، ج6/ص347. الحجة في القراءات السبعة، ابن خالويه، ص108. السبعة، لابن مجاهد، ص205. الكشف، للقيسي، ج1/ص341. التيسير، للداني، ص87.

المبحث الثاني: الأفعال المزيدة

وبعدما عرضت للمسائل الصرفية الواردة في الأفعال المجردة، نبين في هذا المبحث اختلاف القراء في قراءة الأفعال المزيدة، والتي غالبًا ما تكون بسبب اختلاف اللهجات.

الزيادة اصطلاحًا:

هي دخول حرف على أصل الكلمة لمعان مختلفة:

فالحرف الأصلي هو الذي يلزم جميع التصاريف، والزائد هو الذي لا يلزم جميع التصاريف، بل يسقط في بعضها[1]، نحو قولك: (وعد، يعد)، ففاء الكلمة حذفت في المضارع لأنه مكسور العين في المضارع، وفي قولك: (قال) فالأمر منه (قُل)، حذفت العين وضمت الفاء للدلالة على الحرف المحذوف فهذه السقطات مقدرة، وذلك لوجود العلة التصريفية.

وقد قسّم الصرفيون الزيادة إلى نوعين: زيادة للإلحاق، وزيادة لغير الإلحاق، والنوع الثاني له ضربان: الضرب الأول: زيادة بالتضعيف أو بتكرير حرف أصلي، والضرب الثاني: زيادة بحرف من حروف سألْتمونِيها. على أن تكون هذه الزيادة غير مطردة في إفادة المعنى، وإنّما ليصبح التركيب بتلك الزيادة، مثل: كلمة أخرى في حركاتها وسكناتها.

ويقول العكبري: "ويعرف الزائد من الأصلي بثلاثة أشياء هي: الاشتقاق وهو أثبتها، وعدم النظير في الأصول، وكثرة زيادة الحرف"[2].

فالزيادة قد وضعت لأغراض كثيرة ومهمة ومن أهمها زيادة المعنى، فعندما يزاد حرف على حروف الكلمة الأصلية تدل الصيغة الجديدة على معنى زائد على المعنى الأصلي، مثلًا في قولك: (ضرب) فيفيد الضرب في زمن مضى، أمّا (ضارب) فيفيد معنى جديدًا هو الفاعل للضرب، وهكذا تدلُّ الصيغ الصرفية على معانٍ، نحو: (أنْفعل) التي تدل على المطاوعة، (اسْتفعل) التي

---

(1) ضياء السالك إلى أوضح المسالك، محمد عبد العزيز النجار، من الهامش، ص328.

(2) اللباب في علل البناء والأعراب، لأبي البقاء العكبري، ج2/ ص224.

تدل على الطلب، وغير ذلك من المعاني التي تأتي بزيادة الحروف على الصيغ الأصلية. كما يرى السيوطي أن الزيادة التي للإلحاق تكون على نوعين: زيادة بالتكرير، وزيادة بالحرف(1).

ويرى علماء العربية أنَّ الفعل لا يقل عن ثلاثة أحرف أصلية؛ أي: إذا سقط منه حرف واحد في صيغة الماضي فلا يكون للفعل أي معنى، فالفعل الذي يتكون منه أحرفه أصلية فقط يسمى مجردًا.

أثر أحرف الزيادة على المعنى:

- **القسم الأول: معاني مزيد الثلاثي ودلالاته:**

كما عرفنا أنّ الفعل الثلاثي من حيث الزيادة ينقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

مزيد بحرف، ومزيد بحرفين، ومزيد بثلاثة أحرف، ولكل قسم من هذه الأقسام معانيه ودلالاته.

أولًا- معاني مزيد الثلاثي المزيد بحرف واحد ودلالاته:

معاني صيغة أفعل ودلالاتها:

تأتي هذه الصيغة لمعانٍ وأغراض كثيرة، وبلغ عددها عند أبي حيان الأندلسي عشرين ونيفًا، ومنها (2):

وقد وردت صيغة أفعل التي تدل على التعدية في آيات القصص القرآني، كما يلي:

والتعدية هي: أن تضمن الفعل معنى التصيير، فيصبح الاسم الذي كان فاعلاً- مفعولًا، أو تحويل الفعل اللازم إلى متعدٍ لينصب المفعول به.

---

(1) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، ج2/ص36.

(2) البحر المحيط، أبو حيان، ج1/ص26.

يرى بعض العلماء أنَّ تعدية الفعل بالهمزة يرجع إلى اختلاف اللهجات، فقال سيبويه:[(1)] وتقول: فَتن الرجل؛ أي: صار مفتنًا، وفتنته؛ أي: أدخلت فيه الفتنة وحزن وحزنته، يرى ابن الحاجب: "أنه قد يجيء الثلاثي متعديًا ولازمًا في معنى واحد، نحو: فتن الرجل؛ أي: صار مْفَتَنًا، وَفَتَنْته؛ أي: أدخلت فيه الفتنة[(2)] وحزن وحزنته؛ أي: أدخلت فيه الحزن؛ أي: جعلته حزينًا.

(أَزَلَّ): في قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ (البقرة: 36).

ورد هذا الفعل في سورة البقرة، في قصة آدم وحواء– عليهما السلام – حين أوقعهما الشيطان في الخطيئة: بأنْ وسوس لهما حتى أكلا من الشجرة، فتسبب في إخراجهما من الجنة ونعيمها. وقال الله لهم: اهبطوا إلى الأرض، يعادي بعضكم بعضًا –أي آدم وحواء والشيطان– ولكم في الأرض استقرار وإقامة، وانتفاع بما فيها إلى وقت انتهاء آجالكم.

أزلَّ: والزَلة هي الخطيئة قيل: فأزّلهما عن الجّنة بمعنى أذهبهما عنها، وأبعدهما كما تقول: زلّ عن مرتبته، وزلّ عن ذاك: إذا ذهب عنك، وزلّ من الشهر كذا[(3)].

زلل: وزَلَّ في الطين زَلاًّ وزَلِيلاً وزُلُولاً؛ وزَلَّت قَدَمُه زَلاًّ وزَلَّ في مَنْطِقِه زَلَّةً وزَلَلاً. إذا زَلَّت قَدَمُه قيل زَلَّ، وإِذا زَلَّ في مَقالٍ أَو نحوه قيل زَلَّ زَلَّة، وفي الخَطيئة ونحوها([4]).

أخرج: من خرج يخرج خروجًا ومخرجًا، والمخرج هو مصدر أخرج([5]).

وزيدت الهمزة في الفعلين أزلّ وأخرج لإفادة لتعدية.

الفعل أزل من زلل، وهذا الفعل لازم انتقل بدخول الهمزة عليه إلى التعدي، فأصبح متعديًا إلى مفعول وهو الضمير المتصل المقدم (هما) والفاعل الشيطان.

---

(1) الكتاب، لسيبويه، ج4/ص56.

(2) شرح الرضي على الشافية، ج1/ص87.

(3) الكشاف، للزمخشري، ج1/ص274.

4) لسان العرب، ابن منظور، مج3، ج21/ ص1855.

5) لسان العرب، ابن منظور، مج2، باب الخاء، ص1125.

وكذلك الفعل أخرج: من خرج، وهذا الفعل لازم انتقل بدخول الهمزة عليه إلى التعدي، فأصبح متعديًا إلى مفعول، وهو الضمير المتصل المقدم (هما)، والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على الشيطان. ولعل تعدية الفعلين بالهمزة يتساوق مع سياق القصة القرآنية التي يفهم منها تكرار محاولات الشيطان في إغواء الإنسان، وإبعاده عن عبادة ربه، وامتثاله لأوامره، كما هو واضح في قصة أبينا آدم– عليه السلام–، وكما يفيد تتابع الفعلين وصول الشيطان إلى مبتغاه عندما أخرجهما مما كانا فيه.

(أَجَاءَ): في قوله تعالى: ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾ (مريم: 23).

ورد هذا الفعل في سورة مريم، في قصة مريم– عليها السلام– حين جاءها ألم

ألجأها –طَلْقُ الحمل– إلى جذع النخلة فقالت: يا ليتني متُّ قبل هذا اليوم، وكنت شيئًا لا يُعْرَف، ولا يُذْكَر، ولا يُدْرَى مَن أنا، من شدة ألم الطلق والمخاض.

أجاء[1]: من جاء يجيء جيئًا ومجيئا، إذا أتى، وهنا بمعنى ألجأها. وقال الزمخشري: إلّا أنّ استعماله قد تغير بعد النقل إلى معنى الإلجاء، ألا تراك لا تقول: جئت المكان وأجاءنيه زيد، كما تقول: بلغته وأبلغنيه[2]، والهمزة فيه للتعدية.

فالفعل جاء فعل لازم، وحين دخلت عليه الهمزة أصبح فعلًا متعديًا للمفعول، وهو الضمير المتصل (الهاء) والفاعل المخاض، والتعدية هنا أفادت الإلجاء، ومعنى المفاجأة التي تتناسب مع زيادة الهمزة، في أنّ المخاض قد جاءها دون علم منها فجأة.

(أَوْرَثَ):

في قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ (الأحزاب: 27).

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مج1، ج9، مادة (ج ي أ)، ص735.

(2) الكشاف، للزمخشري، ص2/ص506. انظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، ج3/ص97.

ورد هذا الفعل في سورة الأحزاب، في قصة أحزاب الكفر. ردَّ الله أحزاب الكفر عن "المدينة" خائبين خاسرين مغتاظين، لم ينالوا خيرًا في الدنيا ولا في الآخرة، وكفى الله المؤمنين القتال بما أيدهم به من الأسباب. وكان الله قويًا لا يُغالَب ولا يُقْهَر، عزيزًا في ملكه وسلطانه. وملَّككم الله – أيها المؤمنون– أرضهم ومساكنهم وأموالهم المنقولة كالحليّ والسلاح والمواشي، وغير المنقولة كالمزارع والبيوت والحصون المنيعة، وأورثكم أرضًا لم تتمكنوا مِن وطئها من قبل؛ لمنعتها وعزتها عند أهلها، جزاءً لكم؛ لأنكم آمنتم به وأخلصتم الإيمان له– عز وجل–، وكان الله على كل شيء قديرًا، لا يعجزه شيء.

أَوْرَثَ: تعدى بالهمزة لاثنين، وتقول: أورثته الشيء إذا ملكته إياه(1).

الفعل ورث فعل متعدٍ لمفعول واحد، وحين دخلت عليه الهمزة أصبح فعلًا متعديًا لمفعولين، المفعول الأول الضمير المتصل الكاف، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو (الله) (أَرْضَهُمْ) مفعول به ثانٍ، والجملة معطوفة على ما قبلها. وعدي الفعل هنا بالهمزة تماشيًا مع معنى القصة القرآنية. والذي أفادته همزة التعدية بيان قدرة الله– سبحانه وتعالى– التي أعطتهم ما لم يكن لهم، ولم يكن في مقدورهم الحصول عليه، وهذا واضح في معنى التعدية من المفعول الواحد الذي أفاد الملكية إلى المفعولين، الذي نقل الملكية إلى غيرهم.

(أَوْفِ):

في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾(يوسف: 88)؛ أي: أتمه لنا ولا تنقصه لرداءة بضاعتنا(2).

ورد هذا الفعل في سورة يوسف، في قصة يوسف مع أخوته، حين ذهب أخوة يوسف– عليه السلام– إلى (مصر)، فلما دخلوا على يوسف قالوا: يا أيها العزيز أصابنا وأهلنا القحط والجدب، وجئناك بثمن رديء قليل، فأعطنا به ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد، وتصدَّقْ علينا بقبض هذه الدراهم المزجاة وتجوَّز فيها، إنّ الله تعالى يثيب المتفضِّلين على أهل الحاجة بأموالهم.

()1 لسان العرب، ابن منظور، مج6، ج54/ ص4809.

(2) زاد المسير في علم التفسير، للرازي، ج4/ص208.

أوفِ: الوفاء ضد الغدر، من وفي وفاء([1])، الفعل أوفِ فعل أمر، وماضيه أوفى، وعند انتقاله إلى الأمر حدث فيه إعلال، أصله أوفي بياء في آخره، فحذفت الياء لمناسبة البناء، وزيادة الهمزة هنا للتعدية ويحتمل أن يكون للتكثير، كأنه قيل: أبالغ في إيفائكم.

مع أن الفعل الثلاثي (وفى يفي)، والأمر منه(فِ/فِهْ) فعلٌ لازمٌ، إلّا أنّه بزيادة الهمزة عليه أصبح متعديًا للمفعول به الكيل، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت. والزيادة هنا أفادت الطلب بالأمر للدلالة على التكثير والمبالغة.

السلب والإزالة:[2]

معنى ذلك أن يزيل الفاعل عن المفعول به أصل الفعل، نحو: أشكيْتُه؛ أي: أزلت شكواه، وأعجمتُ الكتاب؛ أي: أزلت عجمته بالنقط، ونحوه. وقد يكون لسْلب الفعل عن الفاعل إذا كان لازمًا، نحو: أقسط محمد؛ أي: زال عنه القسط وهو الجور. ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني، ما يلي:

(أُخْفِي):

في قوله تعالى: ﴿إِ نَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾(طه: 15).

ورد هذا الفعل في سورة طه في قصة موسى- عليه السلام- حين خاطب الله- سبحانه وتعالى- موسى في هذه الآيات، أن يا موسى إنّي اخترتك لرسالتي، فاستمع لما يوحى إليك مني إنني أنا الله لا معبود بحق إلّا أنا، لا شريك لي، فاعبدني وحدي، وأقم الصلاة لتذكرني فيها. إنّ الساعة التي يُبعث فيها الناس آتية لا بد من وقوعها، أكاد أخفيها من نفسي، فكيف يعلمها أحد من المخلوقين؛ لكي تُجزى كل نفس بما عملت في الدنيا من خير أو شر.

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مج6، ج54/ ص4884.

(2) دروس التصريف، محمد محيي الدين عبد الحميد، ص72.

الهمزة هنا تفيد السلب والإزالة،[1]؛ أي: أزيل خفاءها؛ أي: أظهرها، وخفيت الشيء أخفيه: كتمته، والفعل اللازم اختفى[2].

الفعل اختفى فعل لازم، ولكن بعد دخول همزة التعدية أصبح متعديًا لمفعول وهو الضمير المتصل (ها) والفاعل ضمير مستتر تقديره هو(الله). وقد استعمل القرآن هذا الفعل للتعدية ليتناسب مع المعنى الذي تتطلبه آيات القصة ولبيان قدرة وعظمة الخالق- سبحانه وتعالى- وتفرده وحده في معرفة الأمور الغيبية، وسلب هذه المعرفة عن المخلوقات كافة.

(آذَنَ):

في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ (الأعراف: 123).

ورد هذا الفعل في سورة الأعراف، في قصة إسلام سحرة فرعون بإله موسى -عليه السلام- فقال فرعون للسحرة: آمنتم بالله قبل أن آذن لكم بالإيمان به؟ إنّ إيمانكم بالله وتصديقكم لموسى- عليه السلام- وإقراركم بنبوته لحيلة احتلتموها أنتم وموسى؛ لتخرجوا أهل مدينتكم منها، وتكونوا المستأثرين بخيراتها، فسوف تعلمون -أيها السحرة- ما يحلُّ بكم من العذاب والنكال.

أذن: أَذِنَ بالشيء إذْنًا وأَذَنًا وأَذانةً: عَلِم. وآذَنَه الأَمرَ وآذَنه به: أَعْلَمَه، ويقال: قد آذَنْتُه بكذا وكذا، أُوذِنُه إيذانًا وإِذْنًا إذا أَعْلَمْته[3].

فآذن الفعل الثلاثي منها أذن فعل لازم وعندما دخلت عليه الهمزة أأذن التقت همزتان الأولى مفتوحة والثانية ساكنة فمدت وصارت آذن مثل أمن آمن، والزيادة هنا للتعدية وأفادت السلب والإزالة عن فرعون بأن يأذن لهم وإذا لم يفهم أداؤها اختل الفهم للمعنى.

زيادة الهمزة هنا يفيد السلب والإزالة؛ أي: سلب وإزالة أمر فرعون للسحرة بالسماح لهم بالإيمان بإله موسى- عليه السلام- وإتباعه، فيتبين لنا للوهلة الأولى أنّ فرعون راضٍ أو سيسمح للسحرة بإتباع موسى- عليه السلام-، وهذا لا يتناسب مع صفات فرعون، ولا مع معنى آيات

---

(1) دروس التصريف، محمد محي الدين عبد الحميد، ص72.
(2) لسان العرب، ابن منظور، مج2، ج14/ ص1216.
(3) المرجع السابق، مج1، ج2/ ص51.

القصة القرآنية؛ أي قبل أن أسمح لكم بالانصراف حيث شئتم، فإعلان إيمانهم بوجه فرعون وأمام قومه كان شديدًا عليه، ولو أسرَّوه أو فعلوه بعيدًا عنه وعنهم لكان ذلك أهون عليه. أما أن تفهم (آذن) بمعنى أن أسمح لكم بالإيمان به، فهذا فهم عجيب، لأنّ الإيمان بموسى كفر به، فكيف يأمر بذلك لكن هي همزة السلب والإزالة.

ثانيًا- معاني صيغة فعّل مزيد بتضعيف العين ودلالاتها:

أكثر معاني فعّل واستعمالاتها في الدلالة على التكثير، فيكون التكثير، إما في الحدث، نحو: جوّلت وطوّفت؛ أي: أكثرت التجوال والطواف، وإما في الفاعل، نحو: موّتت الإبل؛ أي: كثر الميّت منها، وإما في المفعول، نحو: قوله تعالى: ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوابَ وَقالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ (يوسف: 23)؛ أي: أغلقت أبوابًا كثيرة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (يوسف: 32).

وحاول ابن جني[1] أن يربط بين صيغة الفعل ودلالته على التكثير فقال: إنَّ العرب جعلوا تكرير العين في الفعل، وذلك أنّهم لما جعلوا الألفاظ دالة على المعاني، فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابله قوة الفعل، والعين أقوى من الفاء واللام. ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني، ما يلي:

(فَجَّرْنَا):

في قوله تعالى: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ (الكهف: 33).

ورد هذا الفعل في سورة الكهف، في قصة أصحاب الجنتين، فكان لكل واحد منهما حديقة وأثمرت كل واحدة من الحديقتين ثمرها، ولم تُنْقِص منه شيئًا، وشققنا بينهما نهرًا لسقيهما بسهولة ويسر وعلى الدوام.

(1) الخصائص، لابن جني، ج2/ص155.

فقد اختلف القراء في قراءة فَجَّرْنَا: قرأ الجمهور فجّر بالتضعيف مع أنّ النهر واحد، وقال الفراء: ذلك لأنّ النهر يمتد حتى صار التفجُّر كأنه فيه، فالتخفيف على الأصل، والتشديد للمبالغة، والتخفيف والتشديد فيه جائزان[1] والمعنى واحد.

فَجَّرْنَا: وَالْفَجْرُ: تَفْجِيرُكَ الماء، وَالْمَفْجَرُ: الموضع يَنْفَجِرُ منه. وَانْفَجَرَ الماء والدم ونحوهما من السيال وَتَفَجَّرَ: انبعث سائلًا. وَفَجَرَهُ هو يَفْجُرُهُ، بالضم، فَجْرًا فَانْفَجَرَ؛ أي: بجسه فانبجس. وَفَجَّرَهُ: شدد للكثرة[2].

ولعل الراجح الذي يرجح قراءة الجمهور؛ قراءة الفعل بالتضعيف، مع أنّ المعنى واحد بالتخفيف والتشديد، إلّا أنّ قراءة التشديد تتناسب مع سياق القصة القرآنية، وبما يحمله التشديد من معنى المبالغة والتكثير، والقوة وبيان عظمة الخالق وعطائه غير المردود، والتشديد يناسب حرف الجيم في القوة والشدة، وهذا يتناسب مع معنى آيات القصة القرآنية.

فَجَّرْنا: فعل ماضٍ، وفاعله.

(وَصَّىٰ):

في قوله تعالى: ﴿وَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ (البقرة: 132)؛ أي: وصى بالملَّة، وهي ملَّة إبراهيم عليه السلام، وقيل: بالكلمة التي هي في قوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: 131).

ورد هذا الفعل في سورة البقرة، في قصة حثَّ إبراهيمُ ويعقوبُ أبناءهما على الثبات على الإسلام قائلَيْن: يا أبناءنا إنّ الله اختار لكم هذا الدين- وهو دين الإسلام الذي جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم- فلا تفارقوه أيام حياتكم، ولا يأتكم الموت إلّا وأنتم عليه.

إنَّ قراءة التشديد تتناسب مع سياق القصة القرآنية وبما يحمله التضعيف من معنى التكثير والاهتمام والحفاظ والالتزام والتمسك بالدين الإسلامي الحنيف وتطبيق أحكامه وتعاليمه ونشره للنّاس كافة.

---

(1) معاني القرآن، للفراء، ج2/ص144.

()2 لسان العرب، ابن منظور، مج5، ج38/ ص3351.

فقد اختلف القراء في قراءة (أوصى): قرأ أهل المدينة والشام بالألف، وكذلك هو في مصاحفهم، وقرأ الباقون: (ووصّى) مشددًا، وهما لغتان مثل (أنزل) و(نَزَّل)[1].

وصى: جاء في اللسان: وصى بين الوصاية، والوصية: ما أوصيت به، وسميت وصية لاتصالها بأمر الميت[2]. الفعل وصى فيه إعلال، أصله وصي بالياء، لأنّ المجرد منه وصي، فلما جاءت الياء متحركة بعد فتح قلبت ألفًا، والتضعيف هنا يفيد الكثرة.

ولعل الراجح قراءة الجمهور (وصّى) مشددًا؛ لأنَّ الشدة هنا تتناسب مع معنى آيات القصة القرآنية وبما توحيه من قوة والتزام بالتمسك بالوصية، وعدم التخلي عنها فما كانت الوصية إلا من باب الحب وإيصال من نوصيهم على بر السلامة والأمان، وهذه القوة والشدة تتناسب مع معنى الآيات والتمسك بالوصية والعمل بها لنيل رضا الله والفوز بالجنّة.

التعدية:

وهي أن تضمن الفعل معنى التصيير، فيصير الفعل اللازم متعديًا إلى مفعول واحد، نحو: قوله تعالى: ﴿أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (البقرة: 125)، وإن كان متعديًا إلى واحد يصير متعديًا لاثنين، نحو: فهّمت زيدًا القصيدة. ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني، ما يلي:

(بَوَّأْ):

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ (يونس: 93)؛ أي: أنزلناهم منزلة كرامة بعد أن أنجيناهم وأهلكنا أعداءهم[3].

ورد هذا الفعل في سورة يونس، في قصة تكريم الله لبني إسرائيل، فقد أنزل الله بني إسرائيل منزلًا صالحًا مختارًا في بلاد (الشام) و(مصر)، ورزقهم الرزق الحلال الطيب من خيرات الأرض المباركة، فما اختلفوا في أمر دينهم إلّا مِن بعد ما جاءهم العلم الموجب لاجتماعهم وائتلافهم،

(1) فتح القدير، الشوكاني، ص95.
(2) لسان العرب، ابن منظور، مج 6، ج54/ص4854. مادة (و ص ى)
(3) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، للبغدادي، ج177/11.

ومن ذلك ما اشتملت عليه التوراة من الإخبار بنبوة محمد– صلى الله عليه وسلم–. إنّ ربك –أيّها الرسول– يقضي بينهم يوم القيامة، ويَفْصِل فيما كانوا يختلفون فيه من أمرك، فيدخل المكذبين النار والمؤمنين الجنة.

بوأ: من باء إليه إذا رجع أو انقطع، وفي اللسان: بوأت في منزل وبوأت له مكانًا إذا سويته[1]. والتضعيف هنا يفيد التعدية.

بَوَّأْنا: فعل ماضٍ، والضمير المتصل فاعله، والجملة لا محل لها من الإعراب لأنّها وقعت في جواب قسم. **بَنِي**: مفعول به منصوب بالياء؛ لأنّه ملحق بجمع المذكر السالم، فالتضعيف هنا أفاد التعدية وبيان الكرامة التي أكرم الله بها بني إسرائيل، وهذا يتماشى مع معنى القصة القرآنية. فالفعل بوأ فعل لازم، بالتضعيف أصبح متعدي إلى المفعول به بني.

(نُرَبِّ):

في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾(الشعراء: 18).

ورد هذا الفعل في سورة الشعراء، في قصة فرعون وسيدنا موسى– عليه السلام–، قال فرعون لموسى– عليه السلام– ممتنًا عليه: ألم نُرَبِّك في منازلنا صغيرًا، ومكثت في رعايتنا سنين من عُمُرك وارتكبت جنايةً بقتلك رجلًا من قومي حين ضربته ودفعته، وأنت من الجاحدين نعمتي المنكرين ربوبيتي؟

الفعل نربي، ماضيه ربى، عند انتقاله إلى المضارع حدث فيه إعلال بالحذف، فقد حذفت الياء لمناسبة الجزم. وفيه إعلال آخر بالقلب، أصله ربي، تحركت الياء بعد فتح فقلبت ألفًا، والتضعيف في ربّى للتعدية.

ربا: رَبَوْتُ في بَني فلان أَرْبُو نَشَأْتُ فيهِم، ورَبَّيْتُ فلاناً أُرَبِّيه تَرْبِيَةً وتَرَبَّيْتُه ورَبَبْتُه ورَبَّبْته بمعنى واحد[2].

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مج1، ج5/ص380.

(2) المرجع السابق، مج3، ج18/ص1547.

والتضعيف في ربّى للتعدية، حيث تعدى الفعل لنصب المفعول الضمير المتصل الكاف، وهذا يتناسب مع معنى القصة القرآنية، في قول فرعون من باب التذكير، والمن على موسى- عليه السلام-، حيث أفاد التضعيف تكرار قول فرعون مذكرًا لموسى- عليه السلام- بنعمه عليه.

نُرَبِّكَ: مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة، والكاف مفعول به، والفاعل مستتر.

(أَذِّن):

في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج: 279).

ورد هذا الفعل في سورة الحج، في قصة تعليم الله – سبحانه وتعالى- لسيدنا إبراهيم –عليه السلام- بالحج وأهميته ليُعلم الناس بذلك فقال تعالى له: أعلِمْ- يا إبراهيم- الناس بوجوب الحج عليهم يأتوك على مختلف أحوالهم مشاةً وركبانًا على كل ضامر من الإبل- وهو: الخفيف اللحم من السَّيْر والأعمال لا من الهُزال- يأتين من كل طريق بعيد؛ ليحضروا منافع لهم من: مغفرة ذنوبهم، وثواب أداء نسكهم وطاعتهم، وتكَسُّبِهم في تجاراتهم، وغير ذلك؛ وليذكروا اسم الله على ذَبْح ما يتقربون به من الإبل والبقر والغنم في أيام معيَّنة هي: عاشر ذي الحجة وثلاثة أيام بعده؛ شكرًا لله على نعمه، وهم مأمورون أن يأكلوا مِن هذه الذبائح استحبابًا، ويُطعموا منها الفقير الذي اشتد فقره.

فقد قرأ الحسن وابن مُحَيْصن(ت123هـ)[1]: وَأَذِنَ فِي النَّاسِ، بالتخفيف. وقرأها الباقون أذّن بالتشديد والتضعيف.

أَذِّن؛ أي: نادى المنادي وأكثر الإعلام؛ أذَّن: أذَّن تأذينًا؛ أي: اعلم بالشيء، والآذان النداء إلى الصلاة؛ أي: الإعلام بوقتها، فالتضعيف هنا للتكثير. تكثير النداء للحج[2].

---

(1) المحتسب، ابن جني، ج78/2.

(2) لسان العرب، ابن منظور، مج1، ج2/ص51.

إنّ قراءة التشديد تتناسب مع سياق القصة القرآنية وبما يحمله التضعيف من معنى التكثير؛ أي: تكثير النداء للحج وزيارة بيت الله الحرام من كل عام على طول الزمان، فالزيادة بالتضعيف والتشديد هنا يؤكد على التمسك والقيام بهذا الفرض، والاستجابة لأمر الله لنيل الثواب وكسب رضاه- سبحانه وتعالى-.

أَذِّنْ: فعل أمر، فاعله مستتر تقديره أنت.

معاني صيغة فاعل مزيد بالألف بين فائه وعينه ودلالاتها:

تجيء صيغة فاعل متعدية ولازمة، وأكثر ما تجيء من اثنين نحو، قولك: شارك محمد أحمد، وقد تجئ من واحد، نحو: عاقبتُ المذنب. ومعاني فاعل اللازم فيكون بمعنى تفاعل نحو: سارع إلى كذا، أي: تسارع، ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني، ما يلي:

(وَاعَد):

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (البقرة: 51).

ورد هذا الفعل في سورة طه في قصة. واذكروا نعمتنا عليكم يا بني إسرائيل: حين واعدنا موسى أربعين ليلة لإنزال التوراة هدايةً ونورًا لكم، فإذا بكم تنتهزون فرصة غيابه هذه المدة القليلة، وتجعلون العجل الذي صنعتموه بأيديكم معبودًا لكم من دون الله -وهذا أشنع الكفر بالله- وأنتم ظالمون باتخاذكم العجل إلهًا.

فقد اختلف القراء في قراءتها، قرأ أبو عمرو ويعقوب: (وإذ وعدنا)، وكذلك قوله: (ووعدنا موسى ثلاثين ليلة) و(وعدناكم) بغير ألف. وقرأ سائر القراء: (واعدناكم) بألف.

قال أبو منصور: من قرأ (وعدنا) بغير ألف فإنّما اختار وعدنا؛ لأنّ المواعدة إنّما تكون بين الآدميين، واستدل بقوله تعالى: (إنّ الله وعدكم وعد الحقّ)، وهذا يشبه بعضه بعضًا.

ومن قرأ (واعدنا) و(واعدناكم) فحجته أنّ الطاعة في القبول بمنزلة المواعدة، فهو من الله وعدٌ، ومن موسى قبول واتباع، فجرى مجرى المواعدة [1].

واعد: من وعد يعد عِدة، ووعدًا أو موعدًا، وموعدة،) وموعودًا، فقيل في الخير: (وعد)، وفي الشر (أوعد)[2].

ولعل الراجح قراءة واعدنا بالألف؛ لأنّها تتناسب مع معنى القصة القرآنية ولأداء معنى وعد الله لموسى؛ لأنّ الله هو الذي وعد وموسى تقبل الوعد واتّبع. صيغة واعد على وزن فاعل تحدث بين طرفين، طرف أوّل وطرف ثانٍ، إمّا أن يكون من أعلى لأدنى من المدرس للتلميذ، مثل: كاتب المدرس التلميذ، أو من أدنا لأعلى، مثل: ربنا جازنا بالخير، أو التماس بين اثنين متساويين، مثل: جالسنا أمس أهلنا، فصيغة واعد تفيد المفاعلة بين اثنين، وجاءت تتماشى مع سياق القصة القرآنية التي كانت فيها المواعدة من الله لموسى من أعلى لأدنى.

واعَدْنا: فعل ماضٍ، وفاعله نا الدالة على الفاعلين. والفعل واعد في الآية الكريمة قد تعدى إلى مفعولين، المفعول الأول (موسى)، والمفعول الثاني (أربعين).

(تَمَارَوْا): في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ (القمر: 36).

ورد هذا الفعل في سورة القمر، في قصة سيدنا لوط –عليه السلام– مع قومه، حين أنذر لوطٌ قومه بطشتنا الّتي بطشناها قبل ذلك، فكذّبوا بإنذاره ما أنذرهم من ذلك شكًّا منهم فيه؛ أي: فكذبوا.

مارى: المرية بضم الميم وكسرها، التردد في الأمر وهو أخص من الشك[3]. يقال ماريته مماراة، أي جادلته وشاككته فيما يدعيه.

---

(1) معاني القراءات وعللها، للأزهري، ج1/ص150.

(2) لسان العرب، مج6، ج54، مادة (وعد)، ص4871.

(3) الأفعال في القرآن الكريم، عبد الحميد مصطفى السيد، ج1/ص1272.

وقوله: (فتماروا) تفاعلوا من المرية. لم يصدّقوه، فصيغة تماروا تفيد المفاعلة بين طرفين، تتماشي وتناسب معنى القصة القرآنية، من شكهم وتكذيبهم للوط -عليه السلام- من بطش وعذاب الله – عز وجل-. ولعل الزيادة بالتاء والألف فيها تفيد معنى تكرار التكذيب.

فَتَمارَوْا: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير مستتر تقديره هم، والجملة معطوفة على ما قبلها.

ثانيًا: معاني مزيد الثلاثي بحرفين ودلالاته:

- **معاني صيغة انفعل ودلالاتها:**

مزيد بهمزة الوصل والنون في أوله: وتكون الزيادة هنا لمعنى المطاوعة غالبًا، وقال المبرد: "وهو بناء لا يتعدى الفاعل إلى المفعول"(1)، فلا يكون هذا البناء إلّا لازمًا، ولا يكون في الأفعال العلاجية، بل يكون للمطاوعة، وأكثر مطاوعته للثلاثي المتعدي، نحو: كسرته فانكسر، ومطاوعته لغير ذلك قليلة. ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني، ما يلي:

(انفجر):

في قوله تعالى: ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (البقرة: 60).

ورد هذا الفعل في سورة البقرة، في قصة خطاب الله – عز وجل- لبني إسرائيل- واذكروا يا بني إسرائيل نعمتنا عليكم -وأنتم عطاش في التِّيْه- حين دعانا موسى -بضراعة- أن نسقي قومه- بني إسرائيل-، فقلنا: اضرب بعصاك الحجر، فضرب، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا، بعدد القبائل، مع إعلام كل قبيلة بالعين الخاصة بها حتى لا يتنازعوا. وقلنا لهم: كلوا واشربوا من رزق الله، ولا تسعوا في الأرض مفسدين.

انفجر: يقال: فجر الماء فانفجر؛ أي: سال، فجّر الله لهم من حجر اثنتي عشر عينًا لاثني عشر فريقًا يشربون منها(2).

(1) المقتضب، للمبرد، ج1/ص75.

(2) معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج، ج1/ص141.

وَانْفَجَرَ الماء والدم ونحوهما من السيال وَتَفَجَّرَ: انبعث سائلًا(1).

انفجرت: فعل ماضٍ مبنى على الفتح، والتاء للتأنيث، واثنتا: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الألف؛ لأنَّه من ملحقات المثنى، وحذفت النون للتركيب العددي.

عشرة: جزء من العدد، مبنى على الفتح، ولا محل له من الإعراب. عينًا: تمييز عدد منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

فانفجر فعل لازم من الفعل الثلاثي فجر، والزيادة هنا تفيد معنى المطاوعة، وهذا يلائم أمر الله حين أمر الحجر بأن تنفجر بالماء فانفجرت مطاوعة لأمره سبحانه وتعالى. ولعل الزيادة في الألف والنون قبل الفعل (فجر)، ومجيء الزيادة في أول الفعل يدل على قوة المطاوعة لأمر الله.

(انبَجَسَ):

في قوله تعالى: ﴿فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (الأعراف: 160).

ورد هذا الفعل في سورة الأعراف، في قصة قوم سيدنا موسى –عليه السلام– وفرَّقنا قوم موسى مِن بني إسرائيل اثنتي عشرة قبيلة بعدد الأسباط –وهم أبناء يعقوب– كل قبيلة معروفة من جهة نقيبها. وأوحينا إلى موسى إذ طلب منه قومه السقيا حين عطشوا في التِّيْه، أن اضرب بعصاك الحجر، فضربه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا من الماء، قد علمت كل قبيلة من القبائل الاثنتي عشرة مشربهم، لا تدخل قبيلة على غيرها في شربها، وظلَّلنا عليهم السحاب، وأنزلنا عليهم المنَّ –وهو شيء يشبه الصَّمغ، طعمه كالعسل– والسلوى– طائر يشبه السُّمَانَى– وقلنا لهم: كلوا من طيبات ما رزقناكم، فكرهوا ذلك وملُّوه من طول المداومة عليه، وقالوا: لن نصبر على طعام واحد، وطلبوا استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير. وما ظلمونا حين لم يشكروا لله، ولم يقوموا بما أوجب الله عليهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون؛ إذ فوَّتوا عليها كل خير، وعرَّضوها للشر والنقمة. والانبجاس أضيق من الانفجار؛ لأنّه فيما يخرج من شيء ضيق، والانفجار فيما يخرج من شيء واسع، وانبجس مطاوع بجس المتعدي(2).

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مج5، ج38/ص3351.

(2) الأفعال في القرآن الكريم، عبد الحميد مصطفى السيد، ج3/ص769.

لماذا قال الله- سبحانه وتعالى- الفعل (انفجر) في سورة البقرة، وقال الفعل (انبجس) في سورة الأعراف؟

قال أبو جعفر بن الزبير: إنّ الواقع في الأعراف طلب بني إسرائيل من موسى- عليه السلام- السقيا، والوارد في البقرة طلب موسى- عليه السلام- من ربه، فطلبهم ابتداء فأشبه الابتداء، وطلب موسى غاية لطلبهم؛ لأنّه واقع بعده ومرتب عليه، فأشبه الابتداء الابتداء والغاية الغاية، فقيل جوابًا لطلبهم فانبجست، وقيل: إجابة لطلبه، فانفجرت، وتناسب على ذلك. وقال: الانبجاس: ابتداء الانفجار، والانفجار بعده غاية له[1]، قال تعالى: ﴿ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴾ (الكهف: 33)، وقال: ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ (القمر: 12) ولم يقل: بجسنا.

فانبجس فعل لازم من الفعل الثلاثي بجس، والزيادة هنا تفيد معنى المطاوعة، وهذا يلائم أمر الله حين وطلب موسى من الله السقيا لقومه بالماء فانبجست عيون الماء مطاوعة لأمره سبحانه وتعالى. فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ

فَانْبَجَسَتْ: الفاء عاطفة وانبجس: فعل ماضٍ تعلق به الجار والمجرور.

اثْنَتا: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الألف.

(يَنْقَضَّ):

في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ (الكهف: 77).

ورد هذا الفعل في سورة الكهف، في قصة موسى والخضر -عليهما السلام- حين طلب موسى من الخضر بأن يسمح له أن يصاحبه في طريقه كي يعلمه مما علمه الله. فذهب موسى والخَضِر حتى أتيا أهل قرية، فطلبا منهم طعامًا على سبيل الضيافة، فامتنع أهل القرية عن ضيافتهما، فوجدا فيها حائطًا مائلًا يوشك أن يسقط، فعدَّل الخَضِر مَيْلَه حتى صار مستويًا، قال له موسى: لو شئت لأخذت على هذا العمل أجرًا تصرفه في تحصيل طعامنا حيث لم يضيفونا.

---

(1) راجع: ملاك التأويل، أبو جعفر الغرناطي، ج1/ص67-68.

فقد اختلف القراء في قراءة (ينقض): قرأ الجمهور (ينقض)؛ أي: يسقط ووزنه انفعل، نحو: انجر، وقرأ أُبي يُنقَضَ مبنيًا للمفعول من نقضته، وقرأ الأزهري ينقاض بألف وضاد معجمة[1].

وانْقَضَّ الجِدار: تَصَدَّعَ من غير أَن يسقط، وقيل: انْقَضَّ سقَط، يُرِيد أَنْ يَنْقَضَّ؛ أَي يَنْكَسِرَ. يقال: قَضَضْتُ الشيءَ إِذا دَقَقْتَه، ومنه قيل للحَصى الصِّغار قَضَضٌ. وانْقَضَّ الجدارُ انْقِضاضًا وانْقاضَ انْقِياضًا إِذا تَصَدَّعَ من غير أَن يَسْقُط، فإِذا سقَط قيل: تَقَيَّض تَقَيُّضًا[2].

ولعل قراءة الجمهور تتماشى مع معنى وأحداث القصة القرآنية؛ لأنّ الحائط لم يكن ساقطًا بل كان متصدعًا، مائلًا أيلًا للسقوط.

أَنْ يَنْقَضَّ: أن حرف ناصب، وينقض فعل مضارع منصوب، وفاعله مستتر تقديره هو.

ثلاثي مزيد بهمزة الوصل في أوله، والتاء بين فائه وعينه، ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني، ما يلي:

- **معاني صيغة افتعل ودلالاتها:**

(اصْطَفَيْنَاهُ):

في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾(البقرة: 130). والمقصود في الآية الكريمة سيدنا إبراهيم عليه السلام.

ورد هذا الفعل في سورة البقرة، في قصة وصف الله –سبحانه وتعالى– لسيدنا

إبراهيم –عليه السلام– ليبينها لأولئك الذين يعرضون عن دينه ويكذبونه، لا أحد يُعرض عن دين إبراهيم –وهو الإسلام– إلا سفيه جاهل، ولقد اخترنا إبراهيم– عليه السلام– في الدنيا نبيًّا ورسولًا، وإنّه في الآخرة لمن الصالحين الذين لهم أعلى الدرجات.

---

(1) البحر المحيط، أبو حيان، ج7/ص210. مادة (قضض)

(2) لسان العرب، ابن منظور، مج5، ج41/ص3661.

الفعل اصطفى فيه إبدال، أصله اصتفى، فأبدلت تاء افتعل إلى طاء، لأنّ أول الثلاثي منه صاد، وفيه إعلال بالقلب أصله اصطفو، فقلبت الواو ياءً؛ لأنّها زادت على أربعة أحرف عند اتصالها بالضمير (نا) المتكلمين، وصارت اصطفينا بدلًا عن اصطفونا.

يصطفي، اصطفِ، اصطفاءً، فهو مُصْطفٍ، والمفعول مُصْطفًى، اصطفى فلانًا: استصفاه؛ اختاره وفضَّله(1).

ولعل صيغة افتعل هنا تتماشى مع معنى وأحداث القصة القرآنية، وتفيد معنى الاتخاذ من اتخاذ الله –عز وجل– سيدنا إبراهيم –عليه السلام– للنبوة والرسالة، ولا يكون ذلك الاتخاذ والاصطفاء إلا للمؤمنين الصالحين الذين لهم أعلى المكانة والدرجات.

اصْطَفَيْناهُ: فعل ماضٍ مبني على السكون، ونا ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل، والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل نصب مفعول به.

(ارْتَدَّ):

في قوله تعالى: ﴿فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ (يوسف: 96).

ورد هذا الفعل في سورة يوسف، في قصة سيدنا يعقوب– عليه السلام– حين أُلقي عليه قميص ابنه يوسف– عليه السلام–، فلما أن جاء من يُبشِّر يعقوب بأن يوسف حيٌّ، وطرح قميص يوسف على وجهه فعاد يعقوب مبصرًا، وعمَّه السرور فقال لمن عنده: ألمْ أخبركم أنّي أعلم من الله ما لا تعلمونه من فضل الله ورحمته وكرمه؟

ارتد: إذا رجع، من ردد، وارتد للصيرورة؛ أي: صار بصيرًا.

ارْتَدَّ: ردد: الرد: صرف الشيء ورجعه. والرد: مصدر رددت الشيء. ورده عن وجهه يرده ردا ومردا وتردادا: صرفه(2).

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مج4، ج28/ص2468.

(2) المرجع السابق، مج3، ج19/ص1621.

ولعل الزيادة على صيغة افتعل هنا تتماشى مع معنى وأحداث القصة القرآنية وتفيد الصيرورة؛ أي: أنّ سيدنا يعقوب- عليه السلام- بعد إلقاء القميص على وجهه فعاد إليه بصره فصار بصيرًا.

ارْتَدَّ: فعل ماضٍ مبني على الفتح، فاعله ضمير مستتر تقديره هو.

تفاعل: مزيد بالتاء في أوله والألف بين فائه وعينه:

(فَادَّارَأْتُمْ):

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة: 72).

ورد هذا الفعل في سورة البقرة، في قصة القتيل وهي أنّ رجلًا ثريًا من بني إسرائيل لم يكن له ولد يرثه، وكان له أقارب كل منهم يريد أن يستأثر بأموال هذا الرجل، والمال والذهب هما حياة بني إسرائيل، فتآمر على هذا الرجل الثري ابن أخيه فقتله ليرثه ويستولي على أمواله، ولكنه أراد أن يبعد التهمة عن نفسه، فحمل الجثة وألقاها على باب قرية مجاورة ليتهم أهلها بقتل الثري، وفي الصباح قام أهل القرية، ووجدوا جثة الثري أمام قريتهم، ووجدوه غريبًا عن القرية فسألوا: من هو؟ حتى وصلوا إلى ابن أخيه، فتجمع أهل القتيل واتهموهم بقتله، وكان أشدهم تحمسًا في الاتهام القاتل ابن أخيه، وأراد الله أن يرد بهذه الجريمة على جحود بني إسرائيل باليوم الآخر، ويجعل الميت يقف أمامهم وينطق اسم قاتله، ويجعلهم يرون البعث وهم أحياء.

فقد اختلف القراء في قراءة (فَادَّارَأْتُمْ):

قرأ أبو حيان فادَّارَأْتُمْ على وزن تفاعلتم وهو الأصل، وقال أبو عطية قرأ أبو حيان وأبو السَّوّار الغَنَوِيّ فادَّرَأْتُمْ بدون ألف بعد الدال، وقرأت فرقة فتدَارَأْتُمْ على الأصل[(1)].

ادارء من الدفع؛ أي: اختلفتم واختصمتم في شأنها، ويحتمل هذا التدارؤ أن يكون حقيقة، وهو أن يدفع بعضهم بعضًا بالأيدي؛ لشدة الاختصام، ويحتمل أن يكون مجازًا[(2)] ادارء أصله

(1) البحر المحيط، أبو حيان، ج1/ ص424.

(2) أحرف الزيادة ودلالاتها الصرفية، إنصاف عبد الله صالح، ص138.

تدارء، فقلبت التاء دالًا لقربها منها، وأدغمت الدال في الدال الثانية، وجيء بهمزة الوصل في أوله؛ لأنه لا يمكن الابتداء بساكن، أصلها تدارأتم تدافعتم وتخاصمتم فيها.

ولعل الراجح قراءة أبي حيان؛ لأنّها تتماشى مع معنى وأحداث القصة القرآنية، لأنّ ادارءتم تكون للاختصام وهي على مثال تفاعلتم للمشاركة، والاختصام يكون بين طرفين يشد كل منهما الآخر بالزجر والاتهام، وكل منهما يحاول رفع الجرم عن نفسه.

ادَّارَأْتُمْ: فعل ماضٍ مبني على السكون لاتصاله بالتاء المتحركة، والتاء ضمير متصل في محل رفع فاعل، والميم للجماعة.

(يَتَلاوَمُونَ):

في قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ﴾ (القلم: 30).

ورد هذا الفعل في سورة القلم، في قصة أبناء أصحاب البستان الذي كان مليئًا بالثمار وكان والدهم يطعم منه المساكين، وبعد وفاة والدهم أقسموا أن يجنوا ثمار البستان ولا يطعمون منه الفقراء، فأرسل الله آفة من السماء جعلتها يابسة، فقد حُرِموا خير جنتهم بذنبهم، يقول جلّ ثناؤه: فأقبل بعضهم على بعضٍ يلوم بعضهم بعضًا على تفريطهم فيما فرّطوا فيه من الاستثناء، وعزمهم على ما كانوا عليه من ترك إطعام المساكين من جنّتهم.

وجاء في كتاب الأفعال في القرآن الكريم: تلاوموا؛ أي: لاموا بعضهم بعضًا[1].

اللَّومُ واللّوْماءُ واللَّوْمَى واللائمة: العَذْلُ. لامَه على كذا يَلومُه لَوْمًا ومَلامًا وملامةً ولوْمةً، فهو مَلُوم ومَلِيمٌ: استحقّ اللَّوْمَ. وتَلاوَمُوا: لام بعضهم بعضًا[2].

وتلاوم على تفاعل للمشاركة لأنّ اللوم وقع بينهم، وهذه الصيغة تتناسب مع معنى آيات القصة القرآنية.

(1) الأفعال في القرآن الكريم، عبد الحميد مصطفى السيد، ج3/ص1247.
(2) لسان العرب، ابن منظور، مج5، ج56/ ص4101.

يَتَلاوَمُونَ: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون لأنه من الافعال الخمسة، وواو الجماعة ضمير متصل مبني في محل رفع الفاعل.

تفعّل مزيد بالتاء في أوله وتضعيف العين، ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني، ما يلي:

(يَتَبَوَّأُ)

في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ (يوسف: 56).

ورد هذا الفعل في سورة يوسف، في قصة خلاص سيدنا يوسف- عليه السلام من السجن، وتوليه خزائن مصر، أنعم الله على يوسف بالخلاص من السجن، ومكّن له في أرض (مصر) ينزل منها أي منزل شاءه. يصيب الله برحمته من يشاء من عباده المتقين، ولا يضيع عمل المحسنين المخلصين.

يتبوأ أي يتَّخذ منها منزلًا أو مكانًا، والفعل يتبوّأ ماضيه تبوّأ على تفعّل. تبوَّأَ / تبوَّأَ بـ يتبوَّأ، تَبَوُّءًا، فهو مُتبوِّئ، والمفعول مُتبوَّأ[1].

ولعل صيغة تفعّل هنا تتماشى مع معنى وأحداث القصة القرآنية وتفيد معنى الاتخاذ من اتخاذ سيدنا يوسف -عليه السلام- كرامة من الله بعد خروجه من السجن بأن ينزل أي منزلة يريدها، ولا يكون ذلك الاتخاذ إلا للمؤمنين المتقين الصالحين جزاء لهم؛ لأنّ الله لا يضيع أجر من أحسن عملًا.

(يَتَبَوَّأُ) فعل مضارع مرفوع بالضمة، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو.

(تَوَلَّ):

في قوله تعالى: ﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هذا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ ما ذا يَرْجِعُونَ﴾ (النمل: 28).

()1 لسان العرب، ابن منظور، مج 1، ج5/ص382.

ورد هذا الفعل في سورة النمل، في قصة سيدنا سليمان– عليه السلام– والهدهد. قال سليمان للهدهد: سنتأمل فيما جئتنا به من الخبر أصدقت في ذلك أم كنت من الكاذبين فيه؟ اذهب بكتابي هذا إلى أهل (سبأ) فأعطهم إياه، ثم تنحَّ عنهم قريبًا منهم بحيث تسمع كلامهم، فتأمل ما يتردد بينهم من الكلام.

الفعل تولَّ فيه إعلال بالقلب عند اتصاله بواو الجماعة، أصله تولَّيوا، استثقلت الضمة على الياء فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، وضم ما قبل واو الجماعة وصار وزنه تفعوا، فقد تعدى بعن لمعنى الإعراض، أي: ثم أعرض عنهم.

و ل ي: مصدر تَوَلَّى التَّوَلِّي عَنِ الجَمَاعَةِ: الإِدْبَارُ. تول عن: أعْرَضَه وولى هاربًا(1).

وهذه الصيغة تتناسب مع معنى آيات القصة القرآنية، التي تفيد الإعراض والابتعاد عن أهل سبأ، لمعرفة وتأمل وتتابع ردهم على هذا الكتاب الذي وقع بين أيديهم، ومتابعتهم هل يقبلون به، أو يعرضون عنه؟

تَوَلَّ: فعل أمر، فاعله ضمير مستتر تقديره هو.

ثالثًا: معاني مزيد الثلاثي بثلاثة أحرف ودلالاته:

استفعل

بزيادة همزة الوصل والسين والتاء في أوله، ويأتي هذا البناء متعديًا، نحو: استعلم من المجرد علم، استقرأ من المجرد قرأ. وأكثر مجيء هذا البناء للطلب. وهو أشهر المعاني والغالب في هذه الصيغة نحو: استفهمته، أي طلبت منه الفهم، ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني، ما يلي:

()1 لسان العرب، ابن منظور، مج6، ج55/ ص4925.

(اسْتَعْمَرَكُمْ):

في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (هود: 61) جعلكم عمارًا تعمرونها وتستغلونها.

ورد هذا الفعل في سورة هود، في قصة سيدنا صالح حين أرسله الله إلى ثمود يدعوهم لعبادة الله. وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة، هو الذي بدأ خَلْقكم من الأرض بخلق أبيكم آدم منها، وجعلكم عُمَّارا لها، فاسألوه أن يغفر لكم ذنوبكم، وارجعوا إليه بالتوبة النصوح. إن ربي قريب لمن أخلص له العبادة، ورغب إليه في التوبة، مجيب له إذا دعاه.

فقد اختلف القراء في قراءة وأَعْمَره المكانَ واسْتَعْمَره فيه: جعله يَعْمُره؛ أَي: أَذِن لكم في عِمارتها واستخراجِ قومِكم منها وجعَلَكم عُمَّارَها. والمَعْمَرُ: المَنْزِلُ الواسع من جهة الماء والكلأِ الذي يُقامُ فيه(1).

ولعل صيغة استفعل هنا تتماشى مع معنى وأحداث القصة القرآنية، فالفعل اسْتَعْمَرَكُمْ من الفعل المجرد عمر، الزيادة هنا لبيان قدرة الله ورحمته بعبادة من خلقهم من الأرض وجعلهم عُمَّارا لها، ولا يريد منهم غير عبادته وتوحيده والتوبة إليه من كل ذنب.

اسْتَعْمَرَكُمْ: استعمر فعل ماضٍ، والفاعل ضمير مستتر تقدير هو (كم) ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به.

(اسْتَطَاعُوا):

في قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾(الكهف: 97).

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مج4، ج35/ ص3105.

ورد هذا الفعل في سورة الكهف في قصة يأجوج ومأجوج وبناء ذي القرنين للجدار. فما استطاعت يأجوج ومأجوج أن تصعد فوق الجدار؛ لارتفاعه وملاسته، وما استطاعوا أن ينقبوه من أسفله لبعد عرضه وقوته.

فقد اختلف القراء في قراءة اسْتَطَاعُوا: الفعل استطاع فيه قراءات: قال الزمخشري[1]: بحذف التاء للخفة، لأنّ التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ: فما اصطاعوا بقلب السين صادًا. "(فما اسطاعوا) بغير تاء، أصلها: استطاعوا بالتاء، ولكن التاء والطاء من مخرج واحد، فحذفت التاء لاجتماعهما، وليخفّ اللفظ. وقرأ حمزة وحده (فما اسطّاعوا) مشددة على معنى: استطاعوا، وفيه جمع بين ساكني، وهما: السين والتاء المدغمة في الطاء" [2].وقرأ الباقون {فما اسطاعوا} بتخفيف الطّاء والأصل فما استطاعوا فحذفوا التّاء كراهة الإدغام والجمع بين حرفين متقاربي المخرج[3].

ولعل الراجح قراءة من قرأ (اسطاعوا) هنا تتناسب مع معنى وأحداث القصة القرآنية، وتفيد الزيادة هنا الطلب لأنّه يراد به: استطاعوا فتحذف التاء كراهة لاجتماع حرفين متقاربين في المخرج، فيلزمهم فيه الإدغام، وإذا تأملنا الفعل استطاع فنجد أنّه ذُكر مرتين فيها، المرة الأولى (اسطاع) بغير تاء على وزن اسفعل، والمرة الثانية (استطاع) بالتاء على وزن استفعل، والسبب في ذلك أنّ الفعل الثاني بمعنى الظهور، والظهور والبروز يحتاج للتخفيف فحذفت التاء للتخفيف، وأثبتها في الثاني لأنّ النقب في الجدار يحتاج إلى قوة من شدة صوتي التاء والطاء الشديدة، فجاء الحذف في الجزء الأول تماشيًا مع سياق القصة القرآنية التي تحتاج لتخفيف ليتناسب مع معنى الظهور والبروز، وجاء الإثبات في الفعل الثاني ليتناسب مع معاني القوة في محاولة نقب الجدار.

فالزيادة في الفعل الأول معناها طلب الظهور، وفي الفعل الثاني طلب النقض.

اسْتَطَاعُوا: فعل ماضٍ مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، والواو ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل.

---

(1) الكشاف، للزمخشري، ج2/ص499.

(2) إملاء ما منّ به الرحمن، للعكبري، ج2/ص109. معاني القراءات وعللها، للأزهري، ج2/ص126.

(3) الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، ص233. حجة القراءات، عبد الرحمن أبو زرعة، ص435.

(أَسْتَخْلِصْهُ):

في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (يوسف: 54).0

ورد هذا الفعل في سورة يوسف، في قصة ملك مصر حين علم ببراءة سيدنا يوسف– عليه السلام–. وقال الملك الحاكم لـ "مصر" حين بلغته براءة يوسف: آتوني به أجعله من خلصائي وأهل مشورتي، فلما جاء يوسف وكلَّمه الملك، وعرف براءته، وعظيم أمانته، وحسن خلقه، قال له: إنك اليوم عندنا عظيم المكانة، ومؤتمن على كل شيء، وولاه خزائن مصر.

فاستخلصه للاتخاذ، أي: اتخذه خالصًا لنفسي وخاصًا بها.

خَلَص الشيء، بالفتح، يَخْلُص خُلُوصًا وخَلاصًا إذا كان قد نَشِبَ ثم نَجا وسَلِم. وأَخْلَصه وخَلَّصه وأَخْلَص لله دِينَه: أَمْحَضَه. وأَخْلَصَ الشيءَ: اختاره[1].

ولعل صيغة استفعل هنا تتماشى مع معنى وأحداث القصة القرآنية وتفيد معنى الاتخاذ من اتخاذ الملك الحاكم لمصر يوسف– عليه السلام– من خلصائه وأهل مشورته، ولا يكون ذلك الاتخاذ إلّا رحمة وكرامة من الله للمؤمنين الصالحين الذين لهم أعلى المكانة والدرجات.

أَسْتَخْلِصْهُ: أَسْتَخْلِصْ فعل مضارع مجزوم واقع في جواب الطلب، والهاء ضمير مبني على الضم في محلّ نصب مفعول به، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا.

القسم الثاني: معاني ودلالات مزيد الرباعي:

أغلب معاني مزيد الرباعي بحرف يدل على المطاوعة، وأكثر مطاوعته للرباعي المجرد نحو: تدحرج الحجر، وتبعثر الورق.

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مج2، ج14/ص1228.

مزيد الرباعي بحرف واحد: وله بناء واحد هو التاء في أوله.

لم يرد في آيات القصص القرآني ولا القرآن الكريم رباعي مزيد على تفعلل، وقد ورد المجرد منه، مثل: قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ (الأعراف: 20)، وسوس: الوسوسة حديث النفس والشيطان بما لا نفع فيه ولا خير[1]. والوسواس اسم للشيطان في قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ (الناس: 5)، وهو مضعف الرباعي. وفي (فوسوس إليه) قال العكبري: عدي وسوس بإلى؛ لأنه بمعنى أسر، وفي (وسوس لهما) عدى باللام؛ لأنه بمعنى ذكر ويكون بمعنى لأجله[2].

أما مزيد الرباعي بحرفين، فيأتي للمبالغة في الشيء وقوة في معناه، وله بناءان:

أ- افعنلل: بزيادة همزة الوصل في أوله والنون بعد عينه:

ولم يرد في آيات القصص القرآني مثل هذ البناء ولا في القرآن، ومن أمثلته: احرنجمت الإبل، إذا تجمعت[3]، وافرنقع القوم إذا تفرقوا[4].

ب-افعللّ: وهذا البناء لم يرد في آيات القصص القرآني، لكن ورد منه في القرآن الكريم ما يأتي:

في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم﴾ (آل عمران: 126) [5]، وتطمئن الماضي منه اطمأنّ على وزن افعللّ، فالاطمئنان هنا للثبات والاستقرار.

---

(1) الأفعال في القرآن الكريم، عبد الحميد مصطفى، ج3/ ص1450.

(2) إملاء ما من به الرحمن، للعكبري، ج2/ ص128.

(3) احرنجم القوم: إذا ازدحموا. الممتع في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي، ج1/ص117.

(4) افرنقعوا: أي تفرقوا. المرجع السابق، ج1/ص117.

(5)انظر: الزمر: 23 و45. والحج: 11.

المبحث الثالث: تصريف الأسماء

أبنية الأسماء

الاسم: هو ما دل على معنى في نفسه، غير مقترن بزمان، أو صلح لأن يكون مسندًا إليه أو مسندا. ومن المعروف أنّ الإسناد هو أساس الجملة العربية أو أساس المعنى في الكلام العربي[1].

ويعرّف الاسم بأنّه كل لفظة دالة على معنى، مستقل بالفهم ليس الزمن جزءًا منها، فهو ينقسم إلى قسمين: الأول مجرد، والثاني مزيد[2]، ووزن الثلاثي، فَعَل: أما الفاء فتقبل جميع الصوائت من فتح وكسر وضم ولا تقبل السكون، بسبب عدم البدء بالساكن، أما العين فهي تقبل جميع الصوائت بالإضافة إلى السكون[3].

أولًا-المجرد:

ما كانت جميع حروفه أصلية، مثل: طفل، درهم، فرزدق،... إلخ.

وقد جاءت غالبية أبنية المجرد على ثلاثة أحرف، أما الرباعي والخماسي المجردين فقد قلت أبنيتهما، وقل استعمال الكثير منها، بسبب أنّ قلة أحرف الكلمة أدعى إلى سهولة النطق بها والعرب يؤثرون الخفة في النطق[4]. والأبنية الاسمية الثلاثية المجردة، تقع في عشرة أوزان، وهي:[5]

()1 علم الصرف، نهاد الموسى وعودة أبو عودة، ص82.

()2 إيجاز التعريف في علم التصريف، لابن مالك، ص22.

(3) تصريف الأسماء، محمد الطنطاوي، ص11.

(4) التحليل الصرفي عند القدماء والمحدثين، بخيت عثمان جبارة، ص54.

(5) الأصول في النحو، لابن السراج، ج3/ص181-186. الممتع في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي، ج1/ص61-65. شذا العرف في فن الصرف، لأحمد الحملاوي، ص75-77.

فِعْلٌ، فَعْلٌ، فُعْلٌ، فَعَلٌ، فَعَلٌ، فَعِلٌ، فَعُلٌ، فُعَلٌ، فُعُلٌ، فِعَلٌ. والاختلاف يقع في حركة الفاء والعين من ضم وفتح وكسر [1]، وتختلف هذه الأوزان الاسمية، من حيث إنَّها اسم أو وصف[2].

وجميع الأوزان العربية العشرة مستخدمة إلَّا بنائين أشار إليهما العلماء من كسر الفاء وضم العين " فِعُل"، والآخر ضم الفاء وكسر العين " فُعِلَ"[3].

وقد علّل الصرفيون ذلك بصعوبة الانتقال من الضم إلى الكسر ومن الكسر إلى الضم. يقول" ابن السراج: "إلّا أنّ فِعُلَ مطرح لثقل الضمة بعد الكسرة، ولا يكون فُعِلٌ إلّا في الأفعال دون الأسماء لثقل الكسرة بعد الضمة"[4]. وكلاهما ثقيل.

وأوزان الاسم الرباعي المجرّد المتفق عليها خمسة، هي[5] فَعْلَل، وَفِعْلِل، وفُعْلُل، وفِعَلّ، وفِعْلَل.

وأوزان الخماسيّ أربعة، هي[6]: فَعَلَّل، وفَعْلَلِلٌ، وفِعْللّ، وفُعَلِّل.

ثانيا: أبنية الاسم المزيد:[7]

فأوزانه كثيرة، ولا يتجاوز بالزيادة سبعة أحرف، كما أنّ الفعل لا يتجاوز بالزيادة ستة. فالاسم الثلاثي الأصول المزيد فيه نحو اشهيباب، مصدر اشهابَّ.

والرباعي الأصول: المزيد فيه نحو احرنجام، مصدر احرنجمت الإبل إذا اجتمعت.

---

(1) إيجاز التعريف في علم التصريف، لابن مالك، ص71.

()2 الصيغ الصرفية في ضوء علم اللغة المعاصر، عبد الله رمضان، ص76.

(3) المنصف، لابن جني، ص48.

()4 الأصول في النحو، لابن السراج، ج3/ ص179–180.

(5) المرجع السابق، ج3/ص181–186. الممتع في التصريف، لابن عصفور الإشبيلي، ج1/ص61–65. شذا العرف في فن الصرف، للحملاوي، ص75–77.

(6) شذا العرف في فن الصرف، للحملاوي، ص75–77.

(7) الممتع في التصريف، لابن عصفور الإشبيلي، ج1/ص83–126. شرح المنصف، لابن جني، ج1/ص112.

والخماسي الأصول[1]: لا يزاد فيه إلّا حرف مَدٍّ قبل الآخر أو بعده نحو: عضرفوط، مهمل الطرفين، بفتحتين بينهما سكون مضموم الفاء: اسم لدويبة بيضاء، وقبعثرى، بسكون العين وفتح ما عداها: اسم للبعير الكثير الشعر.

وأما نحو خندريس-اسم للخمر-، فقيل: إنَّه رباعي مزيد فيه، فوزنه فنعليل، والأوْلى الحكم بأصالة النون، إذ قد ورد هذا الوزن فى نحو برقعيد: لبلد، ودردبيس: للداهية، وسلسبيل: اسم للخمر، ولِعينٍ في الجنّة، قيل معرَّب، وقيل عربي منحوت من سلس سبيله، كما في "شفاء العليل". فأوزان المزيد فيه تبلغ ثلاث مئة وثمانية.

ومما ورد في آيات القصص القرآني من الاختلاف في الأبنية الاسمية في الاسم المجرد بين، **فُعَل وفِعَل على وزن فعول:**

(زبورا):

في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ (النساء: 163).

ورد هذا الفعل في سورة النساء، في قصة ذكر الله لسيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- قصص أنبيائه السابقين، وإرسالهم إلى أقوامهم وذلك؛ للاستئناس بقصص السابقين وأخذ العبرة منهم، إنا أوحينا اليك -أيها الرسول- بتبليغ الرسالة كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط -وهم الأنبياء الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة من ولد يعقوب- وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان. وآتينا داود زبورًا، وهو كتاب وصحف مكتوبة.

فقد اختلف القراء في قراءة " زُبُورا":

(1) الممتع في التصريف، لابن عصفور الإشبيلي، ج1/ص163-165.

قرأ حمزة وحده[1]: "زُبُورا" بضم الزاي. وقرأ الباقون: "زَبُورا" بفتح الزاي.

من قرأ (زبورًا) بفتح الزاي فمعناه: كتابًا مزبورًا، والآثار كذا جاءت، زبور داود، وتوراة موسى، ومن قرأ (زبورًا) بالضم فمعناه: آتيناه كتبًا، جمع زبر، مثل: بطنٍ وبطون)[2].

الزِّبْرُ: الْكِتابُ، وَالْجمْعُ زُبُورٌ، مِثْلُ قِدْرٍ وَقُدُورٍ؛ وَالزَّبُورُ: الْكِتابُ الْمَزْبُورُ، وَالْجمْعُ زُبُرٌ، كما قَالوا رَسولٌ وَرُسُلٌ[3].

ولعل الراجح قراءة (زَبُرا) بفتح الزاي؛ لأنّها تتناسب مع معنى القصة القرآنية، وهو أنّ الله – سبحانه وتعالى– آتى سيدنا داوود كتابًا مزبورًا، ليس كتبًا والله أعلى وأعلم.

وآتينا داود زبورًا: آتى: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير متصل، داود مفعول به أول، زبورًا مفعول به ثانٍ.

(سُوًى)

أبنية الاختلاف بين: فُعَل وفِعَل، في قوله تعالى: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى﴾ (طه: 58).

ورد هذا الفعل في سورة طه، في قصة فرعون مع سيدنا موسى –عليه السلام–، قال فرعون لموسى –عليه السلام– فسوف نأتيك بسحر مثل سحرك، فاجعل بيننا وبينك موعدًا محددًا، لا نخلفه نحن ولا تخلفه أنت، في مكان مستوٍ معتدل بيننا وبينك.

فقد اختلف القراء في قراءة " سوى":

فقد قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب "سُوى" بضم السين، وقرأ الباقون بكسرها، وهما لغتان، فكسر السين هي اللغة العالية الفصيحة والمراد بها المكان المستوي، والأخرى أنَّها مكان

()1 السبعة في القراءات، لابن مجاهد، ص24. معاني القراءات وعللها، للأزهري، ج1/ص322.

()2 معاني القراءات وعللها، للأزهري، ج1/ص323.

(3) لسان العرب، ابن منظور، مج3، باب الزاي، مادة (ز ب ر)، ص1804.

منصفٌ بيننا وبينك، وهي اختيار أبي عبيد وحاتم واختار الشَّوكاني الضم وهو المكان المنتصف[1].

وجاء في اللسان أن الكسر والضم لغتان، إلَّا أنّ الضم فيه معنى التَّصغير للتَّقريب، والتَّنصيف أي المكان المنتصف، أمّا الكسر بمعنى نفس الشيء أو غيره، وسوى معلَّم ومعلوم[2].

وحجة من قرأ بالكسر أنّ (فِعلًا) لم يأتِ الوصف منه إلَّا نادرًا، نحو: قوم عُدى، ويرى آخرون أنّ الضم أكثر؛ لأنّ (فُعَلًا) في الوصف أكثر، نحو: لُكَع وحُطَم[3].

ولعل الراجح قراءة الكسر؛ لأنّها تتناسب مع معنى القصة القرآنية؛ لأنّ فرعون قال لموسى-عليه السلام- أن يجعل بينهم وبينه موعدًا محددًا، في مكان مستوٍ معتدل تستوي مسافته على الفريقين، وسوى على وزن فعلٌ، وفعلٌ جاءت تتماشى مع القصة القرآنية، لأنّ الضم يفيد معنى الوسطية، والوسطية تفيد معنى الاستواء، والتوسط مكان بين طرفين، فالمعنى متقارب في اللغتين لكن اختيار الجمهور هو الأنسب؛ لأنّ الكسرة أخف نُطْقًا من الضمة، ففي اللغة صيغة فِعلٌ أكثر استعمالًا من فُعَلٌ، فهما لغتان، والمعنى: بين موضعين، وقلما يأتي فعل بكسر الفاء في الصفات، وقد جاء، نحو: عدى وسوى وثني، وأما سوى بالضم على فعلٍ فهو في الصفات أكثر.

سُوىً: صفة مكانا منصوبة بالفتحة المقدرة أي وسطا.

(حُسْنًا):

قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة: 83).

ورد هذا الفعل في سورة البقرة، في قصة خطاب الله لبني إسرائيل. واذكروا يا بني إسرائيل حين أَخَذْنا عليكم عهدًا مؤكدًا: بأن تعبدوا الله وحده لا شريك له، وأن تحسنوا للوالدين، وللأقربين، وللأولاد الذين مات آباؤهم وهم دون بلوغ الحلم، وللمساكين، وأن تقولوا للناس أطيب الكلام مع

---

(1) فتح القدير، للشوكاني، ج3/ص372.

()2 لسان العرب، ابن منظور، مج3، ج24، مادة (س و ا)، ص2160-2161.

(3) حجة القراءات، لابن خالويه، ص 453. معاني القرآن، للزجاج، ج3/ص360. السبعة، لابن مجاهد، ص418.

أداء الصلاة وإيتاء الزكاة، ثم أَعْرَضْتم ونقضتم العهد –إلا قليلًا منكم ثبت عليه– وأنتم مستمرون في إعراضكم.

فقد اختلف القراء في قراءة (حسنًا)، فقرأ ابن كثير و أبو عمر ونافع وعاصم وابن عامر: (حُسنا) بضم الحاء وإسكان السين، وقرأ حمزة والكسائي: (حَسَنًا) بفتحهما[1].

الحُسن: ضد القبح ونقيضه، من حَسُن وحسَن يحسُن حُسنًا، والحَسَن: جبل معروف[2].

ويمكن توجيه القراءتين من خلال القولين الآتيين:

- الأول: عدم التفريق بينهما: مفاده أنّ (الحُسن) والحَسَن) لغتان، ولهذا نظائر كثيرة منها في الأسماء: البُخل والبَخَل، والحُزن والحَزَن، وفي الصفات: العُرب والعَرَب[3].
- الثاني: قائم على التفريق بينهما: ومفاده أنّ (الحُسنَ) مصدر حَسُنَ يحسُنُ؛ وذلك على تقدير مضاف محذوف، والتقدير: وقولوا للنّاس قولا ذا حسن، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه[4].

وإما على أنّه من قبيل الوصف بالمصدر [5]، (لإفراط جنسه)[6]، ونظيره قول القائل: محمدٌ رجلٌ عدلٌ. أما (الحَسَنَ) فصفةٌ لمصدر محذوف[7]، والتقدير: وقولوا للنّاس قولًا حَسَنا، فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه.

(1) التبصرة في القراءات السبعة، القيسي، ص254.

()2 لسان العرب، ابن منظور، مج1، ج3/ص177–180.

()3 الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، ج2/ص127.

(4) الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، ص84. الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، ج2/ص127. البحر المحيط، لأبي حيان، ج1/ص435.

(5) الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، ص84. الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، ج2/ص128.

()6 البحر المحيط، لأبي حيان، ص435.

(7) الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، ج2/128. الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، ص84.

وقد ذهب الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت310هـ) إلى أن الصواب هو قراءة (حَسَنا)[1]؛ لأنّه الأنسب للمعنى.

أما ابن خالويه، فذهب إلى أن قراءة الجمهور (حُسنًا) أصوب[2] من (حَسَنًا)، من جهة أنّ الثانية تفتقر فيها الصفة إلى الموصوف افتقار الفعل إلى الاسم.

ولعل الراجح قراءة حَسَنًا؛ لأنّها تتناسب مع معنى القصة القرآنية، وقولوا للنّاس قولًا حَسَنًا، لأنّ الخطاب موجهًا لبني إسرائيل أن اصدقوا القول والعهد والنصح والارشاد للنّاس.

حُسْنًا: صفة لمفعول مطلق محذوف تقديره قولوا قولًا ذا حسن. أو قولًا حسنًا.

فُعُل وفُعل:

(الْقُدُسِ):

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة: 87).

ورد هذا الفعل في سورة البقرة، فيما ذكر الله -تبارك وتعالى- من خبر بني إسرائيل. ولقد أعطينا موسى التوراة، وأتبعناه برسل من بني إسرائيل، وأعطينا عيسى ابن مريم- عليهما السلام- المعجزات الواضحات، وقوّيناه بجبريل عليه السلام. أفكلما جاءكم رسول بوحي من عند الله لا يوافق أهواءكم، استعليتم عليه، فكذّبتم فريقًا وتقتلون فريقًا؟

فقد اختلف القراء في قراءة (القدس)، فقرأ السبعة عدا ابن كثير: (القُدُس) بضم القاف والدال، وقرأ ابن كثير: (القُدس) بتسكين الدال[3].

()1 تفسير الطبري، ج2/ص195-196.

(2) الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، ص84.

()3 السبعة في القراءات، لابن مجاهد، ص164، التبصرة، لابن الجوزي، ص255. معاني القراءات وعللها، للأزهري، ج1/ص164.

قدس: تنزيه الله عز وجل. وهو المتَقَدَّس القُدُّوس المُقَدَّس. ويقال: القُدُّوس فَعُّول من القُدْس، القُدُس والقُدس: الطُّهارة[1]. وقيل البركة.

وفيه لغتان: قدس وقدس، والتخفيف والتثقيل جائزان[2].

حجة من قرأ (القُدُس) بالضم: أنّه جاء بالاسم على الأصل فيه[3]؛ أي: على (فُعُل)[4]، نحو: عُنُق، وحُلُم.

وحجة من قرأ (القُدس) بإسكان الدال أنّه لمّا كان الاسم مضموم الفاء والعين وقع فيه الثقل، فخفف[5] بإسكان الثاني.

ولعل الراجح قراءة (القُدُس) بضم القاف والدال؛ لأنّها تتناسب مع معنى القصة القرآنية، وروح القدس: جبريل كأنّه منسوب إلى الطّهارة، وذلك أنّه ممّن لا يقترف ذنبًا، ولا يأتي مأثمًا، كما قد يكون ذلك من غيره. والقراءتان جائزتان. والتثقيل هو الأصل، فأجراها من قرأ (القُدُس) بضم القاف والدال على الأصل.

الْقُدُسِ: مضاف إليه.

فُعلَة وفَعلَة:

(غُرْفَةً):

في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ

()1 لسان العرب، ابن منظور، مج5، باب القاف، مادة (ق د س)، ص3549.

()2 معاني القراءات وعللها، للأزهري، ج1/ص164.

(3) الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، ص85.

()4 المرجع السابق، ص85.

()5 الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، ج2/ص150.

وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: 249).

ورد هذا الفعل في سورة البقرة، في قصة قتال طالوت –عليه السلام– وجنوده للعمالقة. فلما خرج طالوت بجنوده لقتال العمالقة قال لهم: إنّ الله ممتحنكم على الصبر بنهر أمامكم تعبرونه؛ ليتميَّز المؤمن من المنافق، فمن شرب منكم من ماء النهر فليس مني، ولا يصلح للجهاد معي، ومن لم يذق الماء فإنّه مني؛ لأنّه مطيع لأمري وصالح للجهاد، إلّا مَن ترخَّص واغترف غُرْفة واحدة بيده فلا لوم عليه. فلما وصلوا إلى النهر انكبوا على الماء، وأفرطوا في الشرب منه، إلّا عددًا قليلًا منهم صبروا على العطش والحر، واكتفوا بغُرْفة اليد، وحينئذٍ تخلف العصاة. ولمّا عبر طالوت النهر هو والقلة المؤمنة معه –وهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا لملاقاة العدو، ورأوا كثرة عدوهم وعدَّتهم، قالوا: لا قدرة لنا اليوم بجالوت وجنوده الأشداء، فأجاب الذين يوقنون بلقاء الله، يُذَكِّرون إخوانهم بالله وقدرته قائلين: كم من جماعة قليلة مؤمنة صابرة، غلبت بإذن الله وأمره جماعة كثيرة كافرة باغية. والله مع الصابرين بتوفيقه ونصره، وحسن مثوبته.

فقد اختلف القراء في قراءة (غرفة)، فقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: (غُرفة) بضم الغين، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: (غَرفة) بفتحها(1).

والقراءتان لغتان معروفتان متساويتان معنى(2). واختار الطبري وأبو علي الفارسي قراءة الضم، وإلى قراءة الفتح مال مكي بن أبي طالب القيسي(3).

ووجه ذلك أنّ (غَرْفَةً) بالفتح مصدر، فهو للمرة الواحدة، كضربته ضربة، وهو منصوب ههنا على المصدر، والمفعول به محذوف، والتقدير: إلّا من اغترف ماء غرفة.

---

(1) السبعة، لابن مجاهد، ص186–187. التبصرة، لابن الجزري، ص287. معاني القراءات وعللها، للأزهري، ج1/ص214.

()2 الكشف، القيسي، ج1/ص303. التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري، ج199/1. الجامع لأحكام القرآن الكريم، لأبي بكر القرطبي، ج4/ص242.

(3) الكشف، القيسي، ج1/ص303.

وقراءة (غُرْفَةً) بالضم. وهي اسم للقدر المغترف من الماء، كالأكلة للقدر الذي يؤكل، فالفعل ههنا قد عدي إلى المفعول به، وهو الغرفة؛ لأنّها هي المغترفة.

وقال الكسائي لو كان موضعُ اغْترَف غَرَف اخترت الفتح لأَنّه يخرُج على فَعْلة، ولما كان اغترف لم يخرج على فَعْلة. وروي عن يونس أَنّه قال: غَرْفة وغُرْفة عربيتان، غَرَفْت غَرفة، وفي القدْر غُرْفة، وحَسَوْتُ حَسْوةً، وفي الإناء حُسْوة. والغُرفة: ما غُرِف، وقيل: الغَرْفة المرَّة الواحدة، والغُرفة ما اغْتُرِف[1].

ولعل الراجح قراءة (غَرْفَةً) بفتح الغين؛ لأنّها تتناسب مع معنى القصة القرآنية، فهو للمرة الواحدة، لأنّ سيدنا لوط- عليه السلام- سمح لهم شرب الماء بأن يغترف الشخص غُرْفة واحدة بيده، لكنّ قليلًا منهم من اغترف غرفة، ومن تخلف كان من العصاة؛ لأنّهم أفرطوا في الشرب.

اغْتَرَفَ: اغْتَرَفَ: فعل ماضٍ مبني على الفتح، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، غُرْفَةً: مفعول به منصوب بالفتحة.

فَعل وفِعَال:

(دَفْعُ):

في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ (البقرة: 251).

ورد هذا الفعل في سورة البقرة، في قصة داود- عليه السلام- وجنوده وقتالهم جالوت قائد الجبابرة. فهزموهم بإذن الله، وقتل داود -عليه السلام- جالوتَ قائدَ الجبابرة، وأعطى الله عز وجل داود بعد ذلك الملك والنبوة في بني إسرائيل، وعَلَّمه مما يشاء من العلوم. ولولا أن يدفع الله ببعض الناس -وهم أهل الطاعة له والإيمان به- بعضًا، وهم أهل المعصية لله والشرك به، لفسدت الأرض بغلبة الكفر، وتمكّن الطغيان، وأهل المعاصي، ولكنّ الله ذو فضل على المخلوقين جميعًا.

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مج5، باب الغين، مادة (غ ر ف)، ص3242.

فقد اختلف القراء في قراءة دفع: قرأ السبعة عدا نافعا: (دَفع) بدال مفتوحة دون ألف وأكثر القراء عليها[1]، وقرأ نافع: (دِفا ع) بدال مكسورة وألف بعد الفاء[2].

الدَّفْع: الإزالة بقوّة. دَفَعَه يَدْفَعُه دَفْعًا ودَفاعًا ودافَعَه ودَفَّعَه فانْدَفَع وتَدَفَّع وتَدافَع، وتدافَعُوا الشيءَ: دَفَعَه كلّ واحد منهم عن صاحبه، وتدافَع القومُ؛ أَي: دفَع بعضُهم بعضًا[3].

والراجح هنا قراءة (دَفع) بدال مفتوحة دون ألف؛ لأنّها أنسب للمعنى الذي هو: دفع الله أذى المشركين عن المؤمنين، من (دِفا ع) التي تقتضي طرفين في المدافعة؛ إذ المدافعة هنا من جانب المولى وحده، ولا يجرؤ أحد على مدافعته ومغالبته.

دَفْعُ: مبتدأ.

---

(1) الكشف، القيسي، ج1/ص304. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج4/ص205.

()2 السبعة، لابن مجاهد، ص187. التبصرة، لابن الجزري، ص272/ص168.

()3 لسان العرب، ابن منظور، مج2، ج16/ص1394.

المبحث الرابع

المشتقات وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: اسم الفاعل

إنّ اسم الفاعل من الموضوعات التي كتب فيها النحويون والصرفيون، ولعل اسم الفاعل نال من الدراسة أكثر من غيره من المشتقات الأخرى، وجعلوا أحكامه منطبقة على باقي المشتقات من حيث الإعمال.

اسم الفاعل:

اسم الفاعل هو اسم مشتق، يدل على معنى مجرد، وهو: "ما دل على الحدث والحدوث وفاعله"[1].

فاسم الفاعل اسم مشتق يدل على فاعل الحدث وجرى مجرى الفعل في إفادة الحدوث، فإذا قلت: (قارئ)، فتلك الصيغة دلت على أمرين: الحدث، وهو القراءة، والفاعل وهو الذي يقوم بالقراءة[2].

وأمّا ابن مالك فيعرفه بأنه: "الصفة الدالة على فاعل الحدث الجارية في مطلق الحركات والسكنات على المضارع من أفعالها، في حالتي التذكير والتأنيث المفيدة لمعنى المضارع أو الماضي[3].

()1 أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك، لابن هشام الأنصاري، ص248. انظر: شرح شذور الذهب، لابن هشام الأنصاري، ص386.

(2) الصرف التعليمي، محمود ياقوت، ص104.

(3) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لابن مالك، ص136.

وابن هشام يرى أنّه: "ما اشتق من فعل"[1]، وابن علاء الدين[2] يرى أنّه مشتق من مصدر الفعل ولم يقل: من الفعل كما قال بعض النحاة؛ لأنّه ليس بمشتق منه بل من المصدر ، فإن قيل: أي شيء يمنع اشتقاقه من الفعل؟ أنّ المانع لو كان مشتقًا من الفعل لوجب زيادته عليه كما ثبت زيادة المشتق على المشتق منه أنقص منه لعدم دلالته على الزمان من حيث هو"[3].

وقيل: " إنّه صفة تؤخذ من الفعل المعلوم لتدل على معنى وقع من الموصوف بها أو قام به على وجه الحدوث لا الثبوت"[4].

وقد جاء اسم الفاعل عند سيبويه بأنّه الذي جرى مجرى الفِعل المضارعِ في المفعول، في المعنى فإذا أردت فيه من المعنى ما أردت في يفعلُ كان نكرةً منونا ذلك قولك هذا ضارِب زيدًا غدًا، فمعناه وعمُله مثل هذا يضرِب زيدًا غدًا، فإذا حدثت عنِ فعلٍ في حينِ وقوعِه غيرِ منقطعٍ كان كذلك، وتقول هذا ضارب عبد الله الساعةَ فمعناه وعمُله مثلُ هذا يضرب زيدًا الساعة، وكان زيد ضاربًا أباك، فإنَّما تحدث- أيضًا- عن اتَّصال فعلٍ في حال وقوعه، وكان موافقًا زيدًا فمعناه وعمُله كقولك كان يضرب أباك ويوافِقُ زيدا، فهذا جرى مجرى الفعِل المضارعِ في العمل والمعنى منونًا[5].

وهو يصاغ من الثلاثي على وزن فاعل الذي يدل على التجدد والحدوث الذي لا يعتبر ثابتا[6]، وأما صياغته من غير الثلاثي، فهي من خلال إبدال المضارعة ميما مضمومة، وكسر ما قبل الآخر[7].

()1 شرح شذور الذهب، لابن هشام، ص385.

(2) هو: حسن باشا بن علاء الدين علي بن عمر الأسود (ت 827 هـ)، من فارس، الأعلام، للزركلي، 204/2

(3) الافتتاح في شرح المصباح، ابن علاء الدين الأسود، ص113.

(4) جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ج1/ص182.

()5 الكتاب، لسيبويه، ج1/ص164.

()6 المقتضب، للمبرد، ج1/ص44. شرح ابن عقيل للألفية، ج3/ص134-136. أوضح المسالك، لابن مالك، ج3/ص216. شذا العرف في فن الصرف، للحملاوي، ص77.

()7 شرح ابن عقيل، ج3/ص137.

ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني من الثلاثي ما يلي:

(سَاحِرٍ):

في قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ (الأعراف: 109).

ورد هذا الفعل في سورةِ الأعراف، في قصة الأشراف من قوم فرعون وموقفهم من سيدنا موسى– عليه السلام–. قال الأشراف من قوم فرعون: إنّ موسى لساحر يأخذ بأعين النّاس بخداعه إياهم، حتى يخيل إليهم أن العصا حية، والشيء بخلاف ما هو عليه، وهو واسع العلم بالسحر ماهر به.

فقد اختلف القراء في قراءة (سحّار): قرأ حمزة والكسائي(1). وقد قرئت (ساحر) بـ (سحّار)على صيغة المبالغة، يقرأ بإثبات الألف والتخفيف، وبطرحها والتشديد (زيادة ألف بعدها)، فالحجة لمن شدّد تكرير الفعل والإبلاغ في العمل، والدلالة على أنّ ذلك ثابت لهم فيما مضى من الزمان، كقولهم: هو دخّال خرّاج إذا كثر ذلك منه وعرف به. والحجة لمن أثبت الألف، وخفف أنّه جعله اسما للفاعل مأخوذًا من الفعل(2). قيل: الساحر: الذي يَعْلَم السحر ولا يُعَلِّم، والسحّار: الذي يُعَلِّم، وقيل: الساحر من يكون سحره في وقت دون وقت، والسحّار من يديم السحر.

ساحر: صيغة اسم الفاعل، وسحّار صيغة المبالغة.

سَحَرَ: وسَحَرَه يَسْحَرُه سَحْرًا وسِحْرًا وسَحَّرَه، ورجلٌ ساحِرٌ من قوم سَحَرَةٍ وسُحَّارٍ، وسَحَّارٌ من قوم سَحَّارِينَ(3).

ويرى ابن عاشور أنّ: "السحار مرادف للساحر في الاستعمال؛ لأنّ صيغة (فعّال) –هنا– للنسبة دلالةً على الصناعة مثل النجّار والقصّار"(4) ولا خلاف حول دلالة صيغة (فعّال) على الصناعة، ولكن الخلاف حول اعتبارها مرادفةً لصيغة (فاعل)، فإنّ صيغة (فعال) الدالة على

(1) تفسير البغوي، مج3، ج9/ص263–264.

()2 الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، ص160.

()3 لسان العرب، ابن منظور، مج3، ج22/ ص1951.

()4 التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج١٩/ص138.

الصناعة تحمل معنى المبالغة بما تدلّ عليه من معنى تكرار الحدث وممارسته وامتهانه، بل إنّ بعض الدارسين ليذهب إلى أنّ(فَعّالًا) في المبالغة أصل (لفعّال) في الصناعة، يقول الرضي: "إلّا أنّ فعّالًا لما كان في الأصل لمبالغة الفاعل، ففعّال الذي بمعنى ذي كذا لا يجيء إلّا في صاحب شيء يزاول ذلك الشيء ويعالجه ويلازمه بوجه من الوجوه: إما من جهة البيع كبّقّال أو من جهة القيام بحاله كالجمّال والبغّال أو باستعماله كالسياف أو غير ذلك "(1).

والقراءتان مقبولتان؛ فصيغة (ساحر) (إن هذًا لَساحر) فهو ليس مجرد (ساحر)، بل هو ساحر (عليم) بهذه الصيغة الموغلة في المبالغة والتأكيد. وصيغة المبالغة (سحار) دالةً على هذا المعنى فضلًا عن اقترانها بدالِ الشمول والعموم. فالقراءتان صحيحتان ومقبولتان وتؤديان نفس المعنى.

ساحر: خبر إن مرفوع وعلامة رفعه الضمة.

مجيء اسم الفاعل بمعنى اسم المفعول:

للفراء تفسير ظاهر لدلالة اسم الفاعل لمعنى اسم المفعول، حيث يرجع ذلك إلى علتين:

الأولى: هي النكتة البلاغية، والثانية هي اختلاف اللغات بين القبائل، يقول في العلة الأولى: "ذلك أنّهم يريدون وجه المدح أو الذم، فيقولون ذلك لا على بناء الفعل، ولو كان فعلًا مصرحًا لم يقل ذلك فيه؛ لأنّك لا تقول للضارب مضروب، ولا للمضروب ضارب؛ لأنّه لا مدح فيه ولا ذم"(2).

وفي العلة الثانية وهي اختلاف اللغات بين القبائل يقول: "وقوله عز وجل: ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ (الطارق: 6)، أهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم أن يجعلوا المفعول فاعلا إذا كان في مذهب نعت، كقول العرب: هذا سر كاتم، وهم ناصب، وليل دائم وعيشة رضية(3).

()1 شرح الرضي على الشافية، ج٢/ص84-85.

()2 معاني القرآن، للفراء، ج3/ص182.

(3) المرجع السابق، ج3/ص255.

فإن كان أهل الحجاز يجعلون المفعول فاعلًا وباقي العرب يبقون المفعول على حاله، فقد يكون "لكل صيغة من الصيغ الأخرى اختصاص في الدلالة لدى بعض القبائل، ثم أخذت هذه القبيلة عن تلك وتلك عن هذه، فكان العربي يتحدث ويقول الشعر بلسان قومه، فإذا أراد لفت الانتباه لبراعة في التعبير قرَعَ الأسماع بما لم تألفه من قبل، فظهرت بذلك بذرة التضاد في الصيغ الصرفية، ثم شاع استخدامها بين القبائل حتى اختلط الأمر على جمّاع اللغة من بعد"[1].

من هنا نلحظ أنّ خروج اسم الفاعل لمعنى اسم المفعول جاء من اختلاف لغة القبائل، وقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب وصيغها، آخذًا من كل منها بنصيب إذ إنّ هذه الظاهرة "ظاهرة أسلوبية تتصل بالأداء اللغوي في الجملة العربية، وهي استعمال صيغة اسم الفاعل والمراد بها صيغة أخرى"[2].

فقد وردت بعض الصيغ على اسم الفاعل، لكن معناها اسم المفعول، وهو باب تناوله العلماء القدماء، فمنهم ابن فارس[3]، والثعالبي[4] وغيرهما من علمائنا القدماء.

وقد تطرق علماء الدرس الصرفي الحديث إلى هذه الظَّاهرة الصرفية، فمنهم رمضان عبد التواب، إذ عرض الأوجه التي جاء علها اسم الفاعل بمعنى اسم المفعول[5].

وفيما يلي مجموعة من أمثلة أسماء الفاعلين جاءت بمعنى اسم المفعول في آيات القصص القرآني:

(مُبْصِرَةً)

في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (النمل: 13).

()1 التضاد في القرآن الكريم، محمود نور الدين المنجد، ص219.

()2 الصرف التعليمي، محمد ياقوت، ص106.

()3 الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لابن فارس، ص224.

()4 فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي، ص215.

()5 فصول في فقه اللغة العربية، رمضان عبد التواب، ص353.

ورد هذا الفعل في سورة النمل، في قصة موسى -عليه السلام- ومعجزاته لفرعون. فلما جاءت فرعون وقومه هذه المعجزات ظاهرة بيّنة يبصر بها مَن نظر إليها حقيقةَ ما دلت عليه، قالوا: هذا سحرٌ واضحٌ بيِّن.

فقد اختلف القراء في قراءة (مبصرة)، فقد قرئت "مبصِرة" باسم الفاعل التي يكون معناها اسم مفعول، وهي من اختيارات الأخفش [1]، وجماعة القراء رفضوا قراءة اسم المفعول، وأبقوا اللفظ باسم الفاعل، والمعنى اسم المفعول[2].

منهم الشَّوكاني الذي رفض القراءة التي جاءت بمعنى اسم المفعول وقبل القراءة التي خصت اسم الفاعل، وقال: إنّ اسم الفاعل بمعنى اسم المفعول، فقد احتج بالمعنى إذ إنّ آيات سيدنا موسى- عليه السلام- جاءت كونها مبصرة؛ أي: واضحة بينة، كأنَّها لفرط وضوحها تبصر نفسها[3].

بَصُرَ به بَصَرًا وبَصارَةً وبِصارَةً وأَبْصَرَهُ وتَبَصَّرَهُ: نظر إليه هل يُبْصِرُه.: بَصُرَ صار مُبْصِرًا، وأَبصره إِذا أَخبر بالذي وقعت عينه عليه[4].

ولعل الراجح القراءة التي خصت اسم الفاعل بمعنى اسم المفعول؛ لأنّها تتناسب مع معنى القصة القرآنية، لأنّ آيات سيدنا موسى- عليه السلام- جاءت واضحة بينة مُتَبَيِّنَةً تُبْصَرُ وتُرَى.

مُبْصِرَةً: حال منصوبة بالفتحة.

(عَاصِمَ):

في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ (هود: 43).

---

(1) معاني الأخفش، للأخفش، ج2/ص428. إعراب القرآن، النحاس، ج2/ص511. معاني القرآن، الزجاج، ج4/ص111.

(2) الكشاف، للزمخشري، ج2/ص445. المحتسب، لابن جني، ج2/ص136.

()3 فتح القدير، للشوكاني، ج4/ص124.

()4 لسان العرب، ابن منظور، مج1، ج4/ص290.

ورد هذا الفعل في سورة هود، في قصة سيدنا نوح –عليه السلام– مع ابنه. قال ابن نوح: سألجأ إلى جبل أتحصَّن به من الماء، فيمنعني من الغرق، فأجابه نوح: لا مانع اليوم من أمر الله وقضائه الذي قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك إلّا مَن رحمه الله تعالى، فآمِنْ واركب في السفينة معنا، وحال الموج المرتفع بين نوح وابنه، فكان من المغرقين الهالكين.

عاصم جاء بمعنى معصوم. ويقول في عاصم: "أي: لا شيء يعصم منه، ومن قال معناه لا معصوم، فليس يعني أنّ العاصم بمعنى المعصوم، وإنّما ذلك تنبيه منه على المعنى المقصود بذلك، وذلك أن العاصم والمعصوم يتلازمان، فأيهما حصل معه الآخر"[1].

عصم: الْعِصْمَةُ فِي كلَامِ الْعَرَبِ: الْمَنْعُ، وَعِصْمَةُ اللَّهِ عَبْدَهُ: أَنْ يَعْصِمَهُ مِمَّا يُوبِقُهُ. عَصَمَهُ يَعْصِمُهُ عَصْمًا: مَنَعَهُ وَوَقَاهُ[2].

ولعل الراجح القراءة التي خصّت اسم الفاعل بمعنى اسم المفعول؛ لأنّها تتناسب مع معنى القصة القرآنية، أنَّهُ لا مانع اليوم من أمر الله وقضائه الذي قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك إلّا مَن رحمه الله تعالى.

عاصِمَ: اسم لا النافية للجنس مبني على الفتح في محل نصب.

من هنا نلحظ أن اسم الفاعل في القرآن الكريم لا يراد به دومًا معنى اسم الفاعل، إنّما يخرج في بعض الأحيان للدلالة على معنى المفعول.

()1 التضاد في القرآن الكريم، محمد نور الدين المنجد، ص220.

(2) لسان العرب، ابن منظور، مج4، ج33/ص2976.

المطلب الثاني: اسم المفعول

هو اسم مشتق يدل على معنى مجرد غير ملازم، وعلى الذي وقع عليه هذا المعنى[1]، ويصاغ من الثلاثي على وزن "مفعول" ومن غير الثلاثي من خلال إبدال المضارعة ميما مضمومة وفتح ما قبل الآخر [2].

وورد كذلك في تعريفة: "أنّهُ مَا اشتُقّ من مصدر فعلٍ لمن وقع عليهِ كمضرب ومُكرم"[3]. كمَا جَاء في حَاشية للصبان بأنه: "مَا دل على حدث ومفعولهِ بِلا تفَاضَل"[4].

وجَاء فيِ شذا العرف: "هو مَا اشتق من المبني للمجهول لَمن وقع عليهِ الفعل"[5].

إذن فهو يُقصد به لدى الصرفيين بِأنّهُ الوصف المشتق من الفعل المبني للمجهول للدلالة على من وقع عليه الفعل.

ومن ذلك يُفهم أنّ اسم المفعول هو مَا تحققت لهُ الصفات التالية:

أ) أن يكون وصفًا، وهو بذلك يشترك مع كل الأسماء المشتقة الدالة على الوصف.
ب) أن يكون مأخوذ من الفعل المبني للمجهول، وبذلك يتميز اسم الفاعل.
ت) أن يكون دالًا على من وقع عليهِ الفعل، وبذلك يتميز أسماء للأوصاف، من نحو: (محمود، ومذموم).

التعاقب بين صيغة اسم الفاعل والمفعول:

ومما ورد فيه الاختلاف بين اسم الفاعل والمفعول في آيات القصص القرآني ما يلي:

---

(1) المعجم المفصل في علم الصرف، راجي الأسمر، ص132.
(2) شذا العرف، للحملاوي، ص79.
()3 شرح شذور الذهب، لابن هشام، ص370.
(4) شذا العرف للحملاوي، ص75.
()5 النحو المصفى، محمد عيد، ج1/ص666.

(مُرْدِفِينَ):

في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (الأنفال: 9).

ورد هذا الفعل في سورة الأنفال، في قصة خطاب الله –سبحانه وتعالى– للرسول محمد – صلى الله عليه وسلم– وأصحابه –رضوان الله عليهم– في يوم بدر والكرامات التي أكرمهم بها. اذكروا نعمة الله عليكم يوم (بدر) إذ تطلبون النصر على عدوكم، فاستجاب الله لدعائكم قائلًا: إنّي ممدُّكم بألف من الملائكة من السماء، يتبع بعضهم بعضًا.

فقد اختلف القراء في قراءة (مردفين)، فوقع الاختلاف بين القراء في قراءة (مُرْدِفِينَ)، فقد قرئت على اسم الفاعل والمفعول، فقرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عون عن قنبل ويعقوب وابن مجاهد وشيبه وسهل، بفتح الدال على أنَّها اسم مفعول، وقرأ أبو عمرو وابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي، وابن عامر والأعمش والحسن ومجاهد، بكسر الدال على أنَّها اسم فاعل[1].

فالحجة لمن كسر الدال: أنَّه جعل الفعل للملائكة، فأتى باسم الفاعل من (أردف). والحجة لمن فتح الدال: أنّه جعل الفعل لله عز وجل، فأتى باسم المفعول به من (أردف). والعرب تقول: أردَفتُ الرجل: أركبتُه على قطاة (العَجُز، وما بين الوركين، أو مقعد الرَّدِيف من الدابة) دابتي خلفي. وردِفتُه: إذا ركِبتُ خَلفَهُ[2].

ردف: الردف: ما تبع الشيء. وكل شيء تبع شيئًا، فهو ردفه، وإذا تتابع شيء خلف شيء، فهو الترادف، والجمع الردافى[3].

والمعنى يتفق مع القراءتين، إذ إنّ نافعًا في اختياره لاسم المفعول، جعل بعضهم تابعًا لبعض، وقراءة الجمهور أنَّهم جعلوا بعضهم تابعًا لبعض من بينهم[4].

()1 معاني القرآن، للفراء، ج1/ص404. معاني القرآن، للزجاج، ج2/ص402. إعراب القرآن، للنحاس، ج1/ص667.

()2 الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، ص169.

()3 لسان العرب، ابن منظور، مج3، ج18/ص1625.

()4 فتح القدير، للشوكاني، ج2/ص307.

ولعل الراجح قراءة (مُرْدِفِينَ) بكسر الدال فهو بمعنى: رادفين، يقال: ردفت فلانًا أردفه، وأردفته أردفه بمعنى واحد، وهذا يتناسب مع معنى آيات القصة القرآنية، لأنّ الفعل للملائكة لكن بأمر من الله -عز وجل-.

مُرْدِفِينَ: صفة لألف.

(الْمُخْلَصِينَ):

في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف: 24).

ورد هذا الاسم في سورة طه، في قصة سيدنا يوسف -عليه السلام- ومراودة امرأة العزيز له عن نفسها. ولقد مالت امرأة العزيز بنفسها لفعل الفاحشة، وحدَّثت يوسفَ نفسُه حديث للاستجابة، لولا أن رأى آية من آيات ربه تزجره عمَّا حدثته به نفسه، وإنّما أريناه ذلك؛ لندفع عنه السوء والفاحشة في جميع أموره، إنّه من عبادنا المطهرين المصطفَين للرسالة الذين أخلصوا في عبادتهم لله وتوحيده.

فقد اختلف القراء في قراءة الْمُخْلَصِينَ: يقرأ بفتح اللام وكسرها. فالحجة لمن فتح: أنّه أراد: اسم المفعول به من قولك: أخلصهم الله فهم مُخلَصُون. والحجة لمن كسر: أنّه أراد اسم الفاعل من أخلص فهو مُخلِصٌ. ومنه قوله تعالى في سورة مريم: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ (مريم: 51) قراءة حفص في المصحف: مُخلَصًا بفتح اللام[1].

فتح اللَّامِ، اسم مفعولٍ من أُخلِصَ، بمعنى: أنَّ الله أخلَصَهم فصاروا مخلَصِينَ؛ أي: اختارهم اللهُ وهداهم، قرأ بها نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر.

بكسرِ اللامِ، اسم فاعلٍ مِن أخلَصَ، بمعنى: أنَّهم أخلَصوا لله دينَهم وأعمالَهم من الشِّركِ والرِّياءِ قرأ بها الباقون[2].

()1 الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، ص194.

()2 انظر: النشر، لابن الجزري، ج2/ص295. وانظر معنى هذه القراءة في: تفسير ابن جرير، ج14/ص68. والحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، ص194. وحجة القراءات، لابن زنجلة، ص359. وتوجيه القراءات عند الفراء من خلال كتابه معاني القرءان، إبراهيم بن عبدالله آل خضران الزهراني، ص271.

يعني بالمُخْلِصين الذين أَخْلَصوا العبادة لله تعالى، وبالمُخْلَصِين الذين أَخْلَصهم اللهُ عزّ وجلّ، المُخْلَص: الذي أَخْلَصه اللهُ جعله مُختارًا خالصًا من الدنس، والمُخْلِص: الذي وحّد الله تعالى خالصًا[1].

والقراءتان صحيحتان فقراءة (الْمُخْلِصِينَ) بكسر اللام فهو بمعنى: أنَّه أخلَص لله دينَه وأعمالَه من الشِّركِ والرِّياءِ، وهذا يتناسب مع معنى آيات القصة القرآنية، لأنّ الله –عز وجل– أكرمه وعصمه من الوقوع في الفاحشة. وكلمة (المُخْلَصين) الذين أَخْلَصهم اللهُ عزّ وجلّ هي صيغة اسم المفعول من أخلص، والمخلَص معناه اصطفاه الله، مُخلِص اسم فاعل من نفسه إخلاصه ليس اصطفاء، ولذلك جاءت قراءة المخلَصين للجمهور؛ لأنّ الله هو الذي يصطفي عبده كما اصطفى يوسف ومحمدًا –عليهما السلام– ونعت سيدنا يوسف بالعبد كما نعت سيدنا محمد بالعبد في سورة البقرة، وجاءت كلمة المخلصين صفة لعبادنا مجرورة بالياء؛ لأنّها جمع مذكر سالم، وتتماشى مع سياق القصة القرآنية في الاصطفاء بأن نجى يوسف من أخوته حين رموه في البئر، والتقطه السيارة وباعوه لعزيز مصر الذي أكرم مثواه، والله –سبحانه وتعالى– يتابع القصة، فأخذه الملك وعينه على خزائن ملكه، فيسر الله ليوسف كل ذلك لأنّه مخلص واختاره الله – عز وجل–، فسيدنا يوسف –عليه السلام – أَخْلَصه اللهُ وجعله مُختارًا خالصًا من الدنس. فالقراءتان صحيحتان وتؤديان نفس المعنى وهو العصمة من الدنس والخطيئة.

الْمُخْلَصِينَ: صفة لعبادنا مجرورة بالياء؛ لأنّها جمع مذكر سالم.

(حَاذِرُونَ):

في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ (الشعراء: 56).

ورد هذا الفعل في سورة الشعراء، في قصة فرعون وحاشيته حين اجتمعوا ليتشاوروا في أمر موسى– عليه السلام– وأصحابه الذين وصفوهم بالطائفة الحقيرة. قال فرعون: إنَّ بني إسرائيل الذين فرُّوا مع موسى لَطائفة حقيرة قليلة العدد، وإن الغيظ يملأ صدورنا؛ حيث خالفوا ديننا، وخرجوا بغير إذننا، وإنّا لجميع متيقظون مستعدون لهم.

()1 لسان العرب، ابن منظور، مج2، ج14/ص1228.

فقد اختلف القراء في قراءة (حاذرون)، فحَاذِرُونَ: يقرأ بإثبات الألف، وحذفها. فالحجة لمن أثبت: أنّه أتى به على أصل ما أوجبه القياس في اسم الفاعل كقولك: عَلِم فهو عَالِمٌ.

والحجة لمن حذف الألف أنّه قد جاء اسم الفاعل على فَعِل كقولك: حَذِر، ونَحِر وعَجِل. وقد فرق بينهما بعض أهل العربية، فقيل: رجل حاذر فيما يستقبل، لا في وقته، ورجل حَذِر: إذا كان الحذر لازمًا له كالخِلقَة[1].

في ذلك أنّهما قراءتان مستفيضتان في قرّاء الأمصار متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ, فمصيب الصواب فيه، وتؤديان المعنى نفسه، وهو الاستعداد واليقظة.

الحِذْرُ والحَذَرُ: الخيفة. حَذِرَهُ يَحْذَرُهُ حَذَرًا واحْتَذَرَهُ وحاذُورَةٌ وحِذْرِيانٌ: متيقظ شديد الحَذَرِ والفَزَعِ، متحرّز؛ وحاذِرٌ: متأهب مُعِدٌّ كأَنه يَحْذَرُ أَن يفاجَأ؛ والجمع حَذِرُونَ وحَذارَى[2].

حاذِرُونَ: خبر إنَّ ثانٍ مرفوع بالواو؛ لأنه جمع مذكر سالم.

(فَمَكَثَ):

في قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ (النمل: 22).

ورد هذا الفعل في سورة النمل، في قصة الهدهد مع سيدنا سليمان –عليه السلام– فمكث الهدهد زمنًا غير بعيد ثم حضر فعاتبه سليمان –عليه السلام– على مغيبه وتخلُّفه، فقال له الهدهد: علمت ما لم تعلمه من الأمر على وجه الإحاطة، وجئتك من مدينة (سبأ) بـ (اليمن) بخبر خطير الشأن، وأنا على يقين منه.

فقد اختلف القراء في قراءة (مكث)، فقرأ سائر القراء (فمكُث). بضم الكاف إلا ما روي عن (عاصم) من فتحها، وهما لغتان، والاختيار عند النحويين الفتح لأنّه لا يجيء اسم فاعل من فَعَل يفعُل بالضم إلّا على وزن: (فَعِيل) إلّا الأقل: كقولهم: (حامض)، و(فاضل)[3]، قال أَبو منصور:

()1 الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، ص267.

()2 لسان العرب، ابن منظور، مج2، ج10/ص809.

()3 الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، ص270.

اللغة العالية مَكُثَ، وهو نادر؛ ومَكَثَ جائزة وهو القياس. ألا ترى أنّه يقال: مكث فهو ماكثٌ، ولا يقال: مكيث[1].

المُكْثُ: الأَناةُ واللَّبَثُ والانتظار؛ مَكَثَ يَمْكُثُ، ومَكُثَ مَكْثًا ومُكْثًا ومُكوثًا ومَكاثًا ومَكاثةً ومِكِّيثَم[2].

مكث بالفتح الأشهر وليس الضم، لأنّ الحوار بين الهدهد وسليمان تحتاج إلى الخفة، فجاءت الفتحة تتناسب للخفة في حديث الهدهد مع سليمان؛ لأنّ المُكث هو مصدر من الفعل مكَث، واسم الفاعل ماكث، والماكث بعد الميم ألف والفتحة أنسب إلى الألف وليس الضمة.

مَكَثَ: فعل ماضٍ مبني على الفتح، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو.

()1 لسان العرب، ابن منظور، مج6، ج47/ص4246. معاني القراءات وعللها، للأزهري، ج2/ص235.

()2 لسان العرب، مج 6، ج47/ص4246.

المطلب الثالث: صيغة المبالغة

تعريف صيغة المبالغة واختلاف العلماء في عددها

جاء في كتاب سيبويه: إنّها تُسمي المثال، أو أمثلة المبالغة وهي تحويل لصيغة فاعل الدالة على اسم الفاعل؛ لإفادة المبالغة والكثرة(1).

وهي "أسماء أو أبنية مخصوصة تُفيد التنصيص على التكثير أو المبالغة في حدث اسم الفاعل، كمًا أو كيفًا"(2).

وقيل: إنَّ مفهوم مصطلح صيغة المبالغة هو: "كل وصف مشتق من فعل لازم أو متعد، مجرد أو مزيد، صحيحٍ أو معتل، يدل على ذات، ووصف قائم بهذه الذات التي صدر منها هذا الفعل أو توجه منها، بشرط أن يكون الوصف دالًا على المبالغة بقوته، أو بكثرته، أو بتكراره أو بمجموع هذه الأمور (3) فصيغ المبالغة محولة عن صيغة (فاعل) لكنها تفيد من الكثرة ما لا تفيده صيغة فاعل.

وذلك كأن نتحدث عن شخص يكذب في حديثه، فنقول: فلان كاذب فإذا أردنا أن نبين كثرة كذبه، ونبالغ في وصفه بهذا المعنى: نقول: فلان كذَّاب، فكلمة (كذّاب) تفيد من كثرة الكذب والمبالغة فيه ما لا تفيده كلمة (كاذب).

وهذا يعني أنّ صيغة المبالغة تشبه اسم الفاعل في أنّها تدل على أمرين: معني مجرد، وذات قامت بفعله، لكنّها تختلف عنه في دلالتها على الكثرة والمبالغة.

---

(1) الكتاب، لسيبويه، ج١/ص١١٠.

()2 المغني في علم الصرف، عبد الحميد مصطفى السيد، ص٢٠٤.

()3 علم الصرف العربي، أصول البناء وقوانين التحليل، صبري المتولي، ص٦١.

التعدد في أبنية صيغة المبالغة:

لقد وقع علماء اللغة في خلافٍ حول عدد هذه الصيغ، وتوقف القدماء عند خمسة منها عدُّوها أكثر صيغ المبالغة شيوعًا واستخدامًا، وسموها صيغ المبالغة القياسية: وهي ما حُول للمبالغة من (فاعِل) إلى: فعَّال، أو مِفْعال، أو فَعول، بكثرة أو فَعِيل، أو فَعل بقلة[1].

ومن أمثلة هذه الأوزان:[2]

- فعَّال، نحو: أكَّال– شرّاب، مِفْعال نحو: مِنحار.
- فَعول، نحو: غَفُور– شكُور، فَعيل نحو: سَميع.
- فَعِل، نحو: حَذِر.

وأحالوا ما دل على المبالغة من غير تلك الصيغ إلى السَّماع، وسموها صيغ المبالغة السَّماعية: ومن هذه الأوزان:

- فُعُّول، نحو: قُدُّوس، سبُّوح.
- فعِّيل، نحو: سِكِّير، قدِّيس، شِرِّير.
- مِفعيل، نحو: مِسْكِين، مِنطِيق.
- فَيعُول، نحو: قَيَّوم.
- فُعَلة، نحو: هُمَزة ولُمَزة.
- فُعَّال، نحو: كُبَّار.
- فَاعُول، نحو: فَارُوق.
- فُعَال، نحو: طوَال.

()1 شذور الذهب، لابن هشام، ص٣٩٢.

()2 الطريف في علم التصريف، عبد الله محمد الأسطي، ص٢٤٤.

الصياغة الصرفية لأبنية المبالغة:

تُصاغ أمثلة المبالغة على أوزان مشهورة، خلافًا لاسم الفاعل الذي يُصاغ وفق قواعد وقوانين تكاد تكون مطردة، كما مرَّ بنا وقد ورد في صياغتها:

- تصاغ أمثلة المبالغة من الفعل الثلاثي المتعدى خلافًا للصفة المشبهة التي تشتق من اللازم، وقد اشترط النحويون والتصريفيون في صياغتها، أن تكون مبنية من الفعل الثلاثي، إلّا أنّه قد ثبت أنّ هنالك ألفاظًا قد صيغت من الفعل الرباعي؛ وذلك نحو: درّاك من أدرك، ورشَّاد من أرشد، وبصير من أبصر، ونذير من أنذر ومعطاء من أعطي...)[1].

- إنّ صيغ المبالغة تُصاغ من الفعل الثلاثي: لازمًا كان، نحو: حنَّان من (حنَّ)، أو متعديًا، نحو: علِيم من (عَلِم)، أو مجردًا، نحو: صبور من صَبَر، أو مزيدًا، نحو: نذير من أَنْذر، أو صحيحًا، نحو: حَذِرٌ من حَذِر، أو معتل، نحو: مَشَّاء من مَشَي.

ومما جاء (فعيل) به بمعنى (مفعول) دالًا على المبالغة والتكثير، ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني، ما يلي:

(كَظِيمٌ)

والكاظم: الممسك على ما في نفسه من الغيظ، وفي التنزيل ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُو كَظِيمٌ﴾ (يوسف: 84).

ورد هذا الفعل في سورة يوسف، في قصة سيدنا يعقوب– عليه السلام– مع أبنائه بعدما عادوا إليه بدون سيدنا يوسف. فأعرض سيدنا يعقوب– عليه السلام– عن أولاده، وقد ضاق صدره بما قالوه، وقال: يا حسرتا على يوسف وابيضَّتْ عيناه، بذهاب سوادهما مِن شدة الحزن فهو ممتلئ القلب حزنًا، ولكنّه شديد الكتمان له.

()1 المغني على الصرف، عبد الحميد مصطفى السيد، ص٢٠٥ (بتصرف).

وجاء في الكشاف في التفسير ويكون الكظيم بمعنى المكظوم "فهو مملوء من الغيظ على أولاده، ولا يظهر ما يسوءهم، وفعيل بمعنى مفعول"(1).

كَظَمَ الرجلُ غيظَه إذا اجترعه. كَظَمه يَكْظِمه كَظْمًا: ردَّه وحبَسَه، فهو رجل كَظِيمٌ، والغيظ مكظوم(2).

فصيغة كظيم هنا على وزن وفعيل بمعنى مفعول وهي للمبالغة والكثرة، وهي تتناسب مع معنى القصة القرآنية، وهو الظاهر اللائق المعبر عن حال يعقوب –عليه السلام–.

كَظِيمٌ: خبر المبتدأ مرفوع بالضمة.

(رضيّ)

في قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًا﴾ (مريم: 6)؛ أي: مرضي.

ورد هذا الفعل في سورة مريم، في قصة سيدنا زكريا –عليه السلام– ودعاؤه وتوسله إلى الله بأن يرزقه ولدًا صالحًا. دعا زكريا – عليه السلام– ربه قائلًا: ارزقني مِن عندك ولدًا وارثًا ومعينًا. يرث نبوَّتي ونبوة آل يعقوب، واجعل هذا الولد مرضيًا منك ومن عبادك.

فصيغة رَضِيًّا هنا على وزن فعيل بمعنى مفعول وهي للمبالغة والكثرة، وهي تتناسب مع معنى القصة القرآنية، فسيدنا زكريا –عليه السلام– يطلب ولدًا معينًا ليرثه النبوة، ويمتلك الرضا من الله ومن العباد حتى يستطيع هذا الولد تحمل هذا الحمل والعبء، ولا يتأتى له ذلك إلّا إذا كان مرضيًا من الله ومن العباد.

رضيّ: الرِّضا، مقصورٌ: ضدُّ السَّخَطِ. رَضِيَ يَرْضى رِضًا ورُضًا ورِضْوانًا ورُضْوانًا.

رَضِيًّا: مفعول به ثانٍ منصوب بالفتحة.

()1 الكشاف، للزمخشري، ج2/ص339.

()2 لسان العرب، ابن منظور، مج5، ج43/ص3749.

ومما ورد من آيات القصص القرآني على زنة فعول، ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني، ما يلي:

(ذَلُولٌ)

في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ (البقرة: 71).

ورد هذا الفعل في سورة البقرة، في قصة موسى- عليه السلام- مع بني إسرائيل وجدالهم في معرفة وصف البقرة، قال موسى- عليه السلام- لبني إسرائيل: إنّ الله يقول: إنّها بقرة غير مذللة للعمل في حراثة الأرض للزراعة، وغير معدة للسقي من الساقية، وخالية من العيوب جميعها، وليس فيها علامة من لون غير لون جلدها. قالوا: الآن جئت بحقيقة وصف البقرة، فاضطروا إلى ذبحها بعد طول المراوغة، وقد قاربوا ألّا يفعلوا ذلك لعنادهم. وهكذا شددوا فشدَّد الله عليهم.

أي مذلَلة للعمل، يقال: دابة ذلول أي ريِّضة زالت صعوبتها، فقوله "لا ذلول "أي: ليست مُسَخَّرة لحراثة الأرض[1].

الذُّلُّ: نقيض العِزِ، ذلَّ يذِلُّ ذُلًا وذِلَّة وذَلالة ومَذَلَّة، فهو ذَلِيل بَيِّن الذُّلِ والمَذَلَّة من قوم أَذِلاَّء وأَذِلَّة وذِلال[2].

فصيغة ذلولٌ هنا على وزن فعول وهي للمبالغة والكثرة، وهي تتناسب بالنفي مع معنى القصة القرآنية، فسيدنا موسى -عليه السلام- يصف لهم البقرة، ويبين لهم أنها بقرة معززة ويوضح لهم صفاتها حتى لا يؤذوها، ولكنهم اضطروا إلى ذبحها بعد طول المراوغة، وقد قاربوا ألّا يفعلوا ذلك لعنادهم.

لا ذَلُولٌ: لا نافية، ذلول صفة لبقرة مرفوعة بالضمة، أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره هي؛ أي: لا هي ذلولٌ.

()1 صفوة التفاسير، للصابوني، ج1/ص66-67.

()2 لسان العرب، ابن منظور، مج3، باب الذال، ص1513.

ومما جاء على زنة (فعّيل) في آيات القصص القرآني:

(صدّيقة)

في قوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ (المائدة: 75).

ورد هذا الفعل في سورة المائدة، في قصة المسيح ابن مريم –عليه السلام– وأمّه. وما المسيح ابن مريم عليه السلام إلّا رسولٌ كمن تقدمه من الرسل، وأُمُّه قد صَدَّقت تصديقًا جازمًا علمًا وعملًا وهما كغيرهما من البشر يحتاجان إلى الطعام، ولا يكون إلهًا مَن يحتاج إلى الطعام ليعيش. فتأمَّل –أيّها الرسول– حال هؤلاء الكفار. لقد وضحنا العلاماتِ الدالةَ على وحدانيتنا، وبُطلان ما يَدَّعونه في أنبياء الله. ثم هم مع ذلك يَضِلُّون عن الحق الذي نَهديهم إليه، ثم انظر كيف يُصرفون عن الحق بعد هذا البيان؟

صدّيق[1]: الصدق: نقيض الكذب، ورجل صَدُوق: أبلغ من صادق، والصِدّيق: الدائم التصديق، ويكون الذي يصدّق قوله بالعمل. والصِّدْق: نقيض الكذب، صَدَقَ يَصْدُقُ صَدْقًا وصِدْقًا وتَصْداقًا. وصَدَّقه. ورجل صِدْقٌ وامرأَة صِدْقٌ: وُصِفا بالمصدر، وصِدْقٌ صادِقٌ كقولهم شِعْرٌ شاعِرٌ، يريدون المبالغة والإشارة. والصِّدِّيقُ: الدائمُ التَّصْدِيقِ، ويكون الذي يُصَدِّقُ قولَه بالعمل؛ والصِّدِّيقُ: المُصَدِّقُ[2].

وفي قوله تعالى: ﴿وأمه صديقة﴾؛ أي: مبالغة في الصدق والتصديق[3] "على النسب؛ أي: ذات تصديق". فصيغة صدّيقةٌ هنا على وزن فعيل وهي للمبالغة والكثرة، وهي تتناسب مع معنى القصة القرآنية، فمريم– عليها السلام– كانت صادقة علمًا وعملا، فهما مثل البشر في كل شيء، لكن هذا ديدن الكفار يكذبون ويجحدون بآيات الله.

أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ: مبتدأ وخبر.

()1 من الصيغ غير القياسية للمبالغة.

()2 لسان العرب، ابن منظور، مج4، باب الصاد، مادة (ص د ق)، ص2417.

()3 معاني القرآن، للزجاجي، ج7/ص19.

المطلب الرابع–اسما الزمان والمكان

الزمان لغةً: الزمن والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره، وفي المحكم: الزمن والزمان العصر، والجمع أزمن وأزمان وأزمنة[1].

المكان لغةً: عرف المعجميون والمفسرون المكان بمعانٍ متقاربة، فرأى بعضهم أنّ المكان يعني: الموضع[2]. ورأى آخرون أنّ المكان: موضع الكينونة[3]، ورأى غيرهم أنّه موضع الاستقرار [4].

اسما الزمان والمكان اصطلاحًا:

الزمان: تعريف الطبري: "الزمان اسم ساعات الليل والنهار، وهي مقادير قطع الشمس والقمر ودرجات الفلك"[5].

ويعرّفه الزركشي بقوله: "هو مقدار حركة الفلك"[6].

المكان: هو ما يدل على مكان وقع فيه الحدث[7].

اسما الزمان والمكان مشتقان موضوعان لمكان الفعل أو زمانه باعتبار وقوع الفعل فيهما مطلقا من غير تقييد بشخص أو زمان وهما من الألفاظ المشتركة[8].

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مج3، ج21، مادة (ز م ن)، ص1867.

(2) المرجع السابق، مج6، ج47، مادة (م ك ن)، ص4250.

()3 المرجع السابق نفسه.

()4 نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي، ج1/ص260.

()5 تاريخ الأمم والملوك، للطبري، ص11.

()6 البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ص123.

()7 جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ج3/ص38.

()8 شرح مختصر التصريف العزي في فن الصرف، لسعد الدين التفتازاني، ج1/ص184.

اسما الزمان والمكان مشتقان مبدوءان بميم زائدة للدلالة على زمانٍ ومكانٍ وقوع الفعل، ويصاغ الاسمان من الفعل الثلاثي المجرد على وزن (مَفْعَل) و(مَفْعِل) نحو: مَلْعَب ومَجلِس، ومن غير الثَّلاثي على وزن اسم المفعول من غير الثلاثي[1].

الغرض من الإتيان بأبنيتهما:

الغرض من الإتيان بأبنية اسمي المكان والزمان هو الإيجاز والاختصار، إذ تصبح للكلمة الواحدة واللفظة المنفردة دلالة على أمرين معًا؛ هما: المعنى المجرد مزيدًا عليه مكان وقوعه أو زمان وقوعه[2].

ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني، ما يلي:

(مهلك):

في قوله تعالى: ﴿وَكانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ قالُوا تَقاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ ما شَهِدْنا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصادِقُونَ﴾ (النمل: 49).

ورد هذا الفعل في سورة النمل، في قصة التسعة الذين تأمروا على قتل سيدنا صالح- عليه السلام-. قال هؤلاء التسعة بعضهم لبعض: تقاسموا بالله بأن يحلف كل واحد للآخرين: لنأتينَّ صالحًا بغتةً في الليل فنقتله ونقتل أهله، ثم لنقولَنَّ لوليّ الدم مِن قرابته: ما حضرنا قتلهم، وإنّا لصادقون فيما قلناه.

فقد اختلف القراء في قراءة (مهلك): فمهلك: وهو من الأسماء الدالة على هلاك الإنسان. ومهلك في اللسان: هلك يهلك... هلاكا: مات[3].

()1 الكتاب، لسيبويه، ج4/ص93/87. المقتضب، للمبرد، ج1/ص74.

()2 النحو الوافي، عباس حسن، ج3/ص318. وانظر: الضياء في تصريف الأسماء، مصطفى أحمد النماس، ص143.

()3 لسان العرب، ابن منظور، مج6، باب الهاء، مادة (هـ ل ك)، ص4686.

من معاني الهلاك: بطلان الشيء من العالم وعَدَمُه رأسا، وذلك المسمّى فناءً[1].

فقد قرئت بالاختلاف بين المصدر واسم المكان بين "مَهلِك ومُهلَك" فاختار الشَّوكاني (مُهلَك) اسم المكان، من خلال المعنى؛ أي: ما حضرنا مقتلهم ولا ندري من قتله وقتل أهله، ونفيهم لمشاهدتهم مكان الهلاك، والقراءة الأخرى التي جاءت بالمصدر، التي بمعنى عملية الإهلاك[2].

فقد قرأها حفص عن عاصم باسم المكان الذي يتناسق مع اختيار الشوكاني والتفسير لها[3]، وقرأها الأعمش والبرجمي بفتح الميم واللام على المصدر الذي أرادوا به الهلاك من أهلك[4].

في الكشاف: مهلك بفتح الميم واللام وكسرها من هلك، ويحتمل الزمان، فالمهلك في الآية دال على حالة من حالات الإنسان في زمن ما وهي حالة موته وفنائه[5].

لعل الراجح (مُهلَك) اسم المكان، وهي تتناسب مع معنى القصة القرآنية؛ أي: أنّهم ما حضروا مقتلهم، ولا يدرون من قتله وقتل أهله، ونفيهم لمشاهدتهم مكان الهلاك. فهم بذلك ينفون معرفتهم؛ أي: شيء حول مقتلهم.

مهلك: مفعول به منصوب بالفتحة.

(مُقام):

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (الأحزاب: 13).

()1 المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص844.

()2 فتح القدير، للشوكاني، ج4/ص139.

(3) حجة القراءات، لابن خالويه، ص531. الكشاف، للزمخشري، ج2/ص455. البحر المحيط، أبو حيان، ص65. الكشف، للقيسي، ج2/ص65.

()4 الحجة، لابن خالويه، ص272/227. وإعراب القراءات السبع وعللها، لابن خالويه، 54/2. الكشاف، للزمخشري، ج2/ص862.

()5 السبعة، لابن مجاهد، ص445. الحجة، لابن خالويه، ص256.

ورد هذا الفعل في سورة الأحزاب، في قصة الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- وطائفة من المنافقين في المدينة. واذكر -أيها النبي- قول طائفة من المنافقين منادين المؤمنين من أهل "المدينة": يا أهل "يثرب"-وهو الاسم القديم "للمدينة"- لا إقامة لكم في معركة خاسرة، فارجعوا إلى منازلكم داخل "المدينة"، ويستأذن فريق آخر من المنافقين الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالعودة إلى منازلهم بحجة أنّها غير محصنة، فيخشون عليها، والحق أنّها ليست كذلك، وما قصدوا بذلك إلّا الفرار من القتال.

فقد اختلف القراء في قراءة (مقام): قرأ حفص عن عاصم والسلمي والأعرج واليماني: (لا مُقام لكم) مضمومة الميم لا إقامة لكم والمُقام: اسم الموضع – اسم مكان على معنى: لا موضع قيام لكم وقيل للمجلس والمشهد: مقام ومقامة. وقرأ الباقون: (لا مَقام لكم) مفتوحة الميم: لا مكان لكم تقومون فيه[1].

فالمقام: يحتمل أمرين، أن يكون مكانًا؛ أي: لا مكان إقامة؛ لأنّه في معنى من فتح فقال: (لا مقام لكم)؛ أي: ليس لكم موضع تقومون فيه واحتمل أن يكون مصدرًا؛ أي: لا إقامة[2].

القيامُ: نقيض الجلوس، قام يَقُومُ قَوْمًا وقِيامًا وقَوْمة وقامةً، والقَوْمةُ المرة الواحدة. والمُقامة، بالضم: الإقامة. والمَقامة، بالفتح: المجلس والجماعة من الناس[3].

لعل الراجح (مُقام) اسم المكان، وهي تتناسب مع معنى القصة القرآنية؛ أي: لا إقامة لكم في معركة خاسرة، فأرادوا العودة إلى منازلهم، وذلك لأنّهم أرادوا الفرار من المعركة.

لا مقام: لا نافية للجنس، مُقامَ اسم لا النافية للجنس مبني على الفتح في محل نصب.

()1 الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، ج5/ص471. حجة القراءات، لابن خالويه، ص574.

()2 البحر المحيط، لأبي حيان، ج8/ص460. وانظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، مج6، ج14/ص148. وانظر: (مُرتَفَقًا) الكهف: 29. روح المعاني، للألوسي، ج15/ص151.

()3 لسان العرب، ابن منظور، مج5، ج42/ص3781.

(مُنزَلًا):

في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾(المؤمنون: 29).

ورد هذا الفعل في سورة المؤمنين، في قصة سيدنا نوح –عليه السلام– وهو يدعو الله المنزلة المباركة والخير الوفير. (وَقُل) يا نوح رَّبِّ أنزلني إنزالًا، أو مكان إنزال مباركًا. أي مليئًا بالخيرات والبركات، خاليًا مما حل بالظالمين من إغراق وإهلاك. وَأَنتَ يا إلهي خَيْرُ المنزلين بفضلك وكرمك في المكان الطيب المبارك.

فقد اختلف القراء في قراءة (منزلًا) في القراءة بين الفتح والكسر، (مُفعِل، ومَفعَل): فقد قرأ الجمهور (مُنزَلًا) بضم الميم وفتح الزاي، على المصدر، وقرأ زر بن حبيش وأبو بكر عن عاصم والمفضل (مَنزِلًا) بفتح الميم وكسر الزاي، على أنَّه اسم مكان[1].

فالقراءة الأولى جاءت بمعنى أنزلني إنزالًا مباركًا، والثَّانية أنزلني مكانًا مباركًا، والفتح للميم والزاي، بمعنى الحلول[2].

جاء في مشكل إعراب القرآن: يجوز أن يكون اسمًا للمكان كأنّه قال أنزلني مكانًا أو موضعًا، كأنّه قال: اجعل لي مكانًا[3].

قال ابن مجاهد: واختلفوا في فتح الميم وضمها من قوله (منزلًا) فقرأ عاصم في رواية أبي بكر: (مَنزِلًا) بفتح الميم وكسر الزاي، وقرأ الباقون وحفص عن عاصم (مُنزَلًا) بضم الميم وفتح الزاي[4].

قال الألوسي: "مُنزَل مصدر جاء على زنة اسم مفعول... وجوز أن يكون اسم مكان"[5].

()1 فتح القدير، للشوكاني، ج3/ص479.

()2 إعراب القرآن، للنحاس، ج2/ص417. معاني القرآن، للزجاج، ج4/ص11. فتح القدير، للشوكاني، ج4/ص479.

()3 مشكل إعراب القرآن، للقيسي، ج2/ص499.

()4 السبعة، لابن مجاهد، ص445.

()5 روح المعاني، للألوسي، ج22/ص109.

فالاختلاف في القراءتين يقع في قراءة المصدر وقراءة اسم المكان، فالمعنى يتناسق مع القراءتين، إذ إنّ القراءة الأولى التي تدل على المصدر، جاءت دالة على الحدث المبهم غير المحدد، وهو عملية الإنزال؛ إي: إنزالًا مباركًا، وأما الثَّانية فقد حددت وحصرت، فقد حصرت عملية النزول بمكان أو موضع مباركٍ اختاره الله –عز وجل–[1].

النُّزُول: الحلول، وقد نَزَلَهم ونَزَل عليهم ونَزَل بهم يَنْزل نُزُولًا ومَنْزَلًا ومَنْزِلًا. والمُنْزَلُ: الإِنْزال، تقول: أَنْزِلْني مُنْزَلًا مُباركًا. ونَزَّل القومَ: أَنْزَلهم المَنازل. وتَزَّل فلان عِيرَه: قَدَّر لها.

المَنازل. وقوم نُزُل: نازِلون. والمَنْزِل والمَنْزِلة: موضع النُّزول[2].

لعل الراجح (مُنزَلًا) اسم المكان، وهي تتناسب مع معنى القصة القرآنية؛ أي: أنّ عملية النزول قد حَددت بمكان مباركٍ اختاره الله –عز وجل–.

مُنزَلًا: مفعول مطلق منصوب بالفتحة.

(1) السبعة، لابن مجاهد، ص445. الحجة في القراء السبع، لأبي علي الفارسي، ص256. حجة القراءات، لابن خالويه، ص446.

()2 لسان العرب، ابن منظور، مج6، ج49/ ص4399.

المبحث الخامس

الجموع

جَمَعَ الشيء عن تَفرِقة يَجمَعُه جَمعًا وجَمَّعَه وأَجمَعَه فاجتَمع وهي مضارعة، وكذلك تجمَّع واستجمع والمجموع الذي جُمع من ههنا وههنا، وإن لم يجعل كالشيء الواحد، واستجمع السيلُ إذا جئت به من ههنا وههنا، وتجمَّع القوم اجتمعوا- أيضًا- من ههنا وههنا. وجمعت الشيء المتفرق فاجتمع. والجمع: مصدر قولك جمعت الشيء. وقد يكون اسمًا لجماعة الناس، ويجمع على جموع[1].

وتبلغ أهمية الجمع في اللغة العربية في الاستغناء عن التكرار والعطف، فبدلًا من أن نقول جاء رجلٌ ورجلٌ ورجلٌ، نقول: جاء رجالٌ.

وعرفه الرماني (ت 384هـ) بأنه: "الجمع صيغة مبنية من الواحد للدلالة على العدد الزائد على الاثنين"[2].

عرف ابن الحاجب (ت 646هـ) الجمع بأنه: "ما دل على آحاد بحروف مفرده بتغيير ما"[3].

فالجمع اسم ناب عن ثلاثة فما أكثر، إما بزيادة في آخره، أو تغيير في بنائه[4]، فهو تغيير للاسم ولو تقديرًا، إما بالزيادة، وإما بنقصانه[5]، فالجمع صيغة عددية تدل على العدد الذي يزيد على ثلاثة، والأصل فيه العطف، إلَّا أنَّهم كرهوا التكرار فمالوا إلى الاختصار فكان الجمع أولى[6]،

()1 تهذيب اللغة، للأزهري، ج1/ص397. لسان العرب، ابن منظور، مج1، ج8، مادة (ج م ع)، ص678.

()2 رسالة الحدود، لأبي الحسن الرماني، ج1/ص3.

()3 شرح الرضي على الكافية، لابن الحاجب، ج3/ ص365.

(4) إيجاز التعريف في علم التصريف، للطائي، ص29.

()5 عنقود الزواهر في الصرف، علاء الدين القوشجي، ص413.

()6 أسرار العربية، الأنباري، ص48.

فالجمع كل اسم يدل على عدد ثلاثة فما فوق، وبالنظر إلى هذا النوع من الجمع وإلى تقسيماته، التي قسمه العلماء إلى قسمين: ما كان جمعًا سالمًا والآخر جمعًا مكسرًا[1].

المطلب الأول: جمع المذكر السالم

تعريفه:

عرف هذا النوع من الجموع بمسميات عديدة قبل أن يستقر عنوانًا بمعناه الاصطلاحي الذي عرف عند كثير من النحاة بـ"الجمع المذكر السالم".

فقد عبر عنه سيبويه (ت 180هـ) بقوله: "وإذا جمعت على حد التثنية لحقتها زائدتان، واو مضموم ما قبلها في الرفع، وفي الجر والنصب ياء مكسور ما قبلها"[2].

وقال المبرد (ت 285هـ) في بيان تسميتهم إياه "جمعًا على حد التثنية: وإنّما كان كذلك لأنّك إذا ذكرت الواحد نحو قولك، مسلم، ثم ثنيته أديت بناءه كما كان ثم زدت عليه ألفًا ونونًا أو ياءً، ولم تغير بناء الواحد عما كان عليه"[3].

هو الجمع الذي يزاد لمفرده، واو ونون في حالة الرفع، وياء ونون في حالتي النصب والجر، ويشترط فيه أن يبقى مفرده على صورته الأساسية عند الجمع، فالواو التي تكون للرفع عوضًا عن الضم التي أُشبعت صوتًا خالصًا، والياء عوض عن الكسرة التي أُشبعت صوتًا خالصًا[4]، أما النَّون فهي عوض عن الحركة والتَّنوين.

فبما أنّ العربية من اللغات الاشتقاقية، ولضخامتها تحتاج إلى تصريف، وبدورها تختلف عن النهايات التصريفية الأخرى[5]، التي تخص الجذر[6]، فهي تقبل دخول اللواحق التي تأتي

---

(1) شرح ابن عقيل، ج2/ص452.
(2) الكتاب، لسيبويه، ج1/ص180.
(3) المقتضب، للمبرد، ج1/ص8.
(4) إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، ص111.
(5) أسس علم اللغة، ماريو باي، ص57.
(6) محاضرات في اللسانيات، أحمد الشايب، ص318.

بعد الجذر، ويطلق عليها الكواسع التي تأتي بعد الأصل، أو الزوائد[1] الكسعيَّة[2]، وهذه اللاصقة تُعدُّ من أكثرها شيوعًا، التي تخص الواو والنون والياء والنون[3]، وتستخدم في جميع التشكيلات المعجمية، وهذه الزوائد التي تلحق المفرد، نحو: لاعب لاعبون أو لاعبين[4].

وتُعدُّ هذه اللواحق من المورفيمات المتعددة الدلالة المقيدة[5]، وهي دلالة عددية فقط، ذات وظيفة مزدوجة تخص الأسماء والأفعال[6]، في حالات الرفع والنصب والجر[7].

وهذا الجمع السالم المذكر مأخوذ من نوعين أو قسمين، جامد ومتصرف، فالجامد الذي لم يؤخذ من غيره ويختص بالعلم[8].

ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني، ما يلي:

(بَادُونَ):

في قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ (الأحزاب:20).

ورد هذا الفعل في سورة الأحزاب، في قصة المنافقين والأحزاب. يظن المنافقون أنّ الأحزاب الذين هزمهم الله تعالى شر هزيمة لم يذهبوا؛ ذلك من شدة الخوف والجبن، ولو عاد الأحزاب إلى "المدينة" لتمنَّى أولئك المنافقون أنهم كانوا غائبين عن "المدينة" بين أعراب البادية، يستخبرون عن أخباركم ويسألون عن أنبائكم، ولو كانوا فيكم ما قاتلوا معكم إلّا قليلًا لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم.

()1 علم الصرف الصوتي، عبد الجليل عبد القادر، ص75.

()2 محاضرات في اللسانيات، أحمد الشايب، ص318.

()3 علم الصرف الصوتي، عبد الجليل عبد القادر، ص70.

()4 محاضرات في اللسانيات، لأحمد الشايب، ص318.

()5 دلالة اللواصق التصريفية في العربية، أشواق محمد النجار، ص36.

()6 المرجع السابق، ص162.

()7 محاضرات في اللسانيات، أحمد الشايب، ص292.

()8 النحو الوافي، عباس حسن، ج1/ص139.

فقد قرئت (بادون) باديون لأنّ الأصل بادي من بدا يبدو بداوة[1]، فهو يعد محمولًا على الصحيح السالم، إلَّا أنَّها دخلت في باب جمع التكسير نحو قُضاة وبُداة[2]. بدا: بَدا الشيءُ يَبْدُو بَدْوًا وبداوة وبُدُوًّا وبَداءً وبَدًا[3].

أما عند النظر إليها من خلال التوالي والثقل الذي حلله العلماء، بالإعلال والإبدال اللغوي لهذه القراءة فهي كالآتي:[4]

بادون: اسم فاعل من الثلاثيّ بدا، وزنه فاعون؛ فهي من بادوون فتم التخلص من صوت الواو وبقاء الحركة وهو ما لا ترضاه العربية، ببدء المقطع بحركة، فمالت إلى مطل الحركة نحو: بَادِون، ومن ثم مطل الحركة لتصبح حركة ممطولة، نحو: باديون فقد أثرت الكسرة في الواو فتحولت إلى شبه حركة ياء.

فقراءة (بادون) تتناسب مع معنى القصة القرآنية، فبادون كاسم الفاعل، الفعل له بدا يبدو، مثل غزا يغزو، واسم الفعل من غزا غازو، وبدا بادو على الأصل. ولا يجوز بادو لأن وزن فاعل كسر العين، وحين نضع كسره على الدال وبعدها واو الكسرة لا تتناسب مع الواو فتقلب إلى ياء بادي، مثل دعا يدعو داعي.

جمع المذكر السالم باديون الأصل لا يصح باديون لالتقاء ساكنين، سكون الياء بادي اسم منقوص، والواو علامة رفع لجمع المذكر السالم، والواو أقوى لأنّها تدل على جمع المذكر السالم وهي دلالة صرفية، وتدل الواو على علامة رفع للإعراب، وهي دلالة إعرابية، والواو أقوى من الياء، فالواو لأنّها أقوى حذفت الياء فأصبحت بادون على وزن فاعون، حذفت اللام لأنّها تقابل الياء، مثل: قاضون، وكلمة بادون مناسبة للقصة، لأنّ المنافقين كانوا يتخفون في البادية، ونسبوا إليها، ويصعب التعرف عليهم؛ لأنّ البادية واسعة ويصعب التعرف على من يتخفى فيها.

بادُونَ: خبر أنّ مرفوع بالواو لأنه جمع مذكر سالم.

()1 فتح القدير، للشوكاني، ج4/ص263.

()2 إعراب القرآن، للنحاس، ج3/ص309.

()3 لسان العرب، ابن منظور، مج1، ج4/ص234.

()4 مختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه، ص120.

المطلب الثاني: جمع المؤنث السالم: تعريف الجمع وأنواعه

هو ما دل على أكثر من اثنين بسبب زيادة في آخره، مع سلامة بناء مفرده، مثال: هند – هندات، فاطمةُ–فاطمات[1]. أغنى عن عطف المترادفات المتشابهة في المعنى والحروف، والحركات بعضها على بعض، وتلك الزيادة هي الألف والتاء في آخره[2].

والتأنيث فرع التذكير ويحتاج إلى علامة تدل عليه[3]، فكل اسم جمِع بألف وتاء[4] زائدتين يكون جمعًا مؤنثًا، واشترط في المؤنث السالم أن تكون الألف والتاء زائدتين، وهو مأخوذ من المفرد المؤنث[5]، نحو: مسلمة مسلمات، والأصل في مسلمات مسلمات، إلَّا أنَّهم حذفوا التَّاء الأولى؛ لئلا يجمعوا بين علامتي التأنيث في كلمة واحدة، فتم حذف التَّاء الأولى؛ لأنَّها تدل على التأنيث فقط، أما التَّاء الثَّانية، فهي تدل على التَّأنيث والجمع معا فكانت أبقى[6].

ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني، ما يلي:

(نَحِساتٍ):

في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ (فصلت: 16).

ورد هذا الفعل في سورة فصلت، في قصة قوم عاد وإرسال الريح الشديدة عليهم. فأرسلنا عليهم – قوم عاد– ريحًا شديدة البرودة عالية الصوت في أيام مشؤومات عليهم؛ لنذيقهم عذاب الذل والهوان في الحياة الدنيا، ولَعذاب الآخرة أشد ذلا وهوانًا، وهم لا يُنْصَرون بمنع العذاب عنهم.

()1 جامع الدروس العربية، ج3/ص34. قواعد اللغة العربية المبسطة، عبد اللطيف السعيد، ص13.

()2 جموع التصحيح والتكسير في العربية، عبد المنعم عبد العال، ص20.

(3) شرح المكودي على ألفية ابن مالك، ج2/ص763.

()4 همع الهوامع، للسيوطي، ج1/ص77.

()5 دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، عبدالله بن صالح الفوزان، ج1/ص69.

()6 أسرار العربية، الأنباري، ص60–61.

فقد اختلف القراء في قراءة (نحساتٍ): ففي لفظة "نَحِساتٍ" ورد الاختلاف فقد قرأها نافع وابن كثير وأبو عمرو، بإسكان الحاء، وقرئت بالتَّسكين على أنّها "نَحْس"[1] ومن قرأها بالسكون، اعتمد على أنَّها تفريق بين الاسم والصفة، نحو: عبلة عبلات، وصعبة صعبات[2]، وهذه القراءة سكنت سكونًا عارضًا، الذي يميل إلى التخفيف وفيها وصف مستقل على وزن " فَعلٌ"[3].

وقرأ الباقون (نحِساتٍ) بكسر الحاء بمعنى النَّحس الذي يخص الاسم، وحجتهم أنّ النحسات صفة تقول العرب: يوم نحِس، مثل: رجل هرم. وأنّه حمله على معنى النسب، كأنّه في التقدير، ذوات نحوس، فهو- أيضًا- صفة من باب فرق وبرق[4].

وهما لغتان بمعنى واحد يقال يوم نحِس ونحْس وأيام نحِسات ونحْسات؛ أي: مشائيم[5].

النَّحْسُ: الجهد والضُّر. والنَّحْسُ: خلاف السَّعْدِ من النجوم وغيرها، والجمع أَنْحُسٌ ونُحوسٌ. ويوم ناحِسٌ ونَحْسٌ ونَحِسٌ ونَحِيسٌ من أَيام نَواحِس ونَحْساتٍ ونَحِساتٍ، من جعله نعتًا ثقّله، ومن أَضاف اليوم إِلى النَّحْسِ فبالتخفيف[6].

فالقراءتان بأيهما قرأت تكون القراءة صحيحة، لأنّهما تتناسبان مع معنى القصة القرآنية في قسوة وشدة تلك الأيام، هما لغتان بمعنى واحد.

نَحِساتٍ: صفة لأيام مجرورة بالكسرة.

(آيَاتٌ):

في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ (يوسف: 7).

()1 فتح القدير، للشوكاني، ج4/ص491.

()2 الكشف، للقيسي، ج2/ص247. البحر المحيط، لأبي حيان، ج7/ص490-491. معاني القرآن، للزجاج، ج4/ص382.

()3 التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، ص1125. معاني القرآن، للأخفش، ج2/ص700.

()4 الكشف، للقيسي، ج2/ص247.

()5 حجة القراءات، لابن خالويه، ص635.

()6 لسان العرب، ابن منظور، مج6، باب النون، مادة (ن ح س)، ص4366.

ورد هذا الفعل في سورة يوسف، في قصة يوسف وإخوته والعبر المستفادة منها. لقد كان في قصة يوسف وإخوته عبر وأدلة تدل على قدرة الله وحكمته لمن يسأل عن أخبارهم، ويرغب في معرفتها.

فقد اختلف القراء في قراءة (آيات):

يقرأ (آيات) بالتوحيد والجمع[1]: قرأ ابن كثير بالتوحيد آية، وقرأ والباقون آيات بالجمع. فالحجة لمن وحد: أنّه جعل أمر يوسف عليه السلام كله عبرةً وآيةً. ودليله قوله: "لقد كان في قصصهم عبرة" (يوسف: 111). والحجة لمن جمع: أنّه جعل كلّ فعل من أفعاله آية فجمع لذلك. ووزن آية عند الفراء: فَعلَةٌ أيَّة. وعند الكسائي: فاعلة: (آيِيةٌ). وعند سيبويه: فَعَلَة: (أَيَيَة)[2].

الحجة لمن جمع، لأنّ أمر يوسف – عليه السلام– وشأنه وحديثه كان فيه عبر وآيات. ومن وحد جعل كل أموره عبرة واحدة؛ لأنّ الواحدة تنوب عن الجميع.

مع أنَّ القراءتين صحيحتان وتؤديان نفس المعنى إلّا أنّ الراجح هو قراءة الجمع، لأنّها تتناسب مع معنى آيات القصة القرآنية، لأن أمر يوسف – عليه السلام– وشأنه وحديثه كان فيه عبر وآيات؛ ولأنّ العبرة والعظة بكثرة الأفعال والمعجزات أبلغ من أن تكون في حدث واحد، أو في شخص واحد.

آياتٌ: اسم كان مؤخّر مرفوع بالضمة.

(رِسَالَاتِي):

في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ (الأعراف: 144).

ورد هذا الفعل في سورة الأعراف، في قصة خطاب الله –عز وجل– لموسى –عليه السلام– قال الله يا موسى: إنّي اخترتك على النّاس برسالاتي إلى خلقي الذين أرسلتك إليهم وبكلامي إياك

()1 إعراب القراءات السبع وعللها، لابن خالويه، ج1/ص299.

()2 الكتاب، لسيبويه، 398/4، والحجة في القراءات، لابن خالويه، ص193.

مِن غير وساطة، فخذ ما أعطيتك مِن أمري ونهيي، وتمسَّك به، واعمل به، وكن من الشاكرين لله تعالى على ما آتاك من رسالته، وخصَّك بكلامه.

فقد اختلف القراء في قراءة (رسالاتي). يقرأ (رسالاتي) بالتوحيد والجمع.

قرأ ابن كثير ونافع بالتوحيد؛ لأنَّ الرسالة الواحدة قد يكون معها كلمات. وقرأ الباقون بالجمع ليكون أشكل بالكلمات ويجوز أن يكون أرسله مرارًا[1]. فالحجة لمن وحَّد[2]: أنّ الله تعالى إنّما أرسله مرة واحدة بكلام كثير. والحجة لمن جمع: أنّه طابق بين اللفظين لتكون رسالاتي مطابقة لكلامي، وإن أراد بالجمع معنى الواحد كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (المؤمنون: 51) يريد نبينا –عليه السلام-.

الراجح هو قراءة الجمع، لأنَّها تتناسب مع معنى آيات القصة القرآنية، لأنّه طابق بين اللفظين لتكون رسالاتي مطابقة لكلامي، ويجوز أن يكون أرسله مرارًا مع الرسل والأنبياء قبله.

بِرِسالاتِي: اسم مجرور وعلامة جره الكسرة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم والياء في محل جر بالإضافة.

(خطيئته):

في قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فأولئك أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: 81).

ورد هذا الفعل في سورة البقرة، في قصة إبطال اليهود لمدعاهم، وإثبات لما نفوه، على وجه يشملهم ويشمل جميع من يقول قولهم، ويكفر كفرهم.. فحُكْمُ الله ثابت: أنّ من ارتكب الآثام حتى جَرَّته إلى الكفر، واستولت عليه ذنوبه مِن جميع جوانبه، وهذا لا يكون إلا فيمن أشرك بالله، فالمشركون والكفار هم الذين يلازمون نار جهنم ملازمة دائمةً لا تنقطع.

()1 إعراب القراءات السبع وعللها، لابن خالويه، ج1/ص207.

(2) الحجة في القراءات السبعة، لابن خالويه، ص163.

فقد اختلف القراء في قراءة (خطيئته): قرأ السبعة عدا نافعًا: (خطيئته) مفردًا، وقرأ نافع (خطيئاته) مجموعًا[1].

قراءة الجمهور: (خطيئته) بالإفراد، على أنّ المراد بالخطيئة جنسها، ومعناها: الشرك والسيئة يراد بها الذنوب، فهي بمعنى السيئات[2]، أو أنّها أفردت لتطابق لفظ السيئة المذكورة قبلها، وهما وإن أفردتا في اللفظ، معناهما الجمع وقد ثبت أنّ مجيء اللفظ مفردًا لا يمنع من دلالته على معنى الجمع والكثرة[3]. الخَطَأُ والخَطاءُ: ضدُّ الصواب. وقد أَخْطَأَ. وخَطَّأَه تَخْطِئةً وتَخْطِيئًا: نَسَبه إِلى الخَطا.

والخَطِيئةُ، على فَعِيلة: الذَّنْب، ولك أَن تُشَدّد الياء لأَنَّ كل ياء ساكنة قبلها كسرة، أَو واو ساكنة قبلها ضمة، وهما زائدتان للمدّ لا للإلحاق، ولا هما من نفس الكلمة، فإِنّك تَقْلِبُ الهمزة بعد الواو واوًا وبعد الياء ياءً وتُدْغِمُ وتقول في مَقْرُوءٍ مَقْرُوٍّ، وفي خَبِيءٍ خَبِيٍّ، بتشديد الواو والياء، والجمع خَطايا، نادر؛ وحكى أَبو زيد في جمعه خَطائئُ، بهمزتين، على فَعائل، فلما اجتمعت الهمزتان قُلبت الثانية ياء لأَن قبلها كسرة ثم استثقلت، والجمع ثقيل، وهو مع ذلك معتل، فقلبت الياء أَلِفًا ثم قلبت الهمزة الاولى ياءً لخفائها بين الأَلفين؛ الخَطِيئةُ فَعيلة، وجمعها كان ينبغي أَن يكون خَطائِئَ، بهمزتين، فاستثقلوا التقاء همزتين، فخففوا الأَخيرةَ منهما كما يُخَفَّف جائئٌ على هذا القياس، وكَرِهوا أَن تكون عِلَّتهُ مِثْلَ عِلّةِ جائِئٍ لأَن تلك الهمزة زائدة، وهذه أَصلية، فَفَرُّوا بِخَطايا إِلى يَتَامى، ووجدوا له في الأَسماء الصحيحة نَظِيرًا، وذلك مثل: طاهِرٍ وطاهِرةٍ وطَهارَى[4].

لعل الراجح هو قراءة الجمهور: (خطيئته) بالإفراد، لأنّها تتناسب مع معنى آيات القصة القرآنية، لأنّها في الإفراد تطابق لفظ السيئة المذكورة قبلها؛ فيكون سياق القصة سياقًا واحدًا، وهما ولإن أفردتا في اللفظ، معناهما الجمع ومجيء اللفظ مفردًا لا يمنع من دلالته على معنى الجمع والكثرة.

خَطِيئَتُهُ: فاعل مرفوع بالضمة، والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل جر مضاف إليه.

()1 السبعة، لابن مجاهد، ص162. التبصرة، لابن الجزري، ص254.

()2 الكشف، للقيسي، ج1/ص249.

()3 تفسير الطبري، ج2/ص182. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج2/ص226.

()4 لسان العرب، ابن منظور، مج2، ج14، مادة (خ ط أ)، ص1192.

المطلب الثالث: جمع التكسير

قال أبو البقاء العكبري: "وحدُّهُ: كل اسم جمع تغير فيه لفظ واحدِهِ، ومن هنا يسمى تكسيرًا لتغيير هيئة واحدة كما تتغير هيئة الإناء بالتكسير، والتغيير تارة يكون باختلافِ الحركةِ وزيادة الحرف، نحو: رِجال، وتارة بتغير الحركة فقط، نحو: جَوَالِق، فالمفرد مضموم الأول، فإذا جُمِعَ فَتَحتَ، وتارة يكون بالنقصان، نحو: حِمار وحُمُر، وتارة يكون على لفظ الواحد، وهو في التقدير مختلف، نحو: فُلك، فإن الفاء فيه مضمومة في الواحد والجمع، ولكن يجب أن يُعتقد أنّ الضمة في الجمع غيرها في الواحد؛ لأنّا وجدنا الضمة تكون لما الواحد فيه مفتوحٌ أو مكسورٌ، نحو: قَدان وقُدُن، وحِمار وحُمُر، فدل على أن حدوث الضمة في هذا الجمع مُعَللٌ بالجمع"[1].

وقال الشاطبي: "جمعُ التكسير ما تغير فيه بناء الاسم تغيرًا يدل أنك تريد مما يدل عليه ذلك الاسم دلالة واحدةً، ثلاثة فأكثر، أو ما أصله ذلك"[2].

جمع التكسير هو ما دلّ على أكثر من اثنين بتغيير صورة مُفرده، ويكون هذا التغيير إمّا في الحركات، مثل: "أَسَدْ" تُجمع على "أُسُدْ"، وإمّا في الزيادة، مثل: "سَهم" تُجمع على "سِهَام"، وإمّا بالنقص، مثل: "رسُول" تُجمع على "رُسل"، وإمّا بالزيادة والشّكل، مثل: "رَجُلْ" تُجمع على "رِجَال"، وإمّا بالشّكل والنّقص معًا، مثل: "قُبْلَة" تُجمع على "قُبَل"، وإمّا أن يكون ذلك بالثلاثة معًا "الشكل والنقص والزيادة"، مثل: "غُلام" تُجمع على "غِلمان"[3].

فجمع التكسير، هو الجمع الذي زاد في عدده على أكثر من اثنين[4]، وسمي مكسرًا على التشبيه بتكسير الآنية، ونحوها، وإنما هو إزالة التئام الأجزاء التي كان لها قبل هذا الجمع التئام[5]؛ أي: الذي لا يبقي على صورة الأصل[6]، وهو الجمع العام الذي لا يختص بشيء معين؛ لأنَّه لا

()1 اللباب في علل البناء والاعراب، للعكبري، ج2/ص178.

(2) المقاصد الشافية، للشاطبي، ج7/ص9.

()3 الصرف الكافي، أيمن أمين عبد الغني، ص 307. وانظر: نظرات في جموع التكسير، مجيد خير الله الزاملي، ص6.

()4 منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، للأشموني، ج3/ص669.

()5 التكملة، لأبي علي الفارسي، ص408.

()6 المفصل في علم العربية، للزمخشري، ص174-175. وانظر: شرح المفصل، لابن يعيش، ج5/ص2.

يجتمع مع السلامة بشيء[1]، بل يعمل على تغييرها إما بالزيادة، نحو: عين أعين، أو الحذف، نحو: دمية دمى، أو بالحركة، نحو: أَسد أُسد[2]. وهذا الجمع الذي يخص الأسماء والصفات، المطرد في بنائه، يقع تحت كثير من الأبنية الصرفية التي اختلف فيها النحاة، فقد زادت أبنيته على عشرين وزنًا[3].

والتكسير بدلالته يقسم إلى قسمين: فالأول ما دلّ على القلة وهو قليل في العربية، ويحصر في أربعة أوزان، أما الثَّاني: فهو جمع الكثرة، وله عدة أوزان دلت عليه[4].

- فجمع القلة: هو الجمع الذي يختص بالعدد من ثلاثة إلى عشرة[5]، وله أربعة أوزان، هي":[6] أَفْعُلٌ: أَحْرُفٌ.
- أَفْعَالٌ: أَجْدادٌ.
- أَفْعِلَةٌ: أَزْمِنَة.
- فِعْلَةٌ: فِتْيَةٌ.

والجمع الآخر جمع الكثرة: فهو الجمع الذي كان العدد ما فوق عشرة، إلى ما لا نهاية له[7]، وقد زاد استخدامه في العربية، لأنَّه مطرد ولا توجد قاعدة ثابتة تضبطه[8]. وقد ورد ذلك الجمع الذي اختلفوا فيه على وزن " فَعَلٌ، فُعُلٌ، فُعَلٌ في قراءة:

(سَلَفًا):

في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ (الزخرف: 56).

()1 شرح الدروس في النحو، لابن الدهان، ص121.

()2 المرجع السابق، ص126. وانظر: دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله الفوزان، ج3/ص162-167.

()3 شذا العرف في فن الصرف، للحملاوي، ص153.

()4 منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، للأشموني، ج4/ص670.

()5 شرح ابن عقيل، ج4/ص114-115.

()6 شذا العرف في فن الصرف، للحملاوي، ص155-159.

()7 منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، للأشموني، ج4/ص670.

()8 شذا العرف، للحملاوي، ص157.

ورد هذا الفعل في سورة الزخرف، في قصة إغراق فرعون وجنوده، وبيان عاقبة من يعمل مثلهم. فجعلنا هؤلاء الذين أغرقناهم في البحر سلفًا –فرعون وجنوده– لمن يعمل مثل عملهم ممن يأتي بعدهم في استحقاق العذاب، وعبرة وعظة للآخرين.

فقد اختلف القراء في قراءة (سلفًا): إذ قرأها الشوكاني بضم السين واللام لأنَّها جمع سليف[1]. وقال عنها الفراء، هي قراءة الأعمش، التي قرأ فيها بالضم (سُلُفا)؛ لأنّ مفردها سليف وهو قطعة من الناس، مثل: أُمّه [2]، ومن قرأها بالفتح للصوت الثاني، احتج بمعناها؛ لأنّ معناها فرقة من النّاس[3] وأنّه جمع سالف على ما سبق، كما يقال طالب وطلب وحارس وحرس وخادم وخدم، وإنّما جاز أن يعطف عليه المثل وهو واحد؛ لأنّه يراد به الجمع، كأنّه قال: فجعلناهم سلفًا وأمثالًا[4].

سَلَفَ يَسْلُفُ سَلَفًا وسُلُوفًا: تقدَّم. والسَّالِفُ: المتقدمُ. والسَّلَفُ والسَّلِيفُ والسُّلْفَةُ: الجماعَةُ المتقدمون[5].

ولعل الراجح هو قراءة الجمهور: (سَلَفًا) بفتح السين واللام، لأنّها تتناسب مع معنى آيات القصة القرآنية، لأنّها في الإفراد تطابق لفظ السيئة المذكورة قبلها، وهما وإن أفردتا في اللفظ، معناهما الجمع ومجيء اللفظ مفردًا لا يمنع من دلالته على معنى الجمع والكثرة. قول جعلناهم سلفًا متقدّمين ليتعظ بهم الآخِرون. إلّا أنّ القراءتين متقاربتان في المعنى في دلالتهما على الجمع؛ وذلك أنّ السَّلف جمع سالف والسُّلف جمع سليف.

سَلَفًا: مفعول ثانٍ لجعل منصوب بالفتحة.

---

(1) فتح القدير، للشوكاني، ج4/ص537.

()2 معاني القرآن، للفراء، ج4/ص36.

(3) مختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه، ص125. معاني القرآن، للزجاج، ج4/ص416.

()4 الموضح، للداني، ص709.

()5 لسان العرب، ابن منظور، مج3، ج24/ص2068.

ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني فُعال وفِعال ما يلي:

(جُذَاذًا):

في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ (الأنبياء: 58).

ورد هذا الفعل في سورة الأنبياء، في قصة تحطيم سيدنا إبراهيم -عليه السلام- للأصنام. فحطم إبراهيم الأصنام وجعلها قطعًا صغيرة، وترك كبيرها؛ كي يرجع القوم إليه ويسألوه، فيتبين عجزهم وضلالهم، وتقوم الحجة عليهم.

فقد اختلف القراء في قراءة (جذاذا): فقرئت (جُذَاذًا) بـ(جِذاذا)، قرأ الكسائي وحده (جذاذًا) بكسر الجيم؛ لأنّ معناها التّكسير والتّقطيع والتّهشيم[1]، نحو خفيف خِفاف، وقرأ الباقون بضمها والضم بوزن فُعال التي معناها مفعول، وهو الذي وعدهم إياه[2]، والضم والكسر لغتان، فالضم قطع ما كُسِرَ وهو بمعنى مفعول[3]، أما الكسر تكون مصدرًا لجميع الأعداد[4].

الجَذُّ: كسر الشيء الصُّلْب. جَذَذْتُ الشيءَ: كسرتُه وقطَعْتُه، والجُذاذُ والجِذاذُ: ما كسر منه. القطع المكسرة، وجمع جَذيذ، وهو من الجمع العزيز[5].

والوجه أنّ جذاذًا وجذاذًا بالضم والكسر لغتان، والضم أكثر. وقال بعضهم: الجذاذ بالضم اسم لما جُذَّ فهو بمعنى مفعول كالحطام والرفات والحتات والكسار، وأما الجذاذ بالكسر فهو جمع جذيذٍ، والجذيذ: المجذوذ، كخفافٍ لجمع خفيفٍ وطوالٍ لجمع طويلٍ وصغارٍ لجمع صغير[6].

()1 معاني القرآن، للفراء، ج2/ص206.

()2 فتح القدير، للشوكاني، ج3/ص412-413.

()3 مختصر شواذ القرآن، لابن خالويه، ص92.

(4) حجة القراءات، لابن خالويه، ص468. السبعة، لابن مجاهد، ص429. الكشف، للقيسي، ج2/ص112. معاني القراءات وعللها، لابن خالويه، ج2/ص168.

()5 لسان العرب، ابن منظور، مج1، ج7/ ص574.

()6 الموضح، للداني، ص530.

ولعل الراجح هو قراءة الجمهور: (جُذاذا) بالضم، لأنّها تتناسب مع معنى آيات القصة القرآنية، لأنّ سيدنا إبراهيم –عليه السلام– جعل الأصنام كالحطام والرفات والحتات، وهي بمعنى مفعول، وهو الذي وعدهم إياه.

جُذاذًا: مفعول به ثانٍ لجعل منصوب بالفتحة.

ومن أمثلة ذلك في آيات القصص القرآني وزني " فِعلان وفِعلة" ما يلي:

(لِفِتْيَانِهِ):

في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾ (يوسف: 62).

ورد هذا الفعل في سورة يوسف، في قصة يوسف –عليه السلام– حين أمر الغلمان بأن يرجعوا لإخوته ثمن ما أخذوه لكن دون إعلامهم بذلك. وقال يوسف لغلمانه: اجعلوا ثمن ما أخذوه في أمتعتهم سرًا؛ رجاء أن يعرفوه إذا رجعوا إلى أهلهم، ويقدِّروا إكرامنا لهم؛ ليرجعوا طمعًا في عطائنا.

فقد اختلف القراء في قراءة (فتيانه): فقرأها حمزة والكسائي وحفص عن عاصم (لفتيانه) بألف ونون، وقرأها الباقون (لفتيته) وهما جمعان جميعًا غير أن فتية: جمع قليل نحو الغلمة والصبية. وفتيان: جمع كثير مثل غلمان وصبيان فينبغي أن يكون الاختيار: (وقال لفتيته) لأنّهم كانوا أكثر من عشرة. والجمع القليل لما بين الثلاثة إلى العشرة[1].

وقرأها الشوكاني[2] على الاختلاف" فِتْيانه و فِتْيَتِه"، وهي تقع بين جمع الكثرة والقلة، فالكثرة فتيانه تتناسق مع معنى الآية الكريمة، فالمعنى يدور حول الغلمان الذين يقومون بخدمة الناس

()1 إعراب القراءات السبع وعللها، لابن خالويه، ج1/ص312.

()2 فتح القدير، للشوكاني، ج3/ص40.

ومساعدتهم[1]، أمّا القلة فقد خص المعنى ببعض الغلمان، إذ جعلوا بضاعة إخوته في رحالهم فلم يأمر الغلمان كلهم، ولم يرد بضاعة جميع الناس بل خص إخوته، على جمع القلة[2].

فتا: الفتاء: الشَّباب. والفَتى والفَتِيَّةُ: السابُّ والشابَّةُ، والفعل فَتُوَ يَفْتُو فَتاء فَتًى بَيِّن الفُتُوَّة، وقد تفَتَّى وتَفاتَى، والجمع فِتْيانٌ وفِتْية وفُتُوٌ، على فُعُولٍ، وفَتِيٌّ، مثل: عُصِيّ[3].

فإن قيل: وزن (فتىً) فعَل، و(فَعَل) لا يجمع على: فِعلة فقل: لما وافق (غلمانًا) في الجمع الكثير (حيث جمع على فتيان) جمعوا بينهما في القليل ليوافقوا بينهما[4].

ولعل الراجح هو قراءة الجمهور: (فِتْيانه) جمع الكثرة، لأنّها تتناسب مع معنى آيات القصة القرآنية- كما بينّا-؛ لأنّ المعنى يدور حول الغلمان الذين يقومون بخدمة الناس ومساعدتهم وهم كثرة.

لِفِتْيانِهِ: جار وجرور وهو مضاف، والهاء مضاف إليه مجرور.

(أُسَارَىٰ):

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ (البقرة: 85).

ورد هذا الفعل في سورة البقرة، في قصة بني إسرائيل. وقد حرم عليهم في التوراة سفك دمائهم وافترض عليهم فيها فداء أسراهم، فكانوا فريقين: طائفة منهم بنو قينقاع وإنّهم حلفاء الخزرج، والنضير، وقريظة وإنّهم حلفاء الأوس، فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج، وخرجت النضير وقريظة مع الأوس، يظاهر كل واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم، وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم. والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان، ولا يعرفون جنّة ولا نارًا، ولا بعثًا ولا قيامةً، ولا كتابًا، ولا

---

(1) الإتحاف، للدمياطي، ص22.

(2) الحجة، لابن خالويه، ص196. معاني القرآن، للفراء، ج2/ص48.

()3 لسان العرب، ابن منظور، مج5، باب الفاء، مادة (ف ت ا)، ص3347.

()4 الحجة، لابن خالويه، ص196.

حلالًا ولا حرامًا، فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم، تصديقا لما في التوراة، وأخذا به بعضهم من بعض، يفتدي بنو قينقاع ما كان من أسراهم في أيدي الأوس، ويفتدي النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم، ويطلبون ما أصابوا من دمائهم وقتلى من قتلوا منهم فيما بينهم، مظاهرة لأهل الشرك عليهم.

فقد اختلف القراء في قراءة (أُسارى): قرأ السبعة عدا حمزة (أُسارى) بألف بعد السين، جمع الأسير على أسارى، على (فعالى)، وقرأ حمزة (أسرى) دون ألف جمعه على (فعلى)[1].

أسارى جمع أسرى، والأصل: أسارى، فضمت الألف، كما قالوا: سكارى وسكارى، وكسالى وكسالى. ومثل أسير وأسرى: قتيل وقتلى، وجريح وجرحى.

أسر: أَسَرْت الرجلَ أَسْرًا وإسارًا، فهو أَسير ومأْسور، والجمع أُسَراءِ وأُسارى وأَسارى وأَسرى.[2]. والقراءتان متكافئتان ومتفقتان معنى مع اختلاف بينهما في الجمع، وقد رجح الطبري قراءة حمزة؛ لأنّ (فَعلى) أكثر استعمالًا في باب الجمع من (فُعالى)[3].

قد قرئت كلمة أسارى بقراءتين (أسارى وأسرى) وأسارى على وزن فعالى وهي من صيغة فعيل (أسير وقتيل) الذي يستوي فيها المذكر والمؤنث، فنقول: رجل أسير وامرأة أسير وجمعها أسرى رجال أسرى ونساء أسرى، ويجوز رجال أسارى ونساء أسارى، ومن أمثلة ذلك في العربية فعيل وفعلى، سكارى وسكرى أصلها سكير امرأة سكير ورجل سكير، ورجال سكرى ونساء سكرى، ورجال سكارى ونساء سكارى، وورد في القرآن سكرى في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ" (الحج: 2). فالقراءتان صحيحتان لكنّ الجمهور قرأ بأسارى وهي الأنسب مع سياق القصة القرآنية الواقع بين الله وبني إسرائيل؛ لأنّ الله- عز وجل- كان يبسط لهم القول ولا يوجزه لهم مثل العرب؛ لأنّهم ليسوا في نباهة العرب ولا بلاغتهم، وجاءت أسارى بالخفة على وزن فعالى حتى تتناسب مع بساطة القول وخفته لليهود.

أُسارى: حال منصوبة.

()1 السبعة، لابن مجاهد، ص164. التبصرة، لابن الجزري، ص255.

()2 لسان العرب، ابن منظور، مج1، ج2/ص77.

()3 تفسير الطبري، ج2/ص214.

الخاتمة

وقفت الدراسة على موضوع القضايا الصوتية والصرفية في القصص القرآني (دراسة وصفية تحليلية)، متناولة أهم القضايا الصوتية والصرفية، التي باتت ظاهرة في الاختيارات القرآنية مبرزة مظاهرها وخصائصها وأهميتها، وقد توصلت الدراسة من خلال البحث في مختلف الفصول والمباحث إلى مجموعة من النتائج، وهي:

1. إنّ القصة أسلوب مهم جدًا من أساليب التعلم التي استخدمها القرآن الكريم، وتنوعها يؤكد أهمية الاستفادة منها في مجالات الحياة شتى.
2. إنّ إعجاز القرآن الكريم في سائر سوره، وقصصه يتمثل في ألفاظه ومعانيه التي تحدى بها العرب في بلاغتهم ما يفسر قراءة اللفظ بعدة وجوه.
3. إنّ اختلاف القراء واللغويين في قراءة بعض الألفاظ من حيث صيغتها، أو أصواتها يدل أيضًا على أنّ القرآن معجِز في أصوات ألفاظه، وصيغها متساوقًا في التحدي مع لهجات العرب ولغاتها.
4. يمثل القصص القرآني منظومة زاخرة لما يكتنز من دلالات صوتية وصرفية تسهم في تطور علم اللسانيات، حيث يبرز الإعجاز القرآني في استخدام الأمثال القصصية الرائعة لما تحققه من نجاح وتميز في تحقيق الغايات العالية والمقاصد النبيلة.
5. الأصل في الألفاظ العربية أنّها مجردة ثم تُضاف إليها الزوائد لتعطي مبانٍ جديدة بمعانٍ جديدة، لقولهم الزيادة في المبنى تؤذن بالزيادة في المعنى.
6. لأبنية الأفعال المزيدة دور كبير في إضفاء دلالات جديدة عليها لم تكن موجودة في صيغها المجردة وذلك انطلاقا من أنّ الفعل إذا كان على بناء معين ثم نقل إلى بناء أكثر منه حروفًا، فلا بُدَّ أن يتضمن من المعنى أكثر ما يتضمنه أولًا.
7. الأفعال المزيدة لها دور بارز في صقل معاني القصة القرآنية، وتعزيز الألفاظ وتقويتها.
8. إنّ ورود الصيغ المزيدة بحرف واحد أكثر من المزيدة بحرفين، والمزيدة بحرفين أكثر من المزيدة بثلاثة أحرف في آيات القصص القرآني، ومزيد الثلاثي أكثر الصيغ ورودًا؛ لكثرة مبانيه وموافقته لتقلبات وتغيرات القصة القرآنية في أحداثها واختلاف أزمنتها، كما أنّه لقصر مبناه يوافق الخصائص والمعاني لآيات القصص القرآني المتعلقة بالتوحيد والوعد والوعيد.
9. لم ترد في آيات القصص القرآني بعض الأبنية، مثل: مزيد الرباعي بنوعيه.
10. الصيغ الصرفية قد تتبادل في معانيها، ويقوم بعضها مكان بعض.

11. إنّ الأسلوب القرآني معجز في بلاغته ونظمه واتساق ألفاظه وعباراته وأسرار قصصه، وقد وضع القرآن الكريم القصة في إطارها الحقيقي قوامها فيه الصدق والواقعية والفن والجمال ما أظهر دورها الفعّال في التوجيه وتقديم العبر والعظات باعتبارها جزءًا من الرسالة السلمية.

12. إنّ القصص التي ذكرت أكثر من مرة في كتاب الله لا نجد منها قصة واحدة ذكرت في سورتين اثنتين بطريقة واحدة؛ بل نجد كل قصة جاء فيها ما لا يجيء في الأخرى، ففي كل قصة من المشاهد والجزئيات والأحداث ما تفردت به السورة التي ذكرت فيها هذه القصة، فإن تكرار القصص له دلالات متعددة، وأوجه مختلفة للإعجاز القرآني.

13. استخدمت القصة القرآنية آليات متعددة لتحقيق التوازنات الصوتية التي أسهمت في تشكيل الإيقاع للمقام والسياق كالوضوح السمعي والمماثلة وغيرها...إلخ.

14. إنَّ الجانب الصوتي في الظاهرة اللسانية مهيأ بطبيعته الحسية؛ لأنْ يكون موضوعًا علميًا يتميز بالموضوعية في الوصف والدقة في التحليل، وهو من ههنا يمكن إخضاعه للتجربة والاختبار، الأمر الذي جعل الجهود تنصرف إلى هذا النوع من الدراسة، فنتج عن ذلك عطاء معرفي يمكن أن يُعَوَّلَ عليه في تأسيس نظرية لسانية قادرة في ذاتها على تقديم التفسير العلمي الكافي لكثير من المظاهر الصوتية من كل جوانبها الفيزيولوجية والفيزيائية والوظيفية.

15. كان للمكون الصرفي أثرًا واضحًا في القصة القرآنية لتحقيق الاتساق والانسجام بين مكوناته؛ ليجعل منها منظومة متكاملة، ومما تجدر الإشارة إليه وجود علاقة تكامل بين الصيغة والسياق والمقام في القصص القرآني، كما أنَّ الصيغ تم اختيارها بدقة متناهية لتناسب السياق والمقام، وتحقق الإيجاز، وجمالية العرض.

ثبت المصادر والمراجع

***القرآن الكريم**

المراجع العربية:

1. أبنية الصرف في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، مكتبة النهضة، ط1، بغداد، 1965م.
2. الإتحاف، أبو أحمد بن محمد الدمياطي، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، (د.ط)، 1998م.
3. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار التراث، ط3، القاهرة، (د.ت).
4. أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، مسعود بوبو، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (د.ط)، دمشق، 1982م.
5. أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، فوزي الشايب، (د.ط)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2004م.
6. أحرف الزيادة ودلالاتها الصرفية، دراسة صرفية صوتية تطبيقية على نماذج من القرآن الكريم، إعداد الطالبة: إنصاف عبد الله صالح، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، (غير منشورة)، 2004م.
7. إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (د.ط)، القاهرة، 1959م.
8. الأدب والأنواع الأدبية، طاهر حجار، دار طوق النجاة، (د.ط)، بيروت، 2004م.
9. الإدغام عند علماء العربية في ضوء البحث اللغوي الحديث، عبد الله بو خلخال، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، الجزائر، ٢٠٠٠م.
10. أسباب حدوث الحروف، أبو علي الحسين (ابن سينا)، تحقيق: محمد حسان الطيان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، (د.ط)، دمشق، (د.ت).
11. أسرار التكرار، محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، تحقيق: عبد القادر أحمد، دار أبو سلامة، (د.ط)، تونس، (د.ت).
12. أسرار الحروف، أحمد زرقة، ط1، دار الحصاد للنشر والتوزيع- دمشق، 1993م.
13. أسرار العربية، أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق: محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، (د.ط)، دمشق، (د.ت).

14. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد بن محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، ط4، القاهرة، 1041 هـ.
15. أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة: أحمد مختار، عالم الكتب، ط8، القاهرة، 1998م.
16. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، ط11، القاهرة، 2011م.
17. الاشتقاق، فؤاد حنا طرزي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، 2005م.
18. أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، أحمد محمد قدور، دار الفكر –دمشق/دار الفكر المعاصر –بيروت، ط1، 1998م.
19. أصوات اللغة العربية بين الفصحى واللهجات، رمضان عبد الله، مكتبة بستان المعرفة، ط1، الإسكندرية–مصر، 2005م.
20. أصوات الّلغة العربيّة، عبد الغفار حامد هلال، مطبعة الجبلاوي، ط2، القاهرة، 1988م.
21. أصوات اللغة، عبدالرحمن أيوب، مطبعة الكيلاني، ط2، 1968م.
22. الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، سمير استيتية، دار وائل للنشر والتوزيع، (د.ط)، الأردن، 2004م.
23. الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، القاهرة، 1971م.
24. أصول في التفسير، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، (د.ط)، الرياض، 2018م.
25. الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل (ابن السراج)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط3، 1988م.
26. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، تحقيق: أحَمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
27. الإعجاز البياني في القرآن الكريم عند بديع الزمان سعيد النورسي، لطيفة فارس، شركة سوزلر، (د.ط)، القاهرة، 2009م.
28. الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم (نظرة في كتب الباحثين العرب القدامى والمعاصرين)، سيد علي مير لوحي، مجلة أهل البيت – عليهم السلام– ع9، العراق، 2021م.
29. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1973م.

30. الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، محمود السيد حسن مصطفى، مؤسسة شباب الجامعة، (د.ط)، 2009م.
31. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، دار ابن كثير (اليمامة)/دار الإرشاد، (د.ط)، 1988م.
32. إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ط2، بيروت، 1985م.
33. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، **الزركلي** الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، ط15،الناشر: دار العلم للملايين، 2002م.
34. الافتتاح في شرح المصباح، ابن علاء الدين الأسود، تحقيق: أحمد حامد، مركز التوثيق والمخطوطات والنشر، جامعة النجاح، ط1، نابلس، 1990م.
35. الأفعال في القرآن الكريم، عبد الحميد مصطفى السيد، مطبعة دار البيان العربي، (د.ط)، 1398هـ.
36. الألسنية العربية، ريمون طحان، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، 1981م.
37. ألف باء في قصص الأنبياء، ناجي شكري ظاظا، غزة- فلسطين، (د.ن)، ط1، 2008م.
38. إملاء ما منّ به الرحمن، أبو البقاء محبّ الدين عبد الله بن الحسين العكبريّ، دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، 1979م.
39. أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، ط5، بيروت، 1966م.
40. إيجاز التعريف في علم التصريف، الطائي، محمد بن مالك، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2009م.
41. البحر المحيط، محمد بن يوسف (أبو حيان)، دراسة وتحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1993م.
42. بحوث في اللسانيات الدرس الصوتي العربي المماثلة والمخالفة، جيلالي بن يشو، دار الكتاب الحديث، ط1، القاهرة، 2007م.
43. بحوث لغوية، أحمد مطلوب، دار الفكر، ط1، عمّان، 1987م.
44. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، (د.ت).

45. بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، ط2، القاهرة، (د.ت).

46. بيان المختصر (شرح مختصر ابن الحاجب) لشمس الدين محمود بن عبد الرحمن الأصبهاني. تحقيق: علي جمعة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة 2004م.

47. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ)، تحقيق: حسن السندوبي، المطبعة الرحمانية، (د.ط)، القاهرة، 1932م.

48. تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية، مهدي صالح السامرائي، المكتب الإسلامي، ط1، دمشق، (د.ت).

49. تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار القلم، (د.ط)، بيروت، 1978م.

50. التبصرة في القراءات السبعة، مكي بن أبي طالب القيسي، عناية القارئ: محمد غوث الندوي، الدار السلفية، (د.ط)، (د.ت).

51. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، تحقيق: محمد علي البجادي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د.ط)، (د.ت).

52. تحبير التيسير في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير (ابن الجزري)، تحقيق: أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط1، 2000م.

53. التحليل الصرفي عند القدماء والمحدثين، بخيت عثمان جبارة، (د.ن)، (د.ط)، (د.ت).

54. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك الطائي، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (د.ط)، 1967م.

55. تصريف الأسماء، محمد الطنطاوي، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط6، (د.ت).

56. تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن، محمد سالم محيسن، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1987م.

57. تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، صالح سليم الفخري، دار عصمي للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1996م.

58. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط٥، بيروت، ١٩٧٩م.

59. التضاد في القرآن الكريم، محمود نور الدين المنجد، دار الفكر، ط1، بيروت، 1999م.

60. التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، دار النهضة العربية للنشر، (د.ط)، بيروت، 1973م.

61. التطور اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، 1997م.
62. التطور النحوي للغة العربية، براجشتراستر، تحقيق: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1994م.
63. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر (ابن عاشور)، الدار التونسية، (د.ط)، تونس، 1984م.
64. تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل آي القرآن)، أبو جعفر، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1، القاهرة، 2001م.
65. التفسير القيم، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، دار ومكتبة الهلال، (د.ط)، بيروت، 1990م.
66. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي، ط3، لبنان، 1407هـ.
67. تفسير الميزان، الطباطبائي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (د.ط)، (د.ت).
68. تقريب النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير (ابن الجزري)، تحقيق: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2002م.
69. تكامل المستويات اللسانية في تفسير المعنى، المعنى المضمر نموذجا مقال ضمن كتاب "من قضايا المعنى في التفكير اللساني والفلسفي"، محمد الغريسي، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، (د.ط)، تونس، 2015م.
70. التكملة، أبو علي الفارسي، تحقيق ودراسة: كاظم المرجان، دار عالم الكتب، ط2، 1999م.
71. التناغم والمماثلة في اللسانيات التوليدية، أحمد طيبي، عالم الكتب الَحديث، ط1، الأردن، 2016م.
72. تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، 2004م.
73. توجيه القراءات عند الفراء من خلال كتابه معاني القرءان، إبراهيم بن عبدالله آل خضران الزهراني، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 14٢٧هـ.
74. التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد (أبو عمرو الداني)، تحقيق: خلف بن حمود بن سالم الشغدلي، دار الأندلس للنشر والتوزيع، ط1، المملكة العربية السعودية، 2015م.

75. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود شاكر، دار هجر للطباعة والنشر، (د.ط)، (د.ت).
76. جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، تعليق: إسماعيل العقباوي، ط1، 2007م.
77. الجامع لأحكام القرآن المبين لما تضمنه السُّنَّة وآي الفرقان. تحقيق: هشام سمير البخاري. دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، (د.ت).
78. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي أبو عبدالله محمد بن أحمد، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، ومحمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 2006م.
79. جمهرة اللغة، ابن دريد، دار صادر، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
80. جموع التصحيح والتكسير في العربية، عبد المنعم عبد العال، مكتبة الخانجي، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).
81. حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد (أبو زرعة ابن زنجلة)، تحقيق وتعليق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، ط5، بيروت، 1997م.
82. الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، ط3، بيروت، 1979م.
83. الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير حويجاتي، دار المأمون للتراث، ط1، دمشق، 1984م.
84. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، 1952م.
85. دائرة المكتبة الوطنية، عبد القادر مرعي الخليل، (د.ن)، ط١، عمان، ٢٠٠٢م.
86. دراسات في علم الصرف، عبد الله درويش، مكتبة الطالب الجامعي، ط1، 1987م.
87. دراسة السمع والكلام، سعد مصلوح، القاهرة: عالم الكتب، (د.ط)، القاهرة، 1980م.
88. دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، (د.ط)، القاهرة، 1997م.
89. دروس التصريف ومقدمات الصرف، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، (د.ط)، بيروت، 1990م.
90. دقائق التصريف، أبو القاسم محمد بن سعيد المؤدب، تحقيق: حاتم الضامن وآخرين، دار البشائر، ط1، 2004م.
91. دلالة اللواصق التصريفية في العربية، أشواق محمد النجار، دار دجلة، (د.ط)، العراق، 2005م.

92. الدلالة المعجمية والسياقية في كتب معاني القرآن، دراسة موازنة علاء عبد الأمير شهيد، رسالة دكتوراة، قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب، جامعة القادسية، الناشر, عمان: دار الرضوان للنشر والتوزيع، 2007م.
93. دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
94. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمَد بن الخراساني البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الرين للتراث، (د.ط)، بيروت، 1988م.
95. دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن صالح الفوزان، دار المسلم، ط1، 1998م.
96. ذخائر العرب، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، تحقيق، محمد خلف الله احمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط3، القاهرة، (د.ت).
97. الذيل والتكملة، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري، ثم الأوسي المراكشي, تحقيق: إحسان عباس,ط1,دار الثقافة.بيروت لبنان,1973م.
98. رسالة الحدود، أبو الحسن الرماني، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر للنشر، (د.ط)، عمان، (د.ت).
99. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي، تحقيق: عبد البارئ عطية، ط1، (د.ن)، بيروت، (د.ت).
100. السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، ط3، القاهرة، (د.ت).
101. سر صناعة الإعراب، ابن جني، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، ط1، دمشق، 1985م.
102. سورة طه دراسة أسلوبية، علاء الدين الغرايبة. المنارة جدة- السعودية، مج 18، ع2، 2012م.
103. السيرة النبوية، ابن كثير، تحقيق: صدقي العطار، دار الفكر، ط1، بيروت، 1997م.
104. شذا العرف في فن الصرف، الحملاوي، أحمد بن محمد بن أحمد، تعليق: محمد عبد المعطي، دار الكيان، (د.ط)، (د.ت).
105. شذا العرف في فن الصرف، الشيخ أحمد الحملاوي، (د.ن)، ط6، 1965م.
106. شرح ابن عقيل، ابن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، ط20، 1980م.

107. شرح التصريف، الثمانيني، عمر بن ثابت، تحقيق: إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرشد، ط1، 1999م.
108. شرح الدروس في النحو، محمد سعيد بن المبارك (ابن الدهان)، تحقيق: إبراهيم محمد أحمد الأكادي، مطبعة الأمانة، ط1، 1991م.
109. شرح الرضي على الكافية، ابن الحاجب، تحقيق: يوسف حسن عمر، دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
110. شرح المفصل، أبو البقاء يعيش بن علي (ابن يعيش)، تحقيق: موفق الدين الأسدي، المطبعة المنيرية، (د.ط)، (د.ت).
111. شرح المكودي على ألفية ابن مالك، أبو زيد عبد الرحمن المكودي، تحقيق: فاطمة الراجحي، منشورات جامعة الكويت، (د.ط)، 1993م.
112. شرح شافية ابن الحاجب، الإمام رضي الدين الاستراباذي، تحقيق: محمد نور الحسن. وآخرين، مطبعة حجازي، (د.ط)، بيروت 1975م.
113. شرح شذور الذهب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، ط1، 2004م.
114. شرح مختصر التصريف العزي في فن الصرف، سعد الدين التفتازاني مسعود بن عمر، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، ذات السلاسل، ط1، الكويت، 1983م.
115. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، يوسف محمد عبد الله، مطهر بن علي الإرياني، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت، 1999م.
116. الصحة النفسية، مصطفى فهمي، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، 1955.
117. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، قام على نشره: علي بن حسن بن علي الحلبي الأثري، شركة القدس للنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت).
118. الصرف التعليمي، محمود ياقوت، دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، الإسكندرية–مصر، 1992م.
119. الصرف الكافي، أيمن أمين عبد الغني، التوفيقية للتراث، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).
120. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م.

121. الصيغ الصرفية في ضوء علم اللغة المعاصر، عبد الله رمضان، مكتبة بستان المعرفة، ط1، 2006م.
122. ضياء السالك إلى أوضح المسالك، محمد عبد العزيز النجار، تحقيق: محمد عبد العزيز النجار، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1999م.
123. الضياء في تصريف الأسماء، مصطفى أحمد النماس، (د.ن)، ط4، 1993م.
124. العرب في كلامها، تحقيق: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، ط1، بيروت، 1993م.
125. علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية، بسام بركة، الإنماء القومي، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
126. علم الأصوات العربية، محمد جواد النوري، جامعة القدس المفتوحة، (د.ط)، فلسطين، 2007م.
127. علم الأصوات اللغوية، محمد جواد النوري، جامعة القدس المفتوحة، ط1، فلسطين، 1996م.
128. علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، (د.ط)، القاهرة، 2000م.
129. علم الأصوات، مالبرج برتيل، ترجمة عبد الصبور شاهين، مكتبة الناشر، (د.ط)، (د.ت).
130. علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، عبد الجليل منقور، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، (د.ط)، 2010م.
131. علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، فايز الداية، دار الفكر، (د.ط)، دمشق، 1996م.
132. علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1993م.
133. علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط6، القاهرة، 2006م.
134. علم الدلالة، محمد علي الخولي، دار الفلاح للنشر،الاردن–شارع المدينة الطبية (د.ط)، (د.ت).
135. علم الصرف الصوتي المؤلف، عبد القادر عبد الجليل، دار أزمنة، (د.ط)، عمان، 1998م.
136. علم الصرف العربي، أصول البناء وقوانين التحليل، صبري المتولي، دار غريب– القاهرة، ط1، 2002م.
137. علم الصرف، نهاد الموسى، عودة أبو عودة، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات– مصر، (د.ط)، 2008م.

138. علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، 2010م.
139. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار النهضة العربية- بيروت، (د.ط)، بيروت، (د.ت)
140. علم وظائف الأصوات اللغوية الفنولوجيا، عصام نور الدين، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت، 1992م.
141. علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم، مجمع الفكر الإسلامي- مصر، ط6، 1433هـ.
142. عناصر اللغة العربية وخصائصها، خالد العريني، (د.ط)، وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية، (د.ت)
143. عنقود الزواهر في الصرف، القوشجي، علاء الدين علي بن محمد، تحقيق: أحمد عفيفي، بدعم من دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتب المصرية، ط1، القاهرة، 2001م.
144. فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، راجعه: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، 2007م.
145. فصول في فقه اللغة العربية، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط6، القاهرة، 1999م.
146. فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد الثعالبي تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2002م.
147. في أصول التربية، محمد الهادي عفيفي، مكتبة الانجلو المصرية، ط1، القاهرة، 1998م.
148. في الأصوات اللغوية، غالب فاضل المطلبي، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، (د.ط)، بغداد، 1984م.
149. في صوتيات اللغة العربية، محيي الدين رمضان، مكتبة الرسالة الحديثة، (د.ط)، عمان، 1979م.
150. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، ط5، بيروت، لبنان، 1967م.
151. في علم الدلالة، محمد سعد محمد، مكتبة الازهر، ط2، القاهرة، 2008م.
152. القصة القرآنية دراسة ومعطيات وأهداف، آية الله جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق، شبكة الفكر سوريا- دمشق، ط1، 1427هـ.
153. القصة القرآنية، الزّحيلي، وهبة، دار الخير، ط1، بيروت، دمشق، (د.ت).

154. قصة الكتابة العربية، إبراهيم جمعة، (د.ن)، ط3، بيروت، 1981م.
155. القصة في التربية، عبد العزيز عبد المجيد، القاهرة، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1952م.
156. القصة في القرآن الكريم وما أثر حولها من شبهات والرد عليها، مصطفى محمد سليمان، مطبعة الأمانة، ط1، القاهرة، 1993م.
157. القصة في القرآن، محمد سيد طنطاوي، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، ط1، 1996م.
158. قصص الأنبياء، محمد متولي الشعراوي، مكتبة التراث الإسلامي، (د.ط)، شارع الجمهورية عابدين، (د ت).
159. قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط3، الأردن، 2010م.
160. قصص القرآن دروس وعبر، سعد يوسف أبو عزيز، دار الفجر للطباعة والنشر، (د.ط)، 2004م.
161. قصص القرآن من آدم- عليه السلام- إلى أصحاب الفيل، محمد بكر إسماعيل، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع- مصر، ط2، 1997م.
162. قصص القرآن، حمدي بن محمد نور الدين آل نوفل، مكتبة الصفا، مكتبة المورد، ط1، القاهرة، ٢٠٠٢م.
163. قصص القرآن، عبد الباسط بلبول، مكتبة أصول الدين، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).
164. القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، مكتبة السنة المحمدية، ط1، القاهرة، 1964م.
165. القصص القرآني مفهوم ومنطوق، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، ط1، ١٩٦٤م.
166. القصص القرآني، الخطيب، عبدالكريم، دار المعرفة للطباعة والنشر لبنان، ط2، بيروت، 1975م.
167. قصص من القرآن الكريم، محمد كامل حسن المحامي، المكتب العالي، (د.ط)، بيروت، ١٩٨٢م.
168. كتاب الجمل في النحو، للزجاجي، اعتنى به: الشيخ ابن أبي شنب، مطبعة جول كربونل، (د.ط)، الجزائر، 1926م.
169. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 2003م.

170. الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة المدني، (د.ط)، القاهرة، 1991م.
171. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحجمها، تحقيق: محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط4، بيروت، 1987م.
172. الكلمات، سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، ط11، القاهرة، 2011م.
173. كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام خصومه داود، محمد، دار المنار، (د.ط)، القاهرة، 2007م.
174. اللباب في علل البناء والأعراب، أبو البقاء العكبري، تحقيق: عبد الإله بنهان، دار الفكر المعاصر–بيروت/ دار الفكر–دمشق سورية، ط1، 1995م.
175. لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، عبد العزيز مطر، مطبعة القاهرة الجديدة، (د.ط)، مصر، (د.ت).
176. لحن العوام، محمد بن حسن بن مذحج الزبيدي أبو بكر، تحقيق: رمضان عبد التواب، (د.ن)، (د.ط)، القاهرة، 1964م.
177. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، تحقيق: عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف، (د.ط)، كورنيش النيل القاهرة، (د.ت).
178. اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر الفاسي الفهري، منشورات عويدات، (د.ط)، بيروت، 1986م.
179. الّلغة بين القوميّة والعالميّة، إبراهيم أنيس، دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، 1970م.
180. اللغة معناها ومبناها، تمام حسان، (د.ط)، دار الثقافة– المغرب، 1994م.
181. اللغة، جوزيف فندرس، تعريب. عبد الحميد الدوخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).
182. لمسات بيانية، فاضل السامرائي، دار الشؤن للثقافة، (د.ط)، العراق، 1995م.
183. ما ذكر الكوفيون من الإدغام، السيرافي النحوي، تحقيق: صبيح التميمي، دار شهاب للطباعة والنشر، (د.ط)، (د.ت).
184. مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالحي، دار العلم للملايين، ط10، بيروت، 1977م.
185. مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 2000م.

186. المبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني، شاهر ذيب أبو شريخ، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2005م.
187. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله ابن الأثير، تحقيق: أحَمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، (د.ط)، القاهرة، 2018م.
188. مجلة الممارسات اللغوية، صلاح يوسف عبد القادر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، العدد(29)، 2014م.
189. محاضرات في علم الدلالة، خليفة بوجادي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2008م.
190. محاضرات من الصوتيات في الدورة العالمية السادسة للسانيات، أحمد مختار عمر، ملف إلكتروني.
191. المحتسب، عثمان (ابن جني)، تحقيق: علي النجدي ومحمد النجار، لجنة إحياء التراث، (د.ط)، القاهرة، 1386هـ.
192. المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الأنطاكي، دار الشروق العربي، ط3، بيروت، (د.ت).
193. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: يحيى خالد توفيق، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 1998م.
194. مختصر الصرف، عبدالهادي الفضلي، دار القلم، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
195. مختصر في التجويد على رواية ورش أبي سعيد، عبد الباسط طاهري، وزريعة، مطبعة زاياش. (د.ط)، الجزائر، ٢٠٠١.
196. مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، ابن خالويه، مكتبة المتنبي، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).
197. المدارس الصوتية عند العرب، علاء جبر محمد، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2006م.
198. المدخل إلى تقويم اللسان، لابن هشام اللخمي(ت 577هـ)،تحقيق: أ. د حاتم صالح الضامن، ط1، دار البشائر الإسلامية بيروت- لبنان، 2003م.
199. مدخل إلى علم اللغة محمود فهمي حجازي، دار قباء للنشر، (د.ط)، (د.ت).
200. المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، 1997م.

201. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، شرح وضبط: محمد أحمد جاد المولى وآخرين، طبع عيسى الحلبي البابي، (د.ط)، (د.ت).
202. مشكل إعراب القرآن، أبو محمد بن أبي طالب مكي القيسي، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، (د.ت).
203. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المطبعة الأميرية، ط7، القاهرة، 1928م.
204. المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز الصيغ، دار الفكر المعاصر- بيروت لبنان/دار الفكر -دمشق سوريا، ط1، 2000م.
205. مع الأنبياء في القرآن الكريم قصص ودروس وعبر من حياتهم، عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين، ط15، بيروت-لبنان، 1985م.
206. مع قصص السابقين في القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، (د.ط)، دمشق، 1988م.
207. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، (د.ط)، 1989م.
208. معاني القرآن للفراء، أبي زكريا يحيى الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1955م.
209. معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم الزجاج، تحقيق: عبد الجليل شلبي، ط1، بيروت، 1988م.
210. معاني القرآن، أبو زكرياء يحيى الفراء، تحقيق: محمد علي النجار وأحمد يوسف النجاشي، عالم الكتب، ط2، بيروت، 1980م.
211. معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، تحقيق: محمد عبد الرحيم، دار الفكر، ط1، بيروت، (د.ت).
212. معجم الصوتيات مرتب على الأقباء، رشيد عبد الرحمان العبيديي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط1، العراق، 2007م.
213. المعجم العربي، حسين نصار، طبعة مكتبة مصر، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).
214. المعجم المفصل في اللغة والآداب، إميل بديع يعقوب، دار العليم للملايين، 1998م.

215. المعجم المفصل في علم الصرف، راجي الأسمر، مراجعة: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، 1997م.
216. المغني على الصرف، عبد الحميد مصطفي السيد، دار صفاء، (د.ط)، عمان، 1998م.
217. المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، محمد سالم محيسن، دار الجيل، ط2، بيروت، 1988م.
218. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، ط4، 2009م.
219. المفصل في النحو والصرف، عزيز خليل محمود. دار نوميديا، (د.ط)، قسنطية– الجزائر، (د.ت).
220. المفصل في علم العربية، جار الله الزمخشري، تحقيق: فخر الدين صالح قدارة، دار عمار– مصر، (د.ط)، 2003م.
221. المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية: شرح ألفية ابن مالك، إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، تحقيق: إبراهيم البنا وسليمان بن إبراهيم العايد والسيد تقي، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ط1، 2007م.
222. مقاييس اللغة، أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ط)، 1979م.
223. المقتضب، المبرد، تحقيق: عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التّراث الإسلامي، (د.ط)، القاهرة، 1399هـ.
224. مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، تحقيق: عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، ط1، الكويت، 1971م.
225. المماثلة في اللغتين العربية والإنكليزية، (دراسة تقابلية)، رحيم، مجلة آداب الرافدين، العدد 89، (د.ت).
226. الممتع في التصريف، علي بن مؤمن بن محمد (ابن عصفور الإشبيلي)، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار المعرفة، ط1، بيروت، 1987م.
227. منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة، عبدالمجيد الطيب عمر، ط2، (د.ت).
228. منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، الأشموني، أبو الحسن، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، دار الكتاب العربي، (د.ت).
229. منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، دار الشروق، ط6، 1983م.

230. النحو المصفى: محمد عيد مكتبة الشباب، (د.ط)، القاهرة، 1980م.
231. النحو الوافي، عباس حسن، دار المعرف، ط3، القاهرة، (د.ت).
232. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج (ابن الجوزي)، وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2000م.
233. نشأة الدلالات العربية وتطورها، أحمد عزوز، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، عدد (81-82)، 2002م.
234. النشر في القراءات العشر، الحافظ أبي الخير أحمد بن محمد (ابن الجزري)، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
235. النظام الصوتي للغة العربية (دراسة وصفية تطبيقية)، حامد بن أحمد بن سعد الشنبري، مركز اللغة العربية، (د.ط)، جامعة القاهرة، 2004م.
236. نظرات في جموع التكسير، مجيد خير الله الزاملي، (د.ط)، دار الكتب العلمية، (د.ت).
237. نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربيّ، عليّ يونس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، القاهرة، 1993م.
238. نكت الانتصار لنقل القرآن الكريم، أبو بكر الباقلاني، تحقيق: محمد زغلول سلّام، منشأة المعارف، (د.ط)، الإسكندرية-مصر، (د.ت).
239. همع الهوامع، السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1998م.
240. الوافي في شرح الشاطبية، عبد الفتاح القاضي، مكتبة السوادي للتوزيع، ط4، 1992م.
241. الوجيز في مستويات اللغة، خلف عودة القيسي، دار يافا العلمية، (د.ط)، عمّان، 2010.
242. الوحدة الموضوعية في القرآن، محمد محمود حجازي، دار الكتب الحديثة، (د.ط)، مصر، (د.ت).
243. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت 681هـ)، تحقيق: إحسان عباس (د.ط)، الناشر: دار صادر - بيروت،1972م